

المجلد
١

المكتبة الأنطونية

الخبيرة محمدة

في
فتح الأنطون وذكرا أمرائها رَحِمَهُمُ اللهُ
والحروب الواقعة بها بينهم

تحقيق: إبراهيم الأبياري

دار الكتاب اللبناني
بيروت

دار الكتاب المصري
القاهرة



دار الكتاب اللبناني

شارع مدام كوري - مقابل فندق بريستول
ت: ٨٦٠٧٩٢ / ٨٦١٥٦٣
هـ. ب: ١١/٨٣٣
TELEX: DKL 23715 LE
ATT: MAY. H. EL-ZEIN
بيروت - لبنان

جميع
حقوق
الطبع
والنشر
محفوظة
للناشرين

دار الكتاب المصري

٢٢ شارع قصر النيل - القاهرة ج. م. ع.
ت: ٢٩٢٢١٦٨ / ٢٩٢٤٣٠١
هـ. ب: ١٥٦ - الرمز البريدي ١١٥١١ برنجا كنا مصر
TELEX No. 23081-23381-22181
ATT MR. HASSAN EL-ZEIN
فاكس: ٣٩٢٤٦٥٧ ٢٩٢٤٦٥٧

الإهداء

” إلى زوجتي المخلصة

مدوحة عبد الرحمن

التي آزرْتُ فأجملتُ ، وأعانتُ فأحسنْتُ

وما كان أحوجني في إخراج

هذه المكتبة الأندلسية إلى من

يشد أزرى ويعينني على أمري

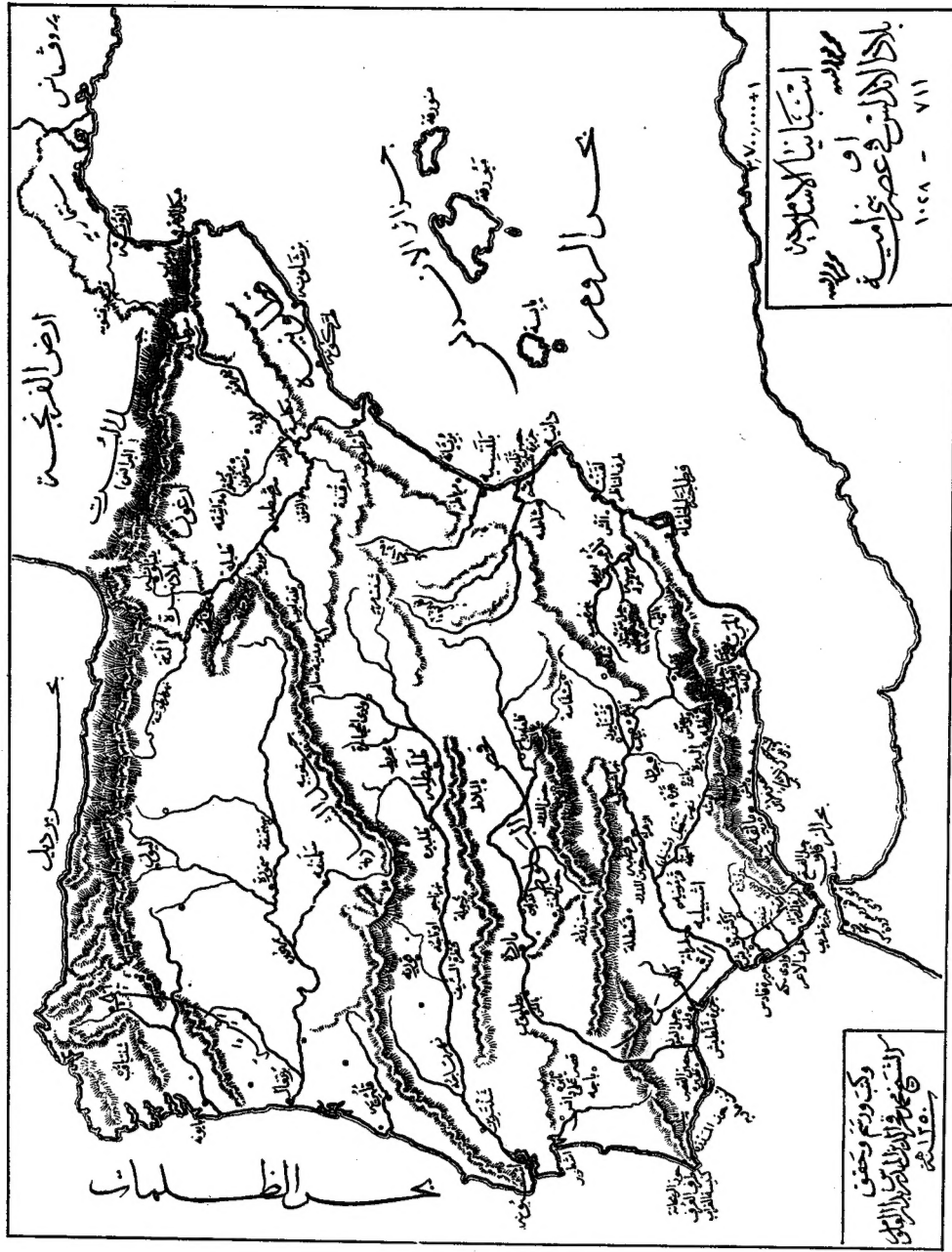
لذا كنت أحقَّ من تُهدى إليه »

زوجك المخلص

ابراهيم الأبياري

استبانتا الامتلجنا
 مملكته او
 بلاد الارمن في عصر خياميه
 ٧١١ - ١٠٤٨

وكتبه ورتب وحقق
 السيد محمد باقر الميرزا
 سنة ١٢٥٠



تَقْدِيم

هذا هو الكتاب الأول من المكتبة الأندلسية التي أخذت في إعدادها لأطالع بها قراء العربية في طبعة جديدة محققة .

ولقد عرف قراء العربية هذا الاسم «المكتبة الأندلسية» ينتظم كتباً ليس من بينها هذا الكتاب «أخبار مجموعة» ولا «تاريخ افتتاح الأندلس» الذي سألني به .

فلقد رأيت أن هذه الكتب التي درج الناس على تسميتها بالمكتبة الأندلسية ينقصها هذان التمهيدان ، هذا الكتاب «أخبار مجموعة» ثم «تاريخ افتتاح الأندلس» لابن القوطية ، إلى غيرهما من كتب أخرى تتصل برجال الأندلس سألهم في مكانها من هذه المجموعة .

وهذا الكتاب وذاك وإن كانا ليسا من نمط ماتعورف على تسميته بالمكتبة الأندلسية غير أنهما كالمدخل لهذه الكتب ، فهما يمهدان بالتاريخ للأندلس كيف انتهى بها الأمر لأن تصبح مهذا لهؤلاء الرجال الذين ضمتهم كتب المكتبة الأندلسية .

وقد يقول قائل إن ثمة كتباً أخرى قد تكون من هذه البابة ، مثل : البيان المغرب لابن عذارى ، ولكن هذه الكتب قد يكون منها ما جنح إلى التاريخ المفصل ، وقد يكون منها ما جنح إلى المزج فضم إلى ما للأندلس غيره مما هو للمغرب .

وكان هذان الكتابان «أخبار مجموعة» و «تاريخ افتتاح الأندلس» ليس فيهما هذا التفصيل ، كما ليس فيهما هذا المزج ، وكانا - كما قلت

قبل - تمهيداً للدخول إلى التعريف بهذه الأرض التي مهدها هذا الفتح -
أعنى فتح العرب للأندلس - لتنشئة هؤلاء الرجال .

* * *

ولقد كان من هذا الكتاب « أخبار مجموعة » نسخة خطية فريدة
بالمكتبة الأهلية بمليد من القطع الصغير ضمن مجموعة أخرى من
مخطوطات ، وتقع ورقاتها من هذه المجموعة من الورقة إحدى وخمسين
(٥١) إلى الورقة سبع عشرة ومائة (١١٧) .

ولقد أنس بها المستشرق الأسباني إميليو لافونته ، وكان أنسه بها
لما ضمت من أخبار عن هذه الحقبة التي لاتزال موضع القيل والقال
بين المؤرخين ، والتي لاتزال عناية الدارسين لها موصولة ، وحاجتهم
إلى مزيد منها لاتنقطع .

وعلى الرغم من أن هذه الخطية كانت لاتحمل اسماً لجامعها يضاف
عليها قيمتها ، إلا أن ماها من أخبار كان كفيلاً بأن يلفت هذا
المستشرق الجليل إلى نفعها ، وهو من هو علماً بتاريخ بلاده الأندلس .

وهذه الخطية كما يلى عنوانها ، تحوى :

١- أخبارا قد جمعت .

٢- وأن هذه الأخبار تبدأ بفتح الأندلس .

٣- ثم تثنى بذكر أمرائها من العرب .

٤- ثم تمضى فى ذلك إلى أن تنتهى إلى أخبار الأمير عبد الرحمن

ابن محمد بن عبد الله المتوفى سنة خمسين وثلثمائة من الهجرة (٣٥٠ هـ) .

والجامع لهذا الكتاب حين جمع لم يشر في موضع من المواضع إلى من نقل عنه من المؤلفين ، أو إلى مأخذ منه من الكتب ، بل اجتزأ في القليل من أماكن من الكتاب بقوله « قال » .

وهو في هذا الانتهاء الذى انتهى إليه في كتابه هذا « أخبار مجموعة » يتفق هو ونفر غيره ، منهم :

١- ابن عبد ربه أبو عمر أحمد بن محمد المتوفى سنة ثمان وعشرين وثلثمائة (٣٢٨ هـ) في كتابه العقد الفريد ، فلقد انتهى ابن عبد ربه في كتابه العقد ، وهو يؤرخ لخلفاء بنى أمية بالأندلس ، إلى مثل ما انتهى إليه صاحب « أخبار مجموعة » .

٢- وابن القوطية ، في كتابه « تاريخ افتتاح الأنـدلس » ، وكانت وفاة ابن القوطية أبى بكر محمد بن عمر سنة سبع وستين وثلثمائة (٣٦٧ هـ) .

٣- وابن عذارى المراكشى في كتابه « البيان المغرب » ، ولقد كان ابن عذارى المراكشى حياً إلى سنة إحدى وثلاثين وثلثمائة (٣٣١ هـ) .
وإننا لنجد النصوص التى شارك فيها صاحب هذا الكتاب « أخبار مجموعة » تختلف فى الكثير عما هو نظير لها فى هذه الكتب الثلاثة .

١- تاريخ افتتاح الأنـدلس لابن القوطية .

٢- والبيان المغرب لابن عذارى .

٣- والعقد الفريد لابن عبد ربه .

وهذا يكاد يعنى أن صاحب «أخبار مجموعة» لم يعتمد على كتاب من هذه الكتب ، اللهم إلا إذا كان النقل لم يستو .

وأكاد أستنبط من هذا أن الجامع لهذا الكتاب «أخبار مجموعة» كانت له معاصرة أو شبه معاصرة ، أعنى أنه كان معاصراً أو شبه معاصر لهؤلاء المؤلفين الثلاثة ، وأنه كان له المنبع الخاص الذى استقى منه ، كما كانت لهؤلاء منابعهم الخاصة التى استقوا منها ، وأنه كان ثمة نقل بالمشافهة تدلنا عليه كلمة «قال» التى أوردها فى مواطن قليلة من كتابه ، وتدلنا عليها أيضاً تلك الأخطاء السمعية فى الإملاء ، التى أشرنا إليها فى مواضعها من هذا الكتاب .

ولكن لم أخفى هذا الجامع اسمه ولم يذكره ؟

يبعد أن يقول قائل : إنه مات دون أن يتمه ، فأخر الكتاب ينفى هذا ، إذ نقرأ له يقول :

«تم ماجمع فى هذا التأليف من أخبار فتح الأندلس وأمرائها ، والحمد لله حق حمده ، والصلاة على سيدنا محمد نبيه وعبد» .

وما نظن أن الواضع لهذا الكتاب عدل عن ذكر اسمه ، لأن العمل لم يعد أن يكون جمعاً .

وهذا بعيد أيضاً ، فالجمع ليس دون التأليف شأناً .

لهذا وذاك كان الذى أذهب إليه أن الأوراق التى بقيت من هذا الكتاب ضاع منها ما يحمل اسم المؤلف ، إما طمساً وإما محواً ، فلم يستطع من نقل هذه الخطية عن خطيتها الأولى ، التى كان بها هذا الطمس

وهذا المحو ، أن يقرأ اسم المؤلف ، ومن هنا كانت نسبة هذا الكتاب « أخبار مجموعة » إلى مؤلف مجهول .

والنسخة الخطية التي تحتفظ بها المكتبة الأهلية بمديرية من هذا الكتاب ، والتي اعتمد عليها المستشرق الأسباني إميليو لافونته في إخراجه لهذا الكتاب في طبعته الأولى سنة سبع وستين وثمانمائة وألف (١٨٦٧ م) تحمل تاريخ نسخها ، وهو القرن الحادى عشر الميلادى ، وهذا يعنى أنها قديمة العهد بالنسخ ، وأنها كانت قريبة من عهد الجامع .

والذى يدلنا على أن هذه النسخة نسخت من أخرى ما بها من بياض لم يستطع الناسخ قراءته .

فالنسخة الأولى لاشك كانت بخط المؤلف ، وإذا صح هذا فبعيد أن تحمل مثل هذا البياض الذى جراه الناسخ ولم يملك معه إلا أن يجارى ، اللهم إلا إذا كانت النسخة الأولى هى الأخرى إملاءً ، وهذا مانستبعده شيئاً .

وهذه تؤكد لنا مذهبنا إليه من أن النسخة الأولى أصابها طمس وأصابها محو .

ثم إن هذا يؤكد أيضاً مذهبنا إليه قبل من أن الجامع كان معاصراً لهؤلاء المؤلفين الثلاثة : ابن عذارى ، وابن القوطية ، وابن عبد ربه . وتكاد عبارة هذا الجامع لهذا الكتاب « أخبار مجموعة » تملئ أنه لم ينقل عن كتب ، وأنه أخذ مشافهة فى الكثير وصاغ ماسمع بعبارته هو ، يدلنا على هذا :

- ٢- ولو أنها كانت من مظان مختلفة لاختلفت عباراتها .
 - ٣- وأن الجامع لهذا الكتاب لم يكن على مستوى لغوى رفيع .
 - ٤- بدليل تلك الاستعمالات اللغوية الخاطئة والتي أشرنا إليها في مواضعها من هذا الكتاب .
 - ٥- وأنه لم يكن على مستوى نحوى قوى .
 - ٦- بدليل تلك الأخطاء النحوية التي أشرنا إليها في أماكنها من هذا الكتاب .
 - ٧- وأنه لم يكن على مستوى إملائي متين .
 - ٨- بدليل تلك الأخطاء الإملائية التي أشرنا إليها في أماكنها من هذا الكتاب .
 - ٩- وأنه لم يكن على مستوى عروضى سليم .
 - ١٠- بدليل ماساق من أبيات لاتستقيم وزناً .
 - ١١- غير أنه إلى هذا كله كانت له استخدامات لألفاظ لغوية تدل على تمكن من اللغة .
- وبعد . فما كان أحوجنا على أية حال لأن نعرف اسم هذا الجامع ، فمعرفة اسمه تضيف شيئاً إلى علمنا عن الرجال .
- ثم ما كان أحوجنا إلى أن نرى هذا الجامع قد أشار إلى من نقل عنهم من رجال ، وإلى ما أخذ منه من كتب .
- ولقد كان هذا وذاك ، لوقعا ، بضيفان إلى علمنا شيئاً عن المكتبة العربية رجالاً وكتباً .
- ولقد ذهب بروكلمان إلى أن مصنف هذا الكتاب كان فقيهاً من

الأسرة الأموية بقرطبة (١).

وبعد . فهذا هو الكتاب الأول من المكتبة الأندلسية في وضعها الجديد ، سيتلوه إن شاء الله غيره على الترتيب ، وسوف يكون لكل كتاب فهرسه الخاصة بالتراجم الواردة فيه وغيرها ، ليسهل على القارئ الانتفاع بما بين يديه أولاً فأولاً ، على أن يضم هذه الفهارس كلها فهرس جامع لما في هذه الفهارس كلها من تراجم ، ثم لما تضمنته هذه الكتب من مواد فهرسية أخرى ، ليكون المرجع العام بعد هذه المراجع الخاصة .

هذا عدا الكتابين الأول والثاني فسوف يكون لكل منهما فهرس عامة ، على ألا تندرج بعد في الفهرس العام .

ولا يسغنى هنا قبل أن أمضى في عرض مساق كتب هذه المكتبة الأندلسية في طبعتها الجديدة إلا أن أنوه بما كان للمستشرق الأسباني إميليو لافونته من جهد في توجيه النص ما أمكنه جهده في ذلك ، ولقد أفدت حقاً من هذا الجهد ومن ترجمته الأسبانية للنص التي جلت بعض الغموض عن بعض العبارات ، ولقد أشرت إلى هذا في أماكنه من تعليقات ، غير أنني إلى هذا قد عقبته على كثير مما فاتته ، وشرحت ما يستحق الشرح ، وأشرت إلى ما بالنص من أخطاء لغوية أو نحوية أو إملائية أو عروضية ، التي أرجو أن يكون الكتاب بها قد جاء محققاً للغاية من إخراجه في طبعته الجديدة .

وسوف يكون مساق هذه المكتبة الأندلسية في وضعها الجديد على النحو الآتي :

١ - أخبار مجموعة .

(١) تاريخ الأدب العربي (٣ : ٨٨ ، ترجمة د . النجار) .

- ٢- تاريخ افتتاح الأندلس ، لابن القوطية (٣٦٧ هـ) .
 - ٣- تاريخ علماء الأندلس ، لابن الفرضي (٤٠٣ هـ) .
 - ٤- جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس ، للحميدي (٤٨٨ هـ) .
 - ٥- فهرس مارواه عن شيوخه أبو بكر محمد بن خير (٥٧٥ هـ) .
 - ٦- الصلة في تاريخ علماء الأندلس ، لابن بشكوال (٥٧٨ هـ) .
 - ٧- بغية الملتبس في تاريخ رجال الأندلس ، للضبي (٥٩٩ هـ) .
 - ٨- التكملة لكتاب الصلة ، لابن الأبار (٦٥٩ هـ) .
 - ٩- المعجم في أصحاب أبي علي الصدي ، لابن الأبار (٦٥٩ هـ) .
 - ١٠- الذيل والتكملة ، لابن عبد الملك المراكشي (٦٦٩ هـ) .
 - ١١- صلة الصلة ، لابن الزبير (٧٠٨ هـ) .
 - ١٢- تاريخ قضاة الأندلس ، للنباهي (٧٩٢ هـ) .
 - ١٣- فهرس عام لما في هذه الكتب جميعاً .
- ومن هذا العرض يتضح لنا أن المكتبة الأندلسية :
- ١- ستضم جديداً من كتب ممهدة ومكملة .
 - ٢- ستتوج بفهارس خاصة ثم بفهرس عام يجمع مافيها كلها ليسهل على القارئ تتبع مايريد دون عناء ولا مشقة .
- والله أسأل أن يعين على التمام ، ويوفق إلى السداد ، إنه نعم المولى ونعم المجيب .

إبراهيم الأبياري

ربيع الأول ١٤٠١ هـ

يناير ١٩٨١ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

صلى الله على سيدنا محمد وآل محمد وسلم
أخبار مجموعة في افتتاح الأندلس وذكر مَنْ وَلِيَهَا من الأمراء إلى
دخول عبد الرحمن بن معاوية ، وتغلّبه عليها ، ومُلْكِهِ فيها هو وولده ،
والحروب الكائنة في ذلك بينهم .



روى أَنَّهُ لما اشتغل الناس بالفتن ، واشتغل عبد الملك بن مروان
بعبد الله بن الزبير وبالأزارقة ، وابن الأشعث وغيرهم ، اشتدَّ أمرُ الروم
والأكراد وبَقَايا فارس ، فارتجعوا بلدانا كثيرة ، نفوا أهل الشام عنها ،
فجاهد عبدُ الملك ، لما خلا ذَرْعُهُ (١) ، فأخرجهم عن بعضها وبقي الأكثر ،
فبعث الوليد - رحمه الله - البعث فارتجع مدائن الروم ، وأقحم
عليهم (٢) في غيرها ، ثم ارتجع مدائن خراسان ، وأقحم عليهم (٢) حتى
استقصى البلاد ، ولم يبق من سلطان الفرس إلا الأكراد لامتناع حالهم .
وكان أَهْمُ ثُغُورِهِ اليه ثَغَرُ إفريقية ، وقد كان عُقْبَةُ بن نافع الحارثي ،
حارث فيهر ، اختط قَيروان إفريقية ، وبني حِصْنَهَا ، وهو عامل لعبد الله
ابن سعد بن أَبِي سَرَحٍ العامري ، عامر لُؤَيٍّ ، في زمان عثمان ، رحمه
الله ، ثم مَضَى فافتتح ما خلفها حتى بلغ تونس ، وبلغ سَبْرَةَ (٣) .

(١) الذرع : الطاقة والوسع ، يريد : لما فرغ مما يشغله .

(٢) المسموع : قحم

(٣) سبرة ؛ بفتح أوله وسكون ثانيه : مدينة بإفريقية بعد إطرابلس ،

افتتحها عمرو بن العاص سنة ٥٣٢ هـ . (معجم البلدان : ٣ : ٣٢) .

ثم هاجت فتنة عثمان ، رحمه الله ، فانقطعت الصوائف (١) عن إفريقية ، واشتد أمر البربر ، ثم انقطعت الفتنة فرجعت الصوائف على يدى معاوية ، رحمه الله ، فاستقامت إفريقية ، حتى غزا عقبة بن نافع سنة ثلاث وستين ، وهو عامل الجزيرة في زمان يزيد بن معاوية ، رحمه الله ، طنجة ، فلقبته قبيلة للبربر يقال لها أوربة (٢) ، فهزموا أصحابه ، واستشهد ، رحمه الله .

ثم هاجت فتنة ابن الزبير وغيرها إلى أن تفرغ (٣) عبد الملك ، فولى الوليد ، وثرغ إفريقية أهم الثغور إليه ، فدعا موسى بن نصير ، مولى بنى أمية ، وأصله من علوج أصابهم خالد بن الوليد ، رحمه الله ، في عين التمر (٤) ، فادعوا أنهم رهن ، وأنهم من بكر بن وائل ، فصار نصير وصيفاً لعبد العزيز بن مروان ، فأعتقه وبعثه وعقد له في سنة ثمان وسبعين على إفريقية وما خلفها ، وأخرجه إلى ذلك الوجه في نفر قليل مطّوعين ، لم يخرج له جند من الشام ، واكتفى له بجنود مصر وإفريقية وبمن تطوع ، فسار حتى ورد مصر ، فأخرج معه من جندها بَعْثاً ، ثم سار حتى أتى إفريقية ، وأخرج معه من أهلها أهل القوة والجلد ، وعلى مقدمته طارق بن زياد .

(١) الصوائف : جمع صائفة ، وهي الميرة قبل الصيف .

(٢) الأصل : « أوربة » . وما أثبتنا من تاريخ ابن خلدون (٤ : ١٣ ، دار الكتاب اللبناني) .

(٣) لعلها : توفي

(٤) عين التمر : بلدة قريبة من الأنبار غربي الكوفة ، افتتحها المسلمون في أيام أبي بكر على يد خالد بن الوليد سنة اثني عشر للهجرة (معجم البلدان ٣ : ٧٥)

فلم يزل يُقاتل البربر ويفتح مدائنهم وبلدانهم حتى بلغ طنجة ،
وهي قُصبة بلاد البربر وأمّ قُراهم ، فافتتحها ، ولم تكن افتتحت قبل .
ويقال : إنها افتتحت ثم ارتجعت ، فإله أعلم .

فأسلم أهلها ، واختطها قيروانا (١) للمسلمين وأوطنها إياهم ، وكتب
بذلك إلى الوليد سنة تسع وثمانين .

ثم سار موسى يُريد مدائن على شط البحر فيها عمال صاحب الأندلس ،
قد غلبوا عليها وعلى ما حولها ، وكان رأس تلك المدائن مدينة ، يقال لها :
سَبْتَة (٢) ، وكان عليها وعلى ماحولها من المدائن عِلْجٌ يُسمى : يُلِيان ، فقاتله
موسى بن نصير ، فألقى عنده عُدة وقوة ونجد ، ليست تُشبه ما قبلها ،
فلم يُطققهم ، فرجع عنهم إلى طنجة ، وجعل يَجْتثُّ ما حولهم بالمُغاورة (٣)
فلم يُطققهم ، وكانت المراكب تختلف إليهم من الأندلس بالمعاش
والأمداد ، ومع ذلك كانوا يُحبون بلادهم ويندبون عن حريمهم ذباً
شديداً ، حتى هلك ملك الأندلس غَيْطُشَة ، وترك أولادا لم يرَضَهم
أهلها ، منهم : شِشْبَرْت ، وأبّه (٤) ، فاضطرب جبل الأندلس ، فتراضوا
على عِلْجٍ يقال له : لُذْرِيْق (٥) ، شُجاع هَجُوم ، ليس (٦) من بيت الملك ،
إلا أنه من قُوادهم وفرسانهم ، فولوه أمرهم .

(١) القيروان ، مغرب ، وأصله بالفارسية : كاروان ، وهو بمعنى :
القافلة ، ومعظم الجيش . (المغرب للجواليقي : ٢٥٤ ، استينجاس :
١٠٠٣) . ولعله يريد : معسكرا .

(٢) سبتة ، بفتح أولها ، وقيل بكسره ، من قواعد بلاد المغرب . (معجم
البلدان : ٣ : ٣٠) .

(٣) المُغاورة : الإغارة .

(٤) ويقال فيه «وبه» . (وفيات الأعيان : ٤ : ٣٧٠ ، دار صادر) .

(٥) الأصل هنا : «رذريق» ، وبها يرسم أيضا .

(٦) في الأصل : «ليس له» .

وكان جميع ملوك الأندلس يبعثون أولادهم الذكور والإناث إلى بلاط ملكهم بطليطلة (١) ، وهى يومئذ قسبة الأندلس ، ودار ملكها ، يكونون فى خدمة ملكها لا يخدمه غيرهم ، يتأدّبون بذلك ، حتى إذا بلغوا أنكح بعضهم من بعض ، وتولّى تجهيزهم .

فلما ولى لُدُرِيق أعجبه ابنة يُليان ، فوثب عليها ، فكتب إلى أبيها : إن الملك وقع بها ، فأحفظ العِلَجَ ذلك ، وقال : ودين المسيح لأزبلن ملكه ، ولأحفرن تحت قدميه ، فبعث إلى موسى بالطاعة ، وأقبل به فادخله المدائن ، بعد أن اعتقد لنفسه ولأصحابه عهداً رضىه واطمأن إليه ، ثم وصف له الأندلس ، ودعاه إليها ، وذلك فى عقب سنة تسعين . فكتب موسى إلى الوليد بتلك الفتوح وبما دعاه اليه يُليان ، فكتب إليه : أن خضها بالسرايا حتى تختبر ، ولا تُغرّر بالمسلمين فى بحر شديد الأهوال .

فكتب إليه : إنه ليس ببحر ، وإنما هو خليج ، يصف صفة ما خلفه للنظر .

فكتب إليه : وإن كان ، فاختبره بالسرايا .

فبعث رجلاً من مواليه ، يقال له : طريف ، ويكنى بأبى زُرعة ، فى أربعمائة ، ومعهم مائة فرس ، فسار فى أربعة مراكز ، حتى نزل بمراكبه جزيرة ، يقال لها : جزيرة الأندلس ، التى هى مَعبر مراكبهم ودار صناعتهم ، يقال لها : جزيرة طريف ، سُميت به لنزوله فيها . فأقام حتى تنام إليه أصحابه ، ثم نهض حتى أغار على الجزيرة ،

(١) طليطلة ، بضم الطاءين وفتح اللام ، وقيل بضم الأولى وفتح الثانية ، وهو الأكثر . (معجم البلدان : ٣ : ٥٤٥) .

فَأَصَابَ سَبِيًّا لَمْ يَرَ مُوسَى مِثْلَهُ وَلَا أَصْحَابَهُ ، وَمَا لَا جَسِيمًا ، وَرَجَعَ سَالِمًا
وَذَلِكَ فِي رَمَضَانَ سَنَةِ إِحْدَى وَتَسْعِينَ .

فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ تَسَرَّعُوا إِلَى الدَّخُولِ . فَدَعَا مُوسَى مَوْلَى لَهُ ، كَانَ
عَلَى مَقْدَمَاتِهِ ، يُقَالُ لَهُ : طَارِقُ بْنُ زِيَادٍ ، وَكَانَ فَارِسًا هَمْدَانِيًّا ، وَيُقَالُ : إِنَّهُ
لَيْسَ بِمَوْلَاهُ . وَأَنَّهُ مِنْ مَوَالِي صَدِيفَ ، فَبِعَثَهُ فِي سَبْعَةِ آلَافٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ
جُلُتْهُمْ الْبَرْبَرُ وَالْمَوَالِي ، لَيْسَ فِيهِمْ عَرَبٌ إِلَّا قَلِيلٌ ، فَدَخَلَ فِي تِلْكَ الْأَرْبَعِ
السُّفُنَ ، لِاصْنَاعَةِ لَهُمْ غَيْرَهَا ، وَذَلِكَ فِي سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَتَسْعِينَ .

فَاخْتَلَفَتْ السُّفُنُ بِالرِّجَالِ وَالْخَيْلِ . وَضَمَّهُمْ إِلَى جَبَلٍ عَلَى شَطِّ
الْبَحْرِ مَنِيْعٍ ، فَتَزَلَّهُ ، وَالْمَرَاكِبُ تَخْتَلِفُ حَتَّى تَوَافَى جَمِيعُ أَصْحَابِهِ .
وَكَانَ الْمَلِكُ ، لَمَّا بَلَغَتْهُ غَارَةُ طَرِيفٍ ، أَعْظَمَ ذَلِكَ ، وَكَانَ غَائِبًا قَدْ غَزَا
بَنِيْلُونَةَ (١) ، فَأَقْبَلَ مِنْهَا وَقَدْ دَخَلَ طَارِقُ . فَجَمَعَ لَهُ جَمْعًا ، يُقَالُ :
إِنَّهُ مِائَةُ أَلْفٍ ، أَوْ شَبِهُ ذَلِكَ .

فَمَا بَلَغَ إِلَى طَارِقٍ كَتَبَ إِلَى مُوسَى يَسْتَعِذُّهُ (٢) وَيُخْبِرُهُ أَنَّ قَدْ فَتَحَ
اللَّهُ الْجَزِيرَةَ وَاسْتَوْلَوْا عَلَيْهَا وَعَلَى الْبُحَيْرَةِ ، وَأَنَّهُ قَدْ زَحَفَ إِلَيْهِ مَلِكُ
الْأَنْدَلُسِ بِمَا لَاطَاقَةُ لَهُ بِهِ .

وَكَانَ مُوسَى مُذْ وَجَّهَ طَارِقًا أَخَذَ فِي عَمَلِ السُّفُنِ حَتَّى صَارَتْ مَعَهُ
سُفُنٌ كَثِيرَةٌ ، فَحَمَلَ إِلَيْهِ خَمْسَةَ آلَافٍ ، فَتَوَافَى الْمُسْلِمُونَ بِالْأَنْدَلُسِ ،
عِنْدَ طَارِقٍ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا ، وَقَدْ أَصَابُوا سَبِيًّا كَثِيرًا وَرَفِيعًا ، وَمَعَهُمْ
يَلِيَانُ فِي جَمَاعَةٍ مِنْ أَهْلِ الْبَلَدِ يَدُلُّهُمْ عَلَى الْعُورَاتِ وَيَتَحَسَّسُ لَهُمُ الْأَخْبَارُ .

(١) بَنِيْلُونَةُ : مَدِينَةُ بِالْأَنْدَلُسِ مِنْ نَوَاحِي سَرَقَنْطَةِ (صَفَةِ جَزِيرَةِ

الْأَنْدَلُسِ : ٥٥) .

(٢) الْأَصْلُ : « يَسْتَعِذُّهُ » ، تَحْرِيفٌ .

فَأَقْبَلَ إِلَيْهِمْ لُذْرِيْق ، ومعه خِيَارُ أَعَاجِمِ الْأَنْدَلُسِ وَأَبْنَاءُ مَلُوكِهَا ، فلما بَلَغَتْهُمْ عِدَّةُ الْمُسْلِمِينَ وَبَصَائِرُهُمْ (١) تَلَاقَوْا بَيْنَهُمْ ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : هَذَا ابْنُ الْخَبِيثَةِ قَدْ غَلَبَ عَلَى سُلْطَانِنَا وَلَيْسَ مِنْ أَهْلِهِ ، وَإِنَّمَا كَانَ مِنْ سُفَّالِنَا ، وَهَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَاحَاجَةٌ لَهُمْ بِإِيْطَانِ بِلَدِنَا ، إِنَّمَا يَرِيدُونَ أَنْ يَمْلُثُوا أَيْدِيَهُمْ ثُمَّ يَخْرُجُونَ عَلَيْنَا ، فَانْهَزَمَ بَنُو بَابِنِ الْخَبِيثَةِ إِذَا لَقِينَا الْقَوْمَ . فَأَجْمَعُوا لِلذَّكَ ، وَكَانَ « لُذْرِيْقٌ قَدْ وَلَّى شَشْبَرْتَ مَيْمَنْتِهِ ، وَأَبَّةٌ مَيْسِرْتِهِ ، وَهُمَا ابْنَا (٢) الْمَلِكِ غَيْطِشَةَ الَّذِي كَانَ مَلِكًا قَبْلَهُ ، وَهُمَا رَأْسٌ مِنْ أَدَارٍ عَلَيْهِ الْإِنْهَزَامُ .

فَأَقْبَلَ فِي جَيْشٍ جَحْفَلَ نَحْوَ الْمِائَةِ الْأَلْفِ ، وَذَلِكَ أَنَّ الْأَنْدَلُسَ قَدْ كَانَتْ جَاعَتْ سَنَةَ ثَمَانَ وَثَمَانِينَ ، فَضَارَتْ (٣) جَوْعًا سَنَةَ ثَمَانَ وَسَنَةَ تِسْعٍ وَسَنَةَ تِسْعِينَ ، وَوَبِئَتْ حَتَّى مَاتَ نِصْفُ أَهْلِهَا أَوْ أَكْثَرُ ، ثُمَّ كَانَتْ سَنَةً إِحْدَى وَتِسْعِينَ ، وَهِيَ بِالْأَنْدَلُسِ سَنَةُ طَرِيفِ سَنَةِ خَلْفٍ (٤) .

فَالْتَقَى لُذْرِيْقٌ وَطَارِقٌ ، وَهُوَ بِالْجَزِيرَةِ ، بِمَوْضِعٍ يُقَالُ لَهُ : الْبُحَيْرَةُ ، فَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا ، فَانْهَزَمَتِ الْمَيْمَنَةُ وَالْمَيْسِرَةُ ، انْهَزَمَ بِهِمْ شَشْبَرْتَ وَأَبَّةٌ ، ابْنَا غَيْطِشَةَ ، ثُمَّ قَابَلَ الْقَلْبُ شَيْئًا مِنْ قِتَالٍ ، ثُمَّ انْهَزَمَ لُذْرِيْقٌ ، وَأَذْرَعُ (٥) فِيهِمُ الْمُسْلِمُونَ بِالْقِتْلِ ، وَغَابَ لُذْرِيْقٌ فَلَمْ يُدْرَ أَأَيْنَ وَقَعَ ،

(١) الْبَصَائِرُ : جَمْعُ بَصِيرَةٍ ، وَهِيَ مَا يَتَّخِذُ جَنَّةً ، كَالدَّرْعِ وَالتَّرْسِ .

(٢) الْأَصْلُ : « أَبْنَاءُ » .

(٣) الْأَصْلُ : « فِدَارَت » ، تَحْرِيفٌ .

(٤) خَلْفٌ ، أَيْ عَوْضٌ وَبَدَلٌ .

(٥) أَذْرَعُ : أَكْثَرُ .

إلا أن المسلمين وجدوا فرسه الأبيض ، وكان عليه سرج له من ذهب
مُكَلَّل بالياقوت والزُّبرجد ، ووجدوا حُلة من ذهب مَكَلَّلة بالدر والياقوت ،
قد ساخ الفرُس في الطين ، وفي السُّواخ (١) وقع فيه وغرِق العُلجُ ،
فلما أخرج رجله ثبت الخف في الطين ، والله أعلم ما كان من أمره ، لم
يسمع له خبر ولا وجد حياً ولا ميتاً .

ثم مضى طارق إلى مضيق الجزيرة ، ثم إلى مدينة إِسْتِجَةَ (٢) ،
فلقى فيه أهلها ، ومعهم قُلٌّ من العسكر الأعظم ، فقاتلوه قتالاً شديداً حتى
كثر القتل والجراح في المسلمين ، ثم إن الله أنزل عليهم نصره وهزم
المشركين . فلم يلقوا حرباً مثلاً .

فورد طارق عيناً من مدينة إِسْتِجَةَ على نهرها ، على أربعة أميال ،
فسميت العين : عين طارق . وقذف الله الرعب في قلوب العُلوج لما رأوه
أَقْحَمَ (٣) في البلد ، وكانوا يظنون أنه يفعل فعل طَريف ، فهربوا
إلى طُلَيْطَلَة ، وغلَّقوا مدائن الأندلس .

وأقبل يُليان إلى طارق فقال له : قد فرغت بالأندلس . وهؤلاء
أدلاء من أصحابي ، فَرَّقْ معهم جيوشك وخُذْ أنت إلى طُلَيْطَلَة .

ففرق جيوشه من إِسْتِجَةَ ، فبعث مُغِيثَا الرُّومِيَّ ، مولى الوليد بن
عبد الملك ، إلى قُرْطَبَة ، وكانت من أعظم مدائنهم ، وهى اليوم قصبة

(١) السواخ ، بالضم : الوحل الشديد .

(٢) استجة ، بالكسر ثم السكون وكسر التاء فوقها نقطتان وجم
وهاء . (معجم البلدان : ١ : ٢٤٢) . وجاءت مشددة الجيم ضبط قلم في صفحة
جزيرة الأندلس (ص : ١٤) .

(٣) المسموع : قحم .

الأندلس وقيروانها وموضع ملكها ، في سبعمائة فارس ، لم يبعث معهم راجلاً واحداً ، ولم يكن بقي من المسلمين راجلٌ إلا ركب ، وبعث جيشاً إلى مدينة رية (١) ، وبعث إلى غرناطة ، مدينة البيرة ، وسار هو في عظم الناس ، يُريد طليطلة .

وسار مُغيث حتى أتى قرطبة فكمن بقرية شقُندة في غائضة أرز ، كانت بين قرية شقُندة وقرية طرسيل ، وبعث من معه من أدلائه ، فاقتنصوا له راعي غنم ، فأوردوه عليه وهو في الغائضة بغنمه ، فسأله عن قرطبة ، فقال له : رحل عنها عظماء أهلها إلى طليطلة ، وأبقوا فيها ملكها في أربعمائة من حُماتهم مع ضعفاء أهلها . ثم سأله عن حصانة سورها ، فأخبره أنه حصين إلا أن فيه ثغرة فوق باب السور ، وهو باب القنطرة ، ووصف لهم الثغرة .

فلما أجنَّهم الليل أقبل مُغيث ، ومما هياً الله له الفتح أرسل له السماء برذاذ مختلط بقطط (٢) ، فأقبل على نهر قرطبة ليلاً ، وقد أغفل حرس السور الحراسة خوفاً من البرد والمطر ، فإنما تسمع صيحات (٣) ضعيفة متفاوتة .

فدخل القوم حتى عبروا النهر ، وليس بين النهر والسور إلا قدر ثلاثين ذراعاً أو أقل ، فرأوا التعلق بالسور فلم يجدوا متعلقاً ، فرجعوا إلى الراعي فأقبلوا به فدلَّهم على الثغرة ، وإذا هي ثغرة ليست مستأصلة ، وفي أسفلها شجرة تين ، فرأوا التعلق بها فتعذَّر ذلك ، حتى صعد رجل

(١) قيدت بالعبارة في معجم البلدان لياقوت (٢ : ٨٩٢) بفتح أولها وتشديد ثانيها . وضبط قلم في صفة جزيرة الأندلس (ص : ٧٩) بفتح فتشديد الياء مضمومة .

(٢) القطقط : المطر المتتابع . (٣) الأصل : « صياحا » .

من المسلمين في أعلاها ، ثم نزع مُغيث عمامته ، فناوله طرفها ، ثم ارتقى الناس حتى كثروا على السور ، وركب مُغيث حتى وقف بباب الصورة من خارج ، وأمر أصحابه الذين دخلوا المدينة بالهجوم (١) على حُرَّاس (٢) باب الصورة ، وهو باب القنطرة ، والقنطرة يومئذ قد تهدمت ، لم تكن بقُرْطبة قنطرة ، فهجم المسلمون على حُرَّاس (٣) باب الصُّورة . وكان يُقال لها إذ ذاك : باب الجزيرة . فقتلوا فيهم ، وهزموهم وكسروا الأقفال .

فدخل مُغيث بجماعة من معه من أصحابه وعُيونه وأدلائه ، فصمد (٤) إلى البلاط ، فلما بلغ المَلِكَ دخولهم خرج في جملة أصحابه ، وهم أربعمائة أو خمسمائة ، ومن خرج معه من باب المدينة الغربي . يقال له : باب إشبيلية ، فتحصَّن بكنيسة في غربى المدينة حصينة ذات بُنيان وتقانة (٥) . وهى : شنت أجليح ، فدخلها ، ودخل مُغيث بلاط قُرطبة فاخبطه . ثم خرج يوماً آخر فحصر العلوج بالكنيسة . وكتب إلى طارق بالفتوح .

ومضى الجيش الذى توجه إلى رِيَّة ففتحها ، ونجا علوجُها إلى جبال مُمتنعة . ومضى ليلحق بالجيش المتوجه إلى إلبيرة (٦) ، فحصرها

(١) الأصل : « بالهجم » .

(٢) الأصل : « أحراس » .

(٣) الأصل : « أحراس » .

(٤) صمد إلى : قصد إلى .

(٥) تقانة : إتقان .

(٦) انظر الحاشية (رقم : ١ ص : ٢٢) .

مدينتها فافتتحت ، فَأَلْفَوْا بِهَا يَوْمَئِذٍ يَهُودًا ، وَكَانُوا إِذَا أَلْفَوْا الْيَهُودَ بِبِلَدَةٍ ضَمَوْهُمْ إِلَى مَدِينَةِ الْبَلَدِ ، وَتَرَكَوْا مَعَهُمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ طَائِفَةً .

وَمَضَى عَظُمُ النَّاسِ ففعلوا ذلك بِغَرْنَاطَةِ ، مَدِينَةِ الْبَيْرَةِ (١) ، وَلَمْ يَفْعَلُوا ذَلِكَ بِمَالَقَةِ ، مَدِينَةِ رَيَّةَ ، لِأَنَّهُمْ لَمْ يَجِدُوا بِهَا يَهُودًا وَلَا عِمَارَةً . وَإِنَّمَا كَانُوا لَاذُوا بِهَا وَقْتَ حَاجَتِهِمْ .

ثُمَّ مَضَى إِلَى تَدْمِيرِ (٢) ، وَإِنَّمَا سُمِّيَتْ : تَدْمِيرُ ، بِاسْمِ صَاحِبِهَا . وَإِنَّمَا كَانَ يُقَالُ لَهَا : أُورِيُولَةُ ، فَلَقِيَهُمْ صَاحِبُهَا فِي جَيْشٍ جَحْفَلٍ . فَقَاتَلَهُمْ قِتَالًا ضَعِيفًا ، ثُمَّ انْهَزَمَ فِي فَحْصِ (٣) لَايَسْتُرَ شَيْئًا . فَوَضَعَ الْمُسْلِمُونَ فِيهِمُ السَّلَاحَ حَتَّى أَفْنَوْهُمْ . وَلَجَأَ مَنْ بَقِيَ إِلَى الْمَدِينَةِ أُورِيُولَةَ . وَلَيْسَتْ فِيهِمْ بَقِيَّةٌ وَلَا عِنْدَهُمْ مَدْفِعٌ ، وَكَانَ تَدْمِيرُ صَاحِبَهُمْ مُجَرَّبًا شَدِيدَ الْعَقْلِ . فَلَمَّا رَأَى أَنَّ لَابَقِيَّةَ فِي أَصْحَابِهِ أَمَرَ النِّسَاءَ فَنَشَرْنَ شَعُورَهُنَّ وَأَعْطَاهُنَّ الْقَصَبَ وَأَوْقَفَهُنَّ عَلَى سُورِ الْمَدِينَةِ . وَأَوْقَفَ مَعَهُنَّ بَقِيَّةَ مَنْ بَقِيَ مِنَ الرِّجَالِ فِي وَجْهِ الْجَيْشِ ، حَتَّى عَقَدَ عَلَى نَفْسِهِ ، ثُمَّ هَبَطَ بِنَفْسِهِ كَهَيْئَةِ الرِّسُولِ . فَاسْتَأْمَنَ فَأَمَّنَ ، فَلَمْ يَزَلْ يُرَاوِضُ أَمِيرَ ذَلِكَ الْجَيْشِ حَتَّى عَقَدَ عَلَى نَفْسِهِ الصُّلْحَ ، وَعَلَى أَهْلِ بَلَدِهِ ، فَصَارَتْ تَدْمِيرُ صُلْحًا كُلِّهَا . لَيْسَ مِنْهَا عَنُوةٌ ، قَلِيلٌ وَلَا كَثِيرٌ ، وَعَامِلُهُمْ عَلَى تَرْكِ أَمْوَالِهِ فِي يَدَيْهِ ، فَلَمَّا فَرَّغَ أَبْرَزَ لَهُمْ اسْمَهُ وَأَدْخَلَهُمُ الْمَدِينَةَ ، فَلَمْ يَرَوْا فِيهَا أَحَدًا عِنْدَهُ مَدْفِعٌ . فَتَنَدَّمَ الْمُسْلِمُونَ ، وَمَضَوْا عَلَى مَا أَعْطَوْهُ ، وَكَتَبُوا بِالْفَتْوحِ إِلَى طَارِقٍ .

(١) الْبَيْرَةُ : الْأَلْفُ فِيهَا أَلْفُ قَطْعٍ وَلَيْسَ بِالْأَلْفِ وَصَلٍ ، بَوَزْنٍ : إِخْرِيطَةٌ ، وَبَعْضُهُمْ يَقُولُ : بِالْبَيْرَةِ . (مَعْجَمُ الْبِلْدَانِ : ١ : ٣٤٨) .

(٢) انْظُرِ الْحَاشِيَةَ (رَقْمٌ : ١ ص : ٢٣) .

(٣) الْفَحْصُ : كُلُّ مَوْضِعٍ يَسْكُنُ .

وأقام بتدمير (١) مع أهلها رجال ، ومضى عظم الجيش إلى طليطلة إلى طارق ، وأقام مُغيث محاصراً للعلوج في كنيسة قرطبة ثلاثة أشهر ، حتى طال عليهم الحصار ، فبينما هم صبيحة يوم إذ أتى مُغيث ، فقليل له : قد خرج العِلجُ هارباً وحده مُنسلأً يريد جبل قرطبة ليلحق بأصحابه بطليطلة ، وترك أصحابه في الكنيسة ، فاتَّبعهم مُغيث وحده ، ليس معه أحد ، فلما أبصره هارباً تحته فرسٌ أصفر يُريد قرية قَطْلَبيرة ، فالتفت العِلج ، فلما أبصر مُغيثاً قد حَرَّكَ فرسه عليه دَهش ، فخرج عن طريقه فأنى خندقاً ، فوثب الفرس واندقت رقبتة ، وأقبل مُغيث والعِلج جالس على تُرسه مستأسراً ، فأسره مُغيث ، ولم يُؤسر من ملوك الأندلس غيره ، منهم من اعتقد على نفسه أماناً ، ومنهم من هرب إلى جَلِيْقِيَّة (٢).

ورجع مُغيث إلى بقية العلوج ، فاستنزلهم أسرى ، فضرب أعناقهم ، فسُمِّيت تلك الكنيسة : كنيسة الأسرى ، وحبس ذلك العِلج ليقدم به إلى أمير المؤمنين ، وجمع يهود قرطبة فضمَّهم إليها ، واختط قصبتها لنفسه ، والمدينة لأصحابه .

وسار طارق حتى بلغ طليطلة ، وختل بها رجالاً من أصحابه ، فسلك إلى وادى الحجارة ، ثم استقبل الجبل فقطعه من فجٍّ يسمى : فج طارق ، وبلغ مدينة خلف الجبل تسمى : مدينة المائدة ، وإنما سميت : مدينة المائدة ، لأنه وجد فيها مائدة سليمان بن داود — عليه السلام — من زبرجد ، خضراء منها حافاتها وأرجلها ، ولها ثلثائة رجل ، وخمسة وسبعون رجلاً .

(١) تدمير ، بالضم ثم السكون وكسر الميم وباء ساكنة وراء . (معجم البلدان : ١ : ٨٣٠) .

(٢) انظر الحاشية (رقم : ٢ ص : ٣٤) .

ثم مَضَى إلى مدينة أَمَايَا ، فَأَصَابَ بِهَا حَلِيًّا وَمَالًا وَلَمْ ... (١) .

ثم رَجَعَ إلى طُلَيْطَلَةَ في سنة ثلاث وتسعين .

ثم دخل موسى بن نصير في رمضان سنة ثلاث وتسعين في جماعة الناس ، يقال معه ثمانية عشر أَلْفًا ، وقد بلغه ماصنع طارق ، فحسده ، فلما نزل الجَزِيرَةَ قِيلَ لَهُ : اسلك طريقَه ، قال : ماكنت لَأَسلك طريقَه قال له العُلُوجُ الأَدْلَاءُ : نحن ندلك على طريق هو أَشرف من طريقه ، ومدائن هي أَعظم خَطْبًا من مدائنه ، لم تُفْتَحْ بعدُ ، يفتحها الله عليك ، إِنْ شَاءَ اللهُ .

فامتلاً بذلك سروراً ، فكان فِعْلُ طارق قد غَمَّهُ ، فساروا به إلى مدينة شَدُونَةَ ، فافتتحتها عَنوة ، أَلْقَوْا بِأَيْدِيهِمْ إِلَيْهِ ، ثم سار إلى مدينة قَرْمُونَةَ (٢) ، فَقَدَّمَ إِلَيْهَا العُلُوجُ الَّذِينَ مَعَهُ .

وهي مدينة ليس بالَأَنْدَلُسِ أَحْصَنَ مِنْهَا وَلَا أَبْعَدَ مِنْ أَنْ تُرْجَى بِقِتَالٍ أَوْ حِصَارٍ ، وقد قيل له حين دنا منها (٣) : ليست تُؤْخَذُ إِلَّا بِاللُّطْفِ ، فَقَدَّمَ إِلَيْهَا عُلُوجًا مِمَّنْ قَدْ أَمَّنَهُ وَاسْتَأْمَنَ إِلَيْهِ . مثل يُليَانِ ، وَلَعَلَّهُمْ أَصْحَابُ يُليَانِ ، فَاتَّوَّهُمُ عَلَى حَالِ الْأَفْلالِ (٤) ، مَعَهُمُ السِّلَاحُ . فَادْخَلُوهُمْ مَدِينَتَهُمْ ، فلما دَخَلُوهَا بَعَثَ إِلَيْهِمُ الْخَيْلَ لَيْلًا ، وَفَتَحُوا لَهُمْ بَابَ قَرْطَبَةَ ، فَوَثَبُوا عَلَى حُرَّاسِهِ (٥) ، وَدَخَلَ الْمُسْلِمُونَ قَرْمُونَةَ (٢) .

(١) بياض بالأصل .

(٢) هذا ما عليه الأكثر ، ويقال فيها : قَرْمُونِيَّةُ (معجم البلدان : ٤ : ٦٩) .

(٣) الأصل : « دعا إليه » .

(٤) الأفلال : جمع فل ، وهم القوم المنهزمون .

(٥) الأصل : « أحراسه » .

ومضى موسى إلى إشبيلية ، وهى أعظم مدائن الأندلس شأنًا وخطبًا ، وأعجبها بُنيانًا وآثارًا ، وكانت دار الملك قبل غلبة القوطيين على الأندلس ، فلما غلبت القوطيون حولوا السلطان إلى طليطة وبقى شرف الرومانيين وفقههم ودينهم ورياستهم فى دُنياهم بإشبيلية .

فأتاها موسى بن نصير حتى حصرها أشهرًا ، ثم إن الله فتحها ، وهرب العلوج إلى مدينة باجة ، فضم موسى يهودها ، ومضى إلى مدينة ماردة : كانت أيضًا دار بعض ملوك الأندلس ، ذات آثار وقنطرة وقصور وكنائس تفوق الوصف ، فحصرها ، وقد كان أهلها خرجوا إليه ، وزحمتهم دفعة . فقاتلوه من سورها على قدر ميل أو أكثر قتالا شديدًا . فلما رأى خروجهم إليه أبصر فيها حفرة ، كانت مقاطع للصخر ، فأكمن فيها الرجال والخيال ليلا . فلما أصبح زحف إليهم : فخرجوا إليه كهيئة خروجهم بالأمس ، فركبهم المسلمون ، وخرج عليهم الكمين وقتلوا قتلاً ذريعاً ، ونجا من نجا منهم إلى المدينة ، وهى مدينة حصينة لها سور لم يبن الناس مثله ، فثبت عليهم يُقاتلهم أشهرًا ، حتى عمل دبابه ، فدب المسلمون تحتها إلى برج من أبراجها : فنقبوا صخره ، فلما نزعوا صخره أفضوا فى داخله إلى الصماء التى يقال لها : اللآشة ماشة (١) ، بلسان أهل الأندلس ، فنبت عنها معاولهم وفئوسهم ، فبينما هم يضربون فيها إذ استفاق عليهم العلوج ، فاستشهد المسلمون تحت الدبابه ، فسمى ذلك البرج : برج الشهداء ، إلى اليوم ، وما أقل من يعرف هذا ، وكان فتحه لها فى رمضان سنة أربع وتسعين يوم الفطر .

فلما كان من أمر الشهداء ما كان ، قال العلوج : قد كسرناه ،
فإن كان يوماً مجيباً إلى الصلح فاليوم ، فاطلبوه إليه .

فخرجوا إليه فآلفوه أبيض اللحية ، فراوضوه على شيء لم يوافقهم ،
ثم رجعوا ، فلما كان قبل العيد بيوم خرجوا إليه ليرأضوه ، فإذا هو قد شبب (١)
لحيته بالحناء ، فآلفوه أحمر اللحية ، فعجبوا ، وقال قائلهم : أظنه
يأكل ولد آدم ، أو ما هذا الذي رأيناه بالأمس .

ثم خرجوا إليه يوم الفطر ، فإذا اللحية سوداء ، فرجعوا إلى أهل
مدينتهم ، فقالو : يا حُمقاء ، إنما تقاتلون أنبياء يتخلّقون كيف شاءوا
يتشَبَّبون ، قد صار ملكهم حدثاً بعد أن كان شيخاً ، اذهبوا فاعطوه
ما سأل ، فصالحوه على أن جميع أموال القتلى يوم الكمين . وأموال
المُحَارِبِينَ إلى جَلِيْقِيَّة ، للمسلمين ، وأموال الكنائس وحليها له .

ثم فتحوا له المدينة يوم الفِطْرِ في سنة أربع وتسعين ، ثم إن عَجَم
أهل إشبيلية تحيّلوا على من بها من المسلمين ، وجاءوا من مدينة يقال لها
لَبْلَة ، ومدينة يقال لها : باجّة ، فقتلوا من بها من المسلمين ، قُتِلَ فيها
ثمانون رجلاً ، فقدم فلّهم على موسى بن نصير بماردة . فلما فتح ماردة
بعث ابنه عبد العزيز على جيش إلى إشبيلية ، فافتتحها ورجع .

ثم مضى موسى من ماردة ، في عقب شوال ، يُريد طليطلة ، وبلغ
طارقاً إقباله ، فخرج مُعظماً له متلقياً ، فلقبه بكورة طَلْبيرة (٢) بموضع

(١) الأصل : « شبب » .

(٢) طلبيرة ، بفتح أوله وثانيه وكسر الباء الموحدة ثم ياء مثناة من تحت
ساكنة وراء مهملة . (معجم البلدان : ٣ : ٥٤٢) .

يقال له : بابد (١) ، فلما رآه نزل إليه ، فوضع موسى السوط على رأسه وأنَّبه فيما كان من خلاف رأيه ، ثم سار به إلى مدينة طليطلة ، ثم قال له : احضُرني بما أصبت وبالمائدة : فأتاه بها ، وقد اقتلع رجلاً كسرهما من أرجلها ، فقال له : أين هذه الرجل ؟ فقال : إني لأعلم لى ، كذلك أصبتها ، فأمر بالرجل فعملت لها من ذهب ، وعُمل لها سَفَطٌ من خوص ، فأدخلها فيه ، ثم سار حتى افتتح سَرَقُسطه ومدائنها .

ثم جاء رسول الخليفة الوليد سنة خمس وتسعين ، فأخذ بعنان موسى ، فأخرجه من الأندلس ، وطارق معه ومُغيث ، وخلف ابنه عبد العزيز على الأندلس ، استخلفه على مدائنها وبلدانها ، وأسكنه إشبيلية ، وهى مدينة على نهر عظيم لا يُخاض ، فأراد أن تكون فيه سُفن المسلمين ، وتكون باب الأندلس .

فأقام عبد العزيز ، وخرج أبوه ومعه طارق ومُغيث ، ومع مُغيث العليج ملك قرطبة الذى أصاب بها .

وكان مُغيث يُدِلّ بمكان ولائه من الخلافة ، فبعث إليه موسى : هاتِ العليج ، فقال : والله لاتأخذه ، وأنا أقدم به على الخليفة ، فهجم عليه فنزعه منه ، ففيل له : إن سِرْتُ به حياً ، قال مُغيث : أنا أصبته ، ولكن اضرب عنقه ، ففعل .

ثم مضى حتى قدم على سليمان ، وقد مات الوليد .

ثم إن ابنه عبد العزيز تزوج امرأة بلذريق ، يقال لها : أم عاصم ، فهِمَّ بها ، فقالت له : إن الملوك إذا لم يتزوجوا فلا ملك لهم ، فهل لك أن

(١) كذا جاءت مهملة النقط .

أعمل لك مما بقى عندى من الجواهر والذهب تاجاً ؟ فقال لها : ليس هذا فى ديننا ، فقالت له : من أين يعرف أهل دينك ماأنت عليه فى خلوتك ؟ فلم تزل به حتى فعل ، فبينما هو يوماً جالس معها والتاج عليه . إذ دخلت امرأة كان قد تزوجها زياد بن النابغة التميمي . من بنات ملوكهم ، فرأته والتاج على رأسه ، فقالت لزياد : ألا أعمل لك تاجاً ؟ فقال : ليس فى ديننا استحلال لباسه ، فقالت : فودين المسيح إنه لعلى إمامكم ، فأعلم بذلك زياد حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع . ثم تحدثا به حتى علمه خيار الجند ، فلم تكن له همة إلا كشف ذلك ، حتى رآه عياناً ورآه أهله صدقاً ، فقالوا : تنصّر ، ثم هجموا عليه فقتلوه فى عقب سنة ثمان وتسعين ، والخليفة بعد سليمان بن عبد الملك .

وقد افتتح فى ولايته مدائن كثيرة .

ثم اجتمع أهل الأندلس ، بعد أن أقاموا سنين لا يجمعهم وال . على ابن حبيب اللخمى ، وكان رجلاً صالحاً يؤمّمهم لصلاتهم . فلما أطال بهم المقام بلا وال ولّوه أمرهم ، وحولوا السلطان إلى قرطبة فى أول سنة تسع وتسعين .

وكان مقتل عبد العزيز بن موسى فى عقب ثمان وتسعين ، فنزل أيوب بن حبيب البلاط بقرطبة ، الذى كان مغيثاً لنفسه . وذلك أن موسى بن نصير حين أقفله رسول الوليد أقبل على طريق ليختبر الأندلس ، فأقبل إلى قرطبة . فقال لمغيث : إن هذا البلاط ليس يصلح لك ، إنما يصلح لوالى قرطبة ، فاعتص (١) مكانه ، فاعتاض

(١) الأصل : « فاعتاض » .

مُغِيثَ دَاراً فوق باب الجزيرة ، وهو باب القنطرة ، مُقابل الثَّلمة التي دخل منها أصحابه حين افتتح قُرطبة ، وكانت دَاراً شريفة ذات سَقٍ وزيتون وثمار . يقال لها : اليَسَّانة (١) . كانت (٢) للملك الذي أسره ، وكان له فيها بلاطٌ مُنيف شريف ، فهي تُسمَّى بالأندلس : بلاط مُغِيث .

ولما بلغ سليمانُ مقتلَ عبد العزيز بن موسى شَقَّ ذلك عليه ، فولى إفريقية (٣) عبد الله بن يزيد (٤) ، لقريش . لأدري لمن مِنْ قُريش . وإلى والي إفريقية كان أمرُ الأندلس وطمَنجة ، وكل ماوراء إفريقية . وأمره سليمانُ : فيما فعله حبيبُ بن أبي عُبيدة ، وزباد بن النابغة ، من قتل عبد العزيز ، بأن يتشدَّد في ذلك ، وأن يُقفلهما إليه ، ومَنْ شرَّكهما في قتله من وجوه الناس .

ثم مات سليمانُ فسرَّحَ عبدُ الله بن يزيد ، والي إفريقية على الأندلس ، الحرَّ بن عبد الله الثقفي ، وأمره بالنظر في شأن قتل عبد العزيز ، فلم يَسْتقر بالحرِّ القرارُ حتى ولى عمر بن عبد العزيز — رحمه الله — الخلافة ، فعزل عبد الله بن يزيد عن إفريقية ، وولاه إسماعيل بن عبد الله ، مولى بني مَخزوم .

وذلك أن الخلفاء كانوا إذا جاءتهم جبايات الأمصار والآفاق يأتهم

(١) ليس لها مدلول في الأسبانية .

(٢) الأصل : « كان » .

(٣) الأصل ، هنا : « عبيد » .

(٤) الأصل هنا : « زيد » .

مع كل جباية عشرة رجال من وجوه الناس وأجنادها ، فلا يدخل بيت المال من الجباية دينار ولا درهم ، حتى يحلف الوجد بالله الذي لا إله إلا هو ما فيها دينار ولا درهم إلا أخذ بحقه ، وإنه فضل أعطيات أهل البلد من المقاتلة والذرية ، بعد أن أخذ كل ذى حق حقه .

فأتى وفد إفريقية بخراجها ، وذلك أنها لم تكن يومئذ ثغراً ، فكان ما فضل بعد أعطيات الأجناد وفرائض الناس يُنقل إلى الخليفة ، فلما وفدوا بخراج إفريقية في زمان سليمان ، أمروا بأن يحلفوا ، فحلف الثمانية ، ونكل إسماعيل بن عبيد الله : مولى بنى مخزوم ، ونكل بنكوله السّمح بن مالك الخولاني . فأعجب ذلك عمر بن عبد العزيز من فعلهما : ثم ضمّهما إلى نفسه ، فاختر منهما صلاحاً وفضلاً .

فلما ولي عمر ولّى إسماعيل إفريقية : وولى السّمح بن مالك الأندلس ، وأمره أن يُخمس أرضها ، ويُخرج منها ما كان عتوة ، خمسا لله من أرضها وعقارها ، ويُقرّر القرى في أيدي غتّامها . بعد أن يأخذ الخمس ، وأن يكتب إليه بصفة الأندلس وأنهارها . وكان رأيه انتقال أهلها منها لانقطاعهم عن المسلمين . ولّيت الله كان أبقاه حتى يفعل ، فإن مصيرهم إلى بوار ، إلا أن يرحمهم الله .

وقدّمها السّمح سنة مائة . فوضع يداً في السؤال عن العتوة . ليميزه من الصلح ، وفي إخراج البعوث . وبنى القنطرة . وذلك أنه كتب إلى عمر يستشيريه ويُعلمه أن مدينة قرطبة تهدّمت من ناحية غربها . وكان لها جسر يعبر عليه نهرها ، ووصفه بخموله (١) وامتناعه من الخوض الشتاء عامة ،

(١) الأصل « بخمله » والمسموع ما أثبتنا : يقال : خمل البناء خمولا ؛ إءا زالت آثاره .

فإن أمرني أمير المؤمنين ببنيان سور المدينة فعلت ، فإن قبلي قوة على ذلك من خراجها ، بعد عطايا الجند ونفقات الجهاد ، وإن أحب صرفت صخر ذلك السور فبنيت جسرهم .

فيقال - والله أعلم - : إن عمر - رحمه الله - أمر ببنيان القنطرة بصخر السور ، وأن يبنى السور باللبن ، إذا لا يجذله صخرًا .
فوضع يدًا فبنى القنطرة في سنة إحدى ومائة .

ثم هلك عمر - رحمه الله - فولّى يزيد بن عبد الملك بشر بن صفوان : أخا حنظلة بن صفوان . إفريقية . فعزل بشر السّوح بن مالك . وولّى عنبسة بن سحيم الكلبي .

ثم تابعت ولاية الأندلس بعد عنبسة . فولّوها يحيى بن مسلمة الكلبي ، ثم وليها بعد يحيى عثمان بن أبي سعيد الخنعمي . تسعة (١) ، ثم وليها بعد عثمان حذيفة بن الأحوص القيسي . ثم الهيثم بن عفير الكناني ، ثم عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي . وعلى يديه استشهد أهل البلاط الشهداء : واستشهد معهم واليهم عبد الرحمن .

وولّى عبد الملك بن قطن المحاربي ، محارب فهر . من قرش ، وولايته الأولى نحو من ستة أشهر . لم تطل .

وكان من وصفنا من الولاة يجاهدون العدو . ويتوسعون في البلاد ، حتى بلغوا إفريقية (٢) ، وحتى افتتحت عامة الأندلس .

وكل هؤلاء بشر بن صفوان كان يولّيههم بغير أمر الخليفة ، إذا

(٢) يريد : فرنسا .

(١) يريد : تسعة أشهر .

كره أهل الأندلس والياً كتبوا إليه فعزله عنهم وولاهم من يرضون ،
وكذلك إذا مات .

ثم ان هشام بن عبد العزيز - رحمه الله - بعث على مصر عبيد الله
ابن الحبحاب بن الحارث ، مولى بنى سلول ، من قيس ، وجعل إليه
أمر إفريقية والأندلس ، فأقرّ بشر بن صفوان على إفريقية ، وولّى
عقبة بن الحجاج الأندلس ، وهو موله : الحجاج أعتق الحارث .

فلما ولى عبيد الله مصر ، وقد شرف وبلغ ، وقد عليه عقبة موله ،
فأجلسه معه على فراشه ، ولعبيد الله أولاد لهم فى أنفسهم أخطار وفى
الناس ، فلما وجدوه جالسا معه نَحَرُوا (١) وعاتبوا أباهم . وقالوا : عمدت
إلى أعرابى فجَلَسْتَه معك ، وحولك وجوه قريش والعرب ، والله ليقعن ذلك
فى أنفسهم بحيثُ تكره ، وأنت شيخ لا نَأْسَى (٢) عليك . لعل الموت أن
يختلسك من أن تستنصر بعداؤف أحد ، وإنما نتوقع أن يبقى علينا العار ،
ومع ذلك لا نأمن أن يبلغ ذلك أمير المؤمنين فيقع من قلبه إعظامك
هذا وتصغيرك قريش ، فقال : يا بنى ، صدقم ، ولم أُلْتَرِ بالآلما ذكرتم ،
وأنا غير عائد .

فلما أصبح بعث إلى الناس فأجلسهم ، وبعث إلى عقبة فأجلسه
فى صدر المجلس ، وقعد هو عند رجله ، فلما اجتمع الناس وكثروا ،
بعث إلى أولاده ، فلما دخلوا عجبوا ، وعلموا أن الشيخ سيُطْلَع بِائْتِاقَةِ (٣) .

فقام عبيد الله على رجله ، فحمد الله وأثنى وصلى [على] (٤)

(١) نَحَرُوا : صوتوا بخياشيمهم استنكارا .

(٢) الأصل : « لا قاسى » . ويبدو أنها محرفة عما أثبتنا .

(٣) البائقة : الداهية والشر . (٤) تكملة يفتضها السياق .

النبي، صلى الله عليه وسلم ، ثم ذكر ما كان من قول أولاده ، ثم قال :
أيها الناس ، أشهد الله وإياكم ، وكفى بالله شهيدا ، أن هذا عقبه بن
الحجاج ، وأن الحجاج أعتق الحارث ، وأن أولادى هؤلاء لعب بهم
إبليس وعجبهم بأنفسهم ، فأردت أن أبرأ إلى الله من الكفر، ومن
حق هو لله ولهذا قبلى ، وخفت أن يترامى الحال بأولادى إلى إنكار
حق ، علمه الله ، بالتبرى من ولائى هذا وأبيه ، وأن يلعنهم الله
واللاعنون ، فإننى سمعت عن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، أنه قال :
ملعون من ادعى إلى غير نسبه ، ملعون من أنكر نعمة المنعم عليه ،
وإن أبا بكر الصديق - رحمه الله - قال : كُفِرَ بالله تبر بالنسب وإن
دق ، وكُفِرَ بالله ادعاء إلى نسب مجهول ، فكرهت لكم يابنى أن نبوء
بلعنة الله ولعنة اللاعنين ، فأكثر نظرى كان لنفسى ولكم ، وأما
قولكم : إن الأمر يقع لى عند أمير المؤمنين بحيث أكره ، كلاً ، أمير
المؤمنين - أبقاه الله - أحلم وأعلم بالله وأرعى لحقوقه من أن يكون
منه ما وصفتم ، بل يقع ذلك منه موقع رضاه .

فشكره الناس ودعوا له ، وقام ولده ، وقد أصغرهم الحق وأقمأهم (١) ،
والتفت إلى عقبه فقال له : يا سيدى ، حقك واجب ، وقد بسط لى
أمير المؤمنين - حفظه الله - ما ترى ، وأنت عند رضى ، فإن شئت
وليتك إفريقية ، ووليت صاحبها الأندلس إن أحب ، وإن شئت وليتك
الأندلس .

فاختار عقبه الأندلس ، وقال : إني أحب الجهاد ، وهى موضع
جهاد ، فولاه .

(١) أقمأهم : أذهم .

فدخل الأندلس سنة عشر ومائة ، فأقام عليها سنين ، وافتتح الأرض حتى بلغ أربونة (١) وافتتح جليقية (٢) . وألية (٣) . وببُلونة . ولم تبق بجليقية قرية لم تُفتتح غير الصخرة ، فإنه لاذ بها ملك يقال له : بيلاي ، فدخلها في ثلثائة رجل . فلم يزل يقاتلونه ويغاورونه حتى مات أصحابه جوعاً . وترامت طائفة منهم إلى الطاعة ، فلم يزلوا ينقصون حتى بقي في ثلاثين رجلاً ليست معهم عشر نسوة (٤) ، فيما يقال : إنما كان عيشهم بالعسل ، ولاذوا بالصخرة فلم يزلوا يتقوتون بالعسل معهم جباح النحل (٥) عندهم في خروج الصخرة (٦) .

وأعيا المسلمين أمرهم ، فتركوهم وقالوا : ثلاثون عِلْجاً ما عسى أن يكون أمرهم . واحتقروهم ، ثم بلغ أمرهم إلى أمر عظيم ، سذكركه إذا بلغنا موضعه . إن شاء الله .

فأقام عقبة على الأندلس . حتى لما كانت سنة إحدى وعشرين ، ثارت البربر على فرق الإباضية والشمسية . ورأسوا عليهم ميسرة المحفور المدغرى . فَرَجَعُوا إلى عامل طنجة عُمر بن عبد الله المرادى ،

(١) أربونة . يفتح أوله ويضم ثم السكون وضم الباء الموحدة وسكون الواو ونون وحاء . (معجم البلدان : ١ : ١٩٠) .

(٢) جليقية . بكسر تين ولام مشددة وباء ساكنة وقاف مكسورة وياء مشددة ونا . (معجم البلدان : ٢ : ١٠٩) .

(٣) الأصل : « وألية » . تهـ حيف : صوابها ما أثبتناه . وألية : بالضم ثم السكون وياء مشددة مفتوحة : قرية من نواحي إشبيلية وأخرى من نواحي إسنـ . (معجم البلدان : ١ : ٣٥٥) .

(٤) النسرة . بالفتح : الجرعة من الشراب .

(٥) جباح : النحل خلاياه . الواحدة : جبع .

(٦) في الأصل بعد هذا : « احتوزوا » .

فقاتلهم فقاتلوه ، ثم دَخَلُوا مَدِينَةَ طَنْجَةَ فقتلوا أَهْلَهَا ، يقال لِنَهِم قتلوا الصَّبِيَّانَ ، والله أعلم .

ثم رجعوا يريدون إفريقية ، وثب كلُّ قوم من البربر على من ياليهم ، فقتلوا وطردوا ، فلما شغل صاحب إفريقية ، وهو بَشْرُ بن صفوان ، بما حدث عليه ، وثب عبدُ الملك بن قطن المُحَارِبِيُّ ، محارب فِهْرٍ ، على عُقْبَةَ بن الحَجَّاج فخلعه ، ولا أدري أَقتله أم أخرجَه ، فملكها بقية إحدى وعشرين ، واثننتين وعشرين ، وثلاث وعشرين ، حتى دخل بَلَجُ بنُ بَشْرٍ القُشَيْرِيُّ ، ثم الكَعْبِيُّ ، بأهل الشام .
وقد وَصَفْنَا سبب دخوله في أَحَادِيث تَأْتِي بعد هذا .

رَجَعَ الْحَدِيثُ :

وَمَضَى مُوسَى بن نُصَيْرٍ فَقَدِمَ عَلَى سُلَيْمَانَ ، وَقَدْ مَاتَ الْوَلِيدُ سَنَةَ سِتٍّ وَتِسْعِينَ ، وَهُوَ ابْنُ سِتٍّ وَأَرْبَعِينَ ، وَلِدَ فِي خِلَافَةِ مُعَاوِيَةَ ، رَحِمَهُ اللَّهُ ، وَاسْتُخْلِفَ سُلَيْمَانُ ، فَابْتَدَرَهُ طَارِقٌ وَمُعَيْثٌ يَشْكُوَانِ إِلَيْهِ مُوسَى بِأَقْبَحِ الشَّكَايَةِ ، وَأَعْلَمَاهُ بِمَا صَنَعَ بِطَارِقٍ فِي الْمَائِدَةِ ، وَبِمُعَيْثٍ فِي الْمَلِكِ الْقُرْطُبِيِّ ، وَأَنَّهُ قَدْ أَصَابَ جَوْهَرًا لَمْ تَخْتَزِنِ الْمُلُوكُ بَعْدَ جَوْهَرِ فَارَسٍ مِثْلَهُ .

وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى اسْتَقْبَلَهُ الْخَلِيفَةُ سُلَيْمَانُ وَأَنَّبَهُ (١) بِفَعْلِهِ بِطَارِقٍ وَبِمُعَيْثٍ ، فَاعْتَذَرَ بِبَعْضِ الْعُذْرِ ، فَقَالَ لَهُ : الْمَائِدَةُ ، فَقَالَ : هِيَ ذَهَبٌ ، قَالَ : هَكَذَا كَانَتْ نَاقِصَةً الرَّجُلِ ؟ قَالَ : نَعَمْ . فَحَوَّلَ طَارِقٌ يَدَهُ إِلَى قَبَائِهِ (٢) فَأَخْرَجَ الرَّجُلَ ، فَعَلِمَ سُلَيْمَانُ كَذِبَ مُوسَى وَصَدَّقَ

(١) الْأَصْلُ : « وَابْنَهُ » ، تَحْرِيفٌ .

(٢) الْقَبَاءُ : الثَّوبُ وَالْقَمِيصُ .

طارقاً في كل ما رَفَعَ إليه ، وأمر بموسى فَحَبَسَهُ وأَغْرَمَهُ غَرماً عظيماً ، حتى سَأَلَ العربَ ، فيقال : إِنَّ لَحْماً جَعَلَتْ عَنْهُ فِي إِعْطَائِهَا سَبْعِينَ أَلْفاً ذَهِباً .

وذلك أَنَّهُ كَانَ تَزَوَّجَ امْرَأَةً مِنْ لَحْمٍ ، وَلَهَا ابْنٌ شَرِيفٌ ، وَهُوَ غَلامٌ ، فَكَفَلَهُ وَرَبَّاهُ وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ ، فَشَكَرَتْ (لَهُ) (١) ذَلِكَ لَحْمٌ .
وَيُقَالُ : إِنَّهُ كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ لَحْمٍ صِهْرٌ ، كَانَ عَلَى أُخْتِ حَبِيبِ اللَّحْمَى .

وعلى ابنه اجتمع أهلُ الأندلس حين قتلوا عبدَ العزيز بن موسى .
وهذا أكثر ما بأيدي الناس من مُؤالفتِهِ لِلْحَمِّ .

خروج كلثوم بن عياض القشيري إلى إفريقية

أَخْرَجَهُ هِشَامُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَعَسَكَرَ ، وَنَدَبَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَعَهُ النَّاسَ ، وَجَعَلَ وَلِيَّ عَهْدِهِ إِنْ هَلَكَ ، وَكَانَ شَيْخاً كَبِيراً ، ابْنُ أَخِيهِ بَلَجُ بْنُ بَشْرٍ ، فَإِنْ هَلَكَ بَلَجٌ فَثَعْلَبَةُ بْنُ سَلَامَةَ الْعَامِلِي .
وَأَخْرَجَ ثَعْلَبَةَ عَلَى جُنْدِ أَهْلِ الْأُرْدُنِّ ، وَنَدَبَ مِنْ أَجْنَادِ الشَّامِ ، مِنْ كُلِّ جَنْدٍ ، سِتَّةَ آلَافٍ ، وَمِنْ أَهْلِ قَنْسَرِينَ ثَلَاثَةَ آلَافٍ ، فَأَخْرَجَهُ مِنَ الشَّامِ فِي سَبْعَةِ وَعَشْرِينَ أَلْفاً .

ثُمَّ تَحَرَّكَ بِجِيوشِهِ ، وَقَدْ أَبَاحَ لَهُ الْإِبَاحَاتُ ، وَوَضَعَ لَهُ الْأَطْوِيَاءَ (٢)
فَأَخْرَجَ كُلَّ شَابٍ يُرْجَى صَبْرُهُ وَجَلَدَهُ ، ثُمَّ أَقْبَلَ إِلَى مِصْرَ فَأَخْرَجَ مِنْ أَهْلِهَا ثَلَاثَةَ آلَافٍ ، فَتَمَّ بَعَثُهُ ثَلَاثِينَ أَلْفاً مِنْ أَهْلِ الدِّيَّوَانِ ، سِوَى مَنْ تَبِعَهُمْ مِنَ النَّاسِ .

(١) تَكْمِلَةُ يَتَضَعُهَا السِّبَاقُ .

(٢) كَذَا ، وَلَعَلَّهُ يَرِيدُ : مَا يَطْوِي وَيَسْتَرُ .

وأمر أمير المؤمنين في عهده إليه أَنْ يُطِيع هارون القرنيّ . مولى معاوية بن هشام ، ومُغيثاً ، مولى الوليد ، لمعرفتهما بالبلد ، وكتب إلى عامل إفريقية : إِنَّ طَاعَتَكَ إِلَى كَلثُومِ بْنِ عَدْرٍ ، فَأَخْرِجْ مَعَهُ كُلَّ مَنْ قَبْلَكَ مِنَ الْأَجْنَادِ وَأَهْلِ التَّطَوُّعِ .

وأقبل كَلثُومٌ حَتَّى نَزَلَ إِفْرِيقِيَّةً ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ مِنْهَا ، فَمَا يُقَالُ (١) ، بَشَرٌ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ إِفْرِيقِيَّةٍ ، وَمَنْ كَانَ مَعَهُ مِنْ أَهْلِ طَنْجَةَ مِنَ الْعَرَبِ ، حَتَّى تَمَّ بَعْثُهُ سَبْعِينَ أَلْفًا ، وَجَعَلَ عَلَى رَجَالَةِ إِفْرِيقِيَّةٍ مُغِيثًا ، وَجَعَلَ عَلَى خَيْلِهَا هَارُونَ الْقُرْنِيُّ .

وباغ البربر وميسرة إقباشم ، فجمعوا . وقد وصفتنا ما ألبههم وحضهم على الخروج .

وقد يقول مَنْ يطعن على الأئمة : إنهم إنما خرجوا ضيقاً من سير عمّالهم ، وإن الخليفة وولده كانوا يكتبون إلى عمّال طنجة في جلود الخرفان العسليّة ، فتدبج مائة شاة ، فربما لم يوجد فيها جلد واحد .

وهو قول أهل البُخض للأئمة ، فإن كانوا صدقوا فما بالُ التحكيم فشا فيهم . ورفع المصاحف . وحلّق الرؤوس ، اقتداءً بالأزارقة وأهل النُّهروان أصحاب الراسيّ عبد الله بن وهب . وزيد بن حصن .

فأقبل ميسرة ، قد جمع جُموعاً ليس يُحصى عددها ، حتى لقي كَلثُومَ ابنِ عِيَاض . بموضع يقال له : بَنْشُورَة (٢) .

فلما رأى كَلثُومُ ما انحاس عليه (٣) ، خندق . ثم أتى هارونَ

(١) الأصل : « فَمَا يُقَالُ » .

(٢) كذلك . ريدل فيه : نَنْشُورَة ، ونَنْشُورَة .

V. Slane Histoir des berbères, tome : I)

(٣) انحاس عليه . انزاع : ما أحاط به وعشيه .

ومغيثٌ ، فقال له : خندق أيها الأمير وتلوم بالكراديس (١) ، وأعطنا الخيل
نخالفهم إلى قُراهم ودُورهم (٢) ، فَهَمَّ بذلك ، حتى جاء ابنُ أخيه ، وولى
عهده بَلَجٌ ، وكان لا يعصيه ، فقال : لا تفعل ، ولا ترعك كثرة هؤلاء ،
فإن أكثرهم عُريَانٌ أعزل لاسلاح لهم .

فناشبههم القتال ، وعلى خيله بَلَجٌ ، وعلى خيل إفريقية هارون
القُرْنَى : وعلى رجالة إفريقية مُغيث ، ونزل كلثوم في رجالة أهل
الشام ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، وجعل بَلَجٌ يشدُّ عليهم بخيله ، فيستقبلونه
بالجلود اليابسة فيها الحجارة ، فتنفر خيلُ أهل الشام ، وعمدوا إلى
الرَّمَك (٣) الصَّعبة فعلقوا في أذنانها القرب والأنطاع اليابسة ، ثم
وجَّهوها نحو عسكر كلثوم ، فنفرت الخيل ، ونادى الناس ، فنزل
أكثرهم ، وكان ذلك حاجة البربر لكثرتهم . وأنهم لم تكن لهم خيل
تكافئ خيل المسلمين .

فلما نزلوا بقي بَلَجٌ في طائفة من خيله اثني عشر ألفاً ، ويقال :
سبعة آلاف . وهو أصبح العديدين .

فلما نزل الناس ، وقد اقتحمت الرُّوم التي وصفنا ، فانتقضت
الصفوف ، وزحفت البربر : وبَلَجٌ يشد عليهم ، ولا تكاد تقدّر عليهم
خيله لما كانت تُنفّر به ، وأقبلوا راجعين حتى خالطوا صُنفوف أهل
الشام ، وحتى لم تجد الخيل موضعاً تشد فيه .

(١) تلوم : تلبث وانتظر . والكراديس : الجماعات العظيمة من الخيل .

(٢) الأصل : « ودرارهم » .

(٣) الرَّمَك : جمع رمكة ، وهي الفرس ، والبرذونة تتخذ للنسل .

فلما رأى بَلَجُ شدة قُحومهم (١) شدَّ شدة اشتعال (الغضب) (٢) حتى شقَّ جمعهم كله ، فذهب يَكُرُّ . فاستقبلوه بالقتال . فصارت طائفة تُقاتل كلثومًا وطائفة تقاتل بَدَجًا . فحاولوا بينه وبين الرجوع إلى عسكره . وصار في دُبُر عسكر البربر يقاتله طوائف منهم قد كاثروه وزادوا . ومضى عَظُمُ الناس مع ميسرة حتى لصقوا بكلثوم . فقتل حبيب بن أبي عبيدة القرشي . وقتل مُغيث . وقتل هارون . وانهمزت خيل أهل إفريقية ورجالها ، وثبت كلثوم ، فمرَّ رجل من أهل الشام . فلقد أخبرني من لا أتهم : أنه ضَرب على رأسه بسيف . فوقعت فروة رأسه على عَينيه ، فردَّها ، ثم نادى في أصحابه . فدَبُّوا عنه ذبًا ضعيفًا . وهو يقول (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم) (٣) ، يتلو الآية . ثم تلا (وما كان لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كتابًا مؤجلًا) (٤) .

فهو يقرأ هذه الآية حتى شدَّت البربر شدةً أخرى ، فصرع وقتل أصحابه ، ولم تؤخذ الراية بعد ، وانقصفوا انقصافة (٥) قبيحة لأرجعة لها ، وركب منهم من ركب منهزمًا إلى إفريقية ، وأتبعوهم يقتلونهم ويأسرونهم ، فنُلَّت أهل الجيش مقتول ، وثُلث منهزم ، وثُلث مأسور ، وبلَجُ يقاتل أهل مُعسكرهم ، قد أوقفهم وأوقفوه ، وقد أذرع فيهم القتل ، ولكنهم من كثرتهم ، لا يُحصَى من قد قتل

(١) الأصل : « إقحامهم » ، وهو غير مسموع في هذا المعنى . والقحوم ، مصدر : قحِم ، إذا رمى بنفسه في عزيمة .

(٢) تكملة يقتضيها السياق . (٣) التوبة : ١١٢ .

(٤) آل عمران : ١٤٥ .

(٥) الأصل : « انقصافا » . والانقصاف : ترك الشيء عجزًا .

منهم ، فهم (١) في ذلك ، حتى إذا فرغوا بكلثوم وأصحابه رَجَعُوا إليه ، فلما رأى مالا طاقة له به انهزم ماضياً في بلادهم ، وأتبعوه حتى اضطروه إلى البحر الأخضر ، ولاذ بمدينة سَبْتَة .

وقبل ذلك قد رام دُخُولَ طَنْجَة فلم يُمكنه دخولها ، وجدها قد ضُبُطت ، فمضى حتى أتى سَبْتَة فدخلها ، وهى مدينة حصينة ذات عُمُران وخير كثير فيما حولها ، فجمع المعاش وضمَّه إليها ، فلم يجد منه مافيه إلا شيئاً من بلاغ .

ثم أَرَجَعُوا إليه جيشاً ، فخرج إليهم فهزمهم وقتلهم قتلاً ذريعاً ، ثم بعثوا إليه جيشاً ، ففعل مثل ذلك ، حتى بعثوا إليه خمسة جيوش أو ستة ، فلما رأوا أَنَّهُ لا يَبْقَى له جيش سموه (٢) الأَرْضَ وَأَقْفَرُوا حوله مسيرة يومين ، فجعل يخرج وأصحابه فيُغيرون ، حتى نفذ المُغَار (٢) وانقطع عنهم المعاش ، فجاعوا حتى أَكَلُوا دوابَّهم ، ومكثوا في المدينة حتى دخلوا الأندلس .

وسياتى ذكر ذلك في موضعه ، إن شاء الله .

فلما انهزم أهل الشام ، وأتت هزيمتهم (٣) وقليل من فلهم الشام ، عظم ذلك على هشام وأهل الشام ، ونَدِمَ على إخراج أهل الشام ، وإن لم يُخرج معهم أهل العراق ، أو غيرهم ، لئلا يؤتى جيشه من قلة ، وإنما أتوا من طريق القِلة ، ثم حلف لئن بقى ليُخرجنَّ إليهم مائة ألف كلهم يأخذ العطاء ، ثم ليُخرجن مائة ألف ، ثم ليُخرجن ، حتى إذا لم يبق غير

نفسه وغير بنيه وبينهم أفرع بينه وبينهم ، ثم أخرج نفسه إن وقعت عليه القرعة .

فأخرج إليهم حنظلة بن صفوان الكلبي ، أخا بشر بن صفوان ، صاحب إفريقية ، في ثلاثين ألفاً ، وأمره ألا يبرح من إفريقية حتى يأتيه رأيه ، وخاف البربر أن يغلّبوا على إفريقية ، فعجّله إليها ليضبطها حتى يُمده بالرجال والأموال ، ففعل حنظلة .

ثم أخرج إليه جيشاً فيه عشرون ألفاً ، وكانت وقعة كلثوم وقتله وقتل من قُتل معه ، وكان ممن قُتل معه حبيب بن أبي عبيدة ، سنة اثنتين وعشرين ومائة .

وأقبل حنظلة في سنة ثلاث وعشرين ومائة ، فنزل إفريقية ، ثم توافت إليه أمداده ، وجمع له ميسرة في سنة أربع وعشرين ومائة ، فالتقى حنظلة والبربر ، وكان البربر قد جاسوا (١) عليه بعسكرين عظيمين لا يُوصف عددهما ، وكان هشام مريضاً ، وكان مرضه الذي مات فيه ، فحدثت ، والله أعلم ، أنه جعل يقول : يا حنظلة ، ابدأ بإحدى الطائفتين قبل الأخرى ، فظنوه يهجر (٢) .

فالتقى حنظلة والبربر ، فقضى أن يبدأ بالعسكر الواحد ، ونزل بموضع يقال له : القرن ، فقتله (٣) ، ثم مضى إلى العسكر الآخر ، وكان نزوله بموضع الأصنام ، فقتلهما (٣) ، في عقب سنة أربع وعشرين ومائة ، فكتب إلى هشام بالفتوح ، واستشاره في الإقدام على بلد البربر ،

(١) الأصل : «جاسوا» ، بالشين المعجمة ؛ تصحيف . وجاسوا عليه : نزلوا .

(٣) كذا .

(٢) يهجر : يهذى .

فَأَتَى كِتَابُهُ هَشَامًا وَهُوَ يَجُودُ بِنَفْسِهِ ، فَمَاتَ هَشَامٌ - رَحِمَهُ اللَّهُ - فِي شَعْبَانَ سَنَةِ خَمْسٍ وَعِشْرِينَ وَمِائَةٍ .

ثُمَّ رَجَعَ الْحَدِيثُ إِلَى دُخُولِ بَلَجِ الْأَنْدَلُسِ .

قال :

وَأَقَامَ بَلَجٌ بَعْدَ قَتْلِ عَمِّهِ كَلْثُومٌ قَرِيبًا مِنْ سَنَةٍ ، حَتَّى أَكَلُوا دَوَابَّهُمْ وَأَكَلُوا الْجُلُودَ وَأَشْرَفُوا عَلَى الْهَلَاكِ ، وَوَلَّى الْأَنْدَلُسَ ابْنُ قَطْنٍ ، وَأَنَارُوا (١) مَرَارًا ، حَتَّى أَتَتْهُمْ قَشُورُ الْجَزِيرَةِ (١) مِنَ الْأَنْدَلُسِ .

وَكُتِبُوا إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ قَطْنٍ يَسْتَغِيثُونَهُ ، وَيَمْتَنُونَ إِلَيْهِ بِطَاعَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْعَرَبِيَّةِ ، فَتَغَافَلَ بِهِمْ ، وَسَرَّ هَلَاكَهُمْ ، وَخَافَهُمْ عَلَى سُلْطَانِهِ . فَلَمَّا رَأَتْ عَرَبُ الْأَنْدَلُسِ اسْتِغَاثَتَهُمْ وَهَلَكَتَهُمْ ، أَمَدَّهُمْ رَجُلٌ مِنْ لَحْمٍ ، يُقَالُ لَهُ : عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ زِيَادِ الْأَحْرَمِ بِقَارَبِينَ ، قَدْ شَحَنَهُمَا بِالشَّعِيرِ وَالْإِدَامِ ، فَأَتَاهُمْ ذَلِكَ ، فَنَالُوا مِنْهُ ، وَلَمْ يَبْلُغْ مِنْهُمْ مَبْلَغًا ، حَتَّى أَشْرَفُوا عَلَى الْهَلَاكِ ، وَحَتَّى حَمَلَتِ الْأَرْضُ ، فَأَكَلُوا الْبَقْلَ وَالْعُشْبَ .

فَقَضَى أَنْ بَرَبِرَ الْأَنْدَلُسِ ، لَمَّا بَلَغَهُمْ ظُهُورُ بَرَبِرِ الْبُدُودَةِ عَلَى عَرَبِهَا وَأَهْلِ الطَّاعَةِ ، وَثَبُّوا فِي أَقْطَارِ الْأَنْدَلُسِ ، فَأَخْرَجُوا عَرَبَ جَلِيقِيَّةٍ وَقَتَاوَهُمْ ، وَأَخْرَجُوا عَرَبَ اسْتُرْقَةٍ ، وَالْمَدَائِنِ الَّتِي خَلْفَ الدُّرُوبِ ، فَلَمْ يَرُعْ ابْنُ قَطْنٍ إِلَّا فَلْتَهُمْ قَدْ قَدِمَ عَلَيْهِ ، وَانْضَمَّ عَرَبُ الْأَطْرَافِ كُلِّهَا إِلَى وَسْطِ الْأَنْدَلُسِ ، إِلَّا مَا كَانَ مِنْ عَرَبِ سَرَقُوسَةِ وَتَغْرِهِمْ ، فَإِنَّهُمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنَ الْبَرَبِرِ ، فَلَمْ يَهْجِ عَلَيْهِمُ الْبَرَبِرُ ، فَأَخْرَجَ عَلَيْهِمْ عَبْدُ الْمَلِكِ جِيوشًا ، فَهَزَمُوها وَقَتَلُوا الْعَرَبَ فِي الْآفَاقِ ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ وَخَافَ أَنْ يَلْقَى مَا لَقِيَ أَهْلُ طَنْجَةِ ، وَبَلَغَهُ إِعْدَادُ الْبَرَبِرِ لَهُ ، لَمْ يَرِ شَيْئًا أَعَزَّ لَهُ مِنْ

الاستمداد بأهل الشام ، فبعث إليهم السفن فأدخلهم أرسالاً ، وبعث إليهم بالأطعمة والأدم ، واشترط عليهم أن يُعطوه من كل جند من قوادهم عشرة رهن ، يضعهم في الجزيرة في البحر ، فإذا فرغوا له في الحرب جهّزهم وحملهم إلى إفريقية .

فرضوا بذلك وأعطوه عهداً ، أو اتخذوا عليه عهداً ، أن يحملهم إلى إفريقية جُملة لا يُفَرِّقهم ولا يعرضهم للبربر (١) ، ومعهم في جملتهم عبد الرحمن بن حبيب بن أبي عُبَيْدة الفِهْرِيُّ ، وقد قُتل أبوه حبيب بنقُدورة (٢) ، فأدخلهم في سنة ثلاث وعشرين وأخذ رُهنهم ، وأقرّها بجزيرة أم حكيم في البحر ، وهم قد هلكوا وعُرُوا ، فلم يكونوا يستترون إلا بالندروع ، حتى نزلوا الجزيرة بالأندلس ، فوجدوا بها جلوداً مدبوغة كثيرة ، فقطعوا منها المدارع ، ثم أقبلوا إلى قُرطبة ، فكسا ابن قطن خيارهم ، أعطاهم كلهم عطاء ، فلم يكن فيه ما يُغنيهم .

واستقبلهم عرب بلد الأندلس ، وهم ملوك ، وكسا كل رجل من خيارهم خيار عشيرته ، وأفضل عليهم الناس حتى لبسوا وشبعوا .

وكانت قد رَأَسَت البربر بالأندلس على أنفسهم ابن هدين (٣) ، وحشدوا من جليقية ، واستُرقة (٤) ، ومارده ، وطلّبيّة ، فأقبلوا في شئ لا يُحصيه عدد ، حتى أجازوا نهرًا ، يقال له : تاجة ، يريدون عبد الملك ابن قطن ، وأخرج إليهم عبد الملك ابنيه ، قطنًا ، وأمّية ، في عرب الشام ، أصحاب بلّج ، وعرب البلد .

(١) الأصل : « البربر » . (٢) فيما مر (ص: ٣٧) : « بقلسورة » .
(٣) كذا . (٤) الأصل هنا : « واستورقه » .

فلما بلغ البربر إقبال الجيوش إليهم حلقوا رؤوسهم ، اقتداء بميسرة ،
ولكيلا يخفى أمرهم ، وليضربوا ولا يختلطوا ، ثم أقبلوا إلى مدينة
طليطلة ، وصمد ابن قطن بمن معه ، وأمّية بمن معه ، صمّدهم ، فالتقوا في
أرض طليطلة على وادى سليط ، فاقتتلوا قتالا شديداً ، وأقبل أهل
الشام عليهم حنّيقين ، فقاتلوا قتالاً مستبسلين ، فمنحهم الله أكتاف
البربر ، وقتلهم قتلاً ذريعاً أفنّوهم به ، فلم ينج منهم إلا الشريد .
فركب أهل الشام ولبسوا السلاح ، ثم فرّقوا الجيوش في أرض
الأندلس ، فقتلوا البربر حتى أطفئوا جمرتهم ، فلما فرغوا كروا قافلين
إلى قرطبة ، فقال لهم عبد الملك : اخرجوا ، قالوا : نعم ، أخرجنا إلى
إفريقية ، فقال : ليست لنا صناعة تركبونها معاً ، وقد صارت لكم
خيول ورقيق وكساً ، ولكن اخرجوا أرسالاً إلى إفريقية ، قالوا :
لأنخرج إلا مجتمعين ، قال : فاخرجوا إلى سبتة ، قالوا له : تعرّضنا
لبربر طنجة ، أقذف بنا في لجة البحر أهون علينا .

فلما رأوا ما يريد بهم وثبوا عليه فأخرجوه من القصر وأدخلوا بلجاً
صاحبهم وبائعوا له ، ونزل ابن قطن داراً ، وهى التى يقال لها : دار
أبى أيوب ، وهرب ابنه ، فلحق أحدهما بماردة ، ولحق الآخر بسرّقسطة .
فأقاموا أياماً يُجيلون رأيهم ، واختلط أمر الناس بالأندلس ، وأمّسك
والى الجزيرة عن إمداد الرّهن الذين فى جزيرة أمّ حكيم بما يُعيشهم من
الطعام والماء ، والجزيرة التى هم فيها لأماء لها ، وهى جزيرة أمّ حكيم ،
فمات من الرّهن الذين فى جزيرة أمّ حكيم رجل من أشرف أهل الشام .
فلما بعث بلجٌ فى إخراجهم وأقبلوا إليه ، شكّوا ما ركبهم به ابن
قطن ، وقتله صاحبهم بالعطش ، وقالوا : أقدّنا منه ، فقال لهم بلجٌ :

ويحكم ! لاتفعلوا ، فإنه رجل من قريش ، وكان موت صاحبكم على شبه الخطأ ، ولكن أمهلوا حتى نرى ماتصير إليه الأمور .

فثارت اليمن بكلمة واحدة فعسفوا ببليج (١) ، وقالوا : أحميت بمضر؟

فلما خاف فسادهم وتفرق كلمتهم ، أمر به فأخرج ، وهو شيخ كأنه فرخ نعامة ، وهو ابن تسعين سنة أو أكثر ، حضر الحرّة (٢) مع أهل المدينة ، ومنها فر (٣) إلى إفريقية ، فأخرجوه وهم ينادونه : يا قال ، قررت من سيوفنا يوم الحرّة ثم عرضتنا لأكل (٤) الكلاب والجلود طلباً بشار الحرّة ، ثم بيعت جند أمير المؤمنين .

فأخرجوه إلى رأس القنطرة فقتلوه وصلبوه عن يسار الطريق ، وصلبوا عن يمينه خنزيراً ، وصلبوا عن يساره كلباً .

فأقام يوماً ، ثم إن موالى له من البربر من أهل المدور (٥) ، طرقوه فسرقوا خشبته ، فكان المكان يقال له : مصلب عبد الملك بن قطن .

حتى ولى يوسف بعد ذلك فبنى فيه أمية بن عبد الملك مسجداً ، فانقطع الاسم وقالوا : مسجد أمية ، وهُدم ذلك المسجد بعد ذلك يوم هاج أهل قرطبة على الحكم بن هشام ، وصار موضعه براحاً ، فانقطع عنه الاسمان : اسم المصاب ، واسم المسجد ، إلا من عرف ذلك .

(١) الأصل : « بلجن » .

(٢) الحرّة : حرة راقم ؛ إحدى حرتي المدينة ، وهى الشرقية ، وجها كانت الموقعة المشهورة في أيام يزيد بن معاوية ، وكانت بينه وبين أهل المدينة (معجم البلدان : ٢ : ٢٥٢ — ٢٥٣) .

(٣) الأصل : « فل » ، ويبلر أنها محرفة عما أثبتنا .

(٤) الأصل : « أكل » .

(٥) المدور ، بفتح فضم ، كذا ضبط وضبط قلم في معجم البلدان : حصن مشهور بالأندلس ، (معجم البلدان : ٤ : ٤٥٠) .

فلما بلغ ابنه ما كان ، حشداً من أقصى أربونة (١) ، وراجعا أهل البلد والبربر وسيوفهم تقطر من دماء البربر ، فرضيت البربر أن تنال ثأرها من أهل الشام ، فإذا فرغوا كان لهم في أهل البلد رأى .

فأقبل ابن قطن وأمية ومعهما عبد الرحمن بن حبيب ، وكان في أصحاب بلج ، فلما صنع بعبد الملك ما صنع انحاز عنه وخرج عن دعوة أهل الشام . وأقبل معهم عبد الرحمن بن علقمة اللخمي ، صاحب أربونة ، فأقبلوا في مائة ألف أو يزيدون ، راجعين إلى بلج وأصحابه بقرطبة ، وقد رحل فل (٢) كثير من أهل الشام كانوا في القرى والجبال ، ومن إفريقية ، فلم يقووا على الرجوع إلى الشام حتى صاروا في اثني عشر ألفاً ، سوى عبيد كثير ، اتخذهم من أهل البلد والبربر ، حتى بلغوا من قرطبة على بريدتين إلى موضع ، يقال له : أقوه برطورة ، فخرج إليهم بلج في أصحابه فقاتلهم ، فلم يقوموا له ولم يصبروا إلا صبراً يسيراً ، إلا أن عبد الرحمن بن علقمة اللخمي ، وكان يعد فارس أهل الأندلس ، قد قال لهم : أروني بلجاً ، فوالله لأقتلنه أو لأموتن دونه . فأشاروا له إليه وقالوا : صاحب الفرس الأبيض ، فشدّ بخيل الثغر ، فانفرج أهل الشام عن بلج والراية بيده ، فضربه بالسيف على رأسه ضربتين ، ثم إن الحصين ابن الدجن العقيلي شدّ على ابن علقمة فضربه ضربات بالسيف ، وجعله بعد من باله (٣) .

(١) أربونة ، بفتح أوله ويضم ثم السكون وضم الباء الموحدة وسكون الواو وهاء : من أرض الأندلس ، وهي ما تسمى الآن : لشبونة ، عاصمة البرتغال (معجم البلدان : ١ : ١٩٠ ، صفة جزيرة الأندلس : ١١ ، نفح الطيب : ١ : ١٢٧) .

(٢) الأصل : «فلال» . والفل ، وهم القوم المنهزمون ، يقال للواحد والجمع .

(٣) كذا : والبال : والخاطر .

فكان عبد الرحمن لا يتف بموضع إلا قاتله حصين بخيل قنسرين .
فقطع عاديتة وشغله بنفسه . وشد عليه شدات يلحقه بكل شدة
بالصفوف ، ويضربه في عامتها ، إلا أنه فارس نجدة . معه جودة
الاتقاء . وعليه سلاح كريم . لا يحيك (١) فيه سيف حصين (٢) .
حتى انهزموا هزيمة قبيحة ، وأتبعوهم يقتلونهم ويأسرونهم .

ثم رجعوا (٣) ، فمات بلج إلى أيام يسيرة . يقال : من ضربتي
ابن علقمة ، ويقال : بل أجل حصره ، والله أعلم .

وولى أهل الأندلس ثعلبة بن سلامة العاملي ، فجمع له أهل البلد ،
العرب والبربر ، جمعاً भारدة ، فخرج إليهم ، فجاسوا (٤) عليه بملاطاة
له به ، وقاتلهم قتالا شديداً ، فلم يغن مغنى ، فلما رأى ذلك اعتصم
بمدينة ماردة ، وبعث إلى خليفته بقرطبة أن يتحمل إليه ببقية أصحابه
لمناجزة أهل البلد ، فبينما هو (٥) محصور ، قد نزل أهل البلد من
البربر والعرب ، وجلّهم البربر ، على ماردة ، إذ حضرهم عيد فطر
أو أضحى ، فأبصر ثعلبة غرتهم وانتشارهم ، وكثروا فانتشروا ، فلما
كان صبيحة العيد خرج عليهم فهزمهم وقتلهم قتلاً ذريعاً ، ثم سبى
ذرائعهم .

(١) لا يحيك فيه : لا يثبت ولا يرسخ .

(٢) لعلها : « متين » .

(٣) الأصل : « راجعوا » .

(٤) جاسوا ، أى وطئوا . وفى الأصل : « جاشوا ، بالشين المعجمة ،
ولا معنى لها هنا .

(٥) الأصل : « فبيناه » .

ولم يكن بَدْجٌ قَبْلَهُ تَعَرَّضَ لِلذُّرْيَةِ بِالسَّاءِ ، فَأَقْبَلَ مِنَ السَّبْيِ بَعَشْرَةَ
آلَافٍ أَوْ يَزِيدُونَ ، حَتَّى نَزَلَ الْمُصَارَاةُ (١) بِقُرْطَبَةِ ، وَقَدْ بَلَغَ صَاحِبُ إِفْرِيقِيَّةِ
مَافِيهِ أَهْلَ الْأَنْدَلُسِ ، وَوَفَدَ إِلَيْهِ مِنْ صَالِحِي أَهْلِهَا ، وَكُتِبَ إِلَيْهِ
أَنْ أَغْنَيْنَا بِرِوَالٍ يَجْمَعُنَا وَيَأْخُذُ بَيْعَتِنَا لَهُ وَلِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، حَتَّى يَصِيرَ
الشَّامُ وَالْبِلْدَانُ عَلَى دَعْوَةٍ وَاحِدَةٍ ، وَقَدْ أَفْنَانَا الْقَتْلَ وَخَفْنَا الْعَدُوَّ عَلَى
ذُرَارِينَا .

فَبَيْنَا ثَعْلَبَةٌ نَازِلَةٌ بِالْمُصَارَاةِ يَبِيعُ ذُرَارَى أَهْلِ الْبَلَدِ ، وَسَعَهُمْ (٢) فِي
رَحْلِهِمْ .

وَلَقَدْ بَلَّغْنَا أَنَّهُ بَاعَ أَشْيَاخَهُمْ فَيَمْنُ يَنْقُصُ بِهِمْ ، لَقَدْ قِيلَ : إِنَّهُ
صَاحِبُ عَلِيِّ بْنِ الْحَسَنِ ، رَجُلٍ كَانَ بِالْأَنْدَلُسِ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ ، وَعَلَى
الْحَارِثِ بْنِ أَسَدٍ مِنْ جُهَيْنَةٍ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ ، فَقَالَ : مَنْ يَخْشُرُ عَلَى
هَذَيْنِ الشَّيْخَيْنِ ؟ فَقَالَ قَائِلٌ : أَحَدُهُمَا عِنْدَى بَعَشْرَةَ دَنَانِيرٍ ، فَقَالَ
الصَّائِحُ : مَنْ يَنْقُصُ ، فَلَمْ يَزَلْ يَصِيحُ : مَنْ يَنْقُصُ ، حَتَّى بَاعَ أَحَدُهُمَا
بِكَلْبٍ وَالْآخَرَ بِعَتُودٍ (٣) .

فَبَيْنَاهُمَا (٤) عَلَى هَذَا إِذْ جَاءَهُمْ أَبُو الْخَطَّارِ الْحُسَامُ بْنُ ضِرَارِ الْكَلْبِيِّ ،
وَالْيَا مِنْ قِبَلِ حَنْظَلَةَ بْنِ صَفْوَانَ ، وَالْخَلِيفَةُ بَعْدَ الْوَلِيدِ بْنِ يَزِيدَ ، وَهُمْ
نَزُولٌ بِالْمُصَارَاةِ ، فَسَمِعُوا وَأَطَاعُوا ، وَكَانَ رَجُلًا مِنْ خِيَارِ أَهْلِ الشَّامِ مِنْ
أَهْلِ دِمَشْقَ ، فَرَضَى بِهِ الشَّامِيُّونَ وَالْبَلَدِيُّونَ ، فَأَطْلَقَ الْأَسْرَى وَالسَّبْيَ ،

(١) الْأَصْلُ ، هُنَا : « الْمَسَارَاة » . وَانْظُرِ النَّفْحَ (٣ : ٣٧) .

(٢) أَعْلَاهَا : « وَضَعَهُمْ » .

(٣) الْعَتُودُ : مِنْ أَوْلَادِ الْمَغْزَى : وَهُوَ مَا أَتَى عَلَيْهِ حَوْلَ .

(٤) الْأَصْلُ : « فَبَيْنَاهُ » .

فُسِّمَى ذلك العسكر : عسكر العافية ، وصارت الكلمة جامعة ، وأفلت
ثعلبة بن سلامة ، وعثمان بن أبي نِسْعة ، وعشرة من قواد الشام ، وأمن
ابن عبد الملك بن قطن ، فاستقامت حال الناس بالأندلس ، وأنزل أهل
الشام في الكُور .

* * *

ذكر دخول عبد الرحمن بن معاوية الأندلس

والسبب الموجب لذلك ، وما آلت إليه أحواله ، مختصراً إن شاء الله تعالى .

لَمَّا كان من أمر مروان بن محمد - رحمه الله - ما كان ، وانصرم
أمر بني أمية بالمشرق ، وتغلَّب على ملكهم بنو العبَّاس ، وقُتل مروان
في سنة اثنتين وثلاثين ، فسير برأسه إلى السِّفَّاح (١) ، ثم سير به إلى
أبي العبَّاس ببغداد ، وهو مُعسكر بها .

وتتبع السِّفَّاح بني أمية حيث كانوا يقتل ويمثِّل ، أخذ أبان بن
معاوية فقطع يده ورجله ، ثم طيف به في كُور الشام يُنادى على رأسه :
هذا أبان بن معاوية فارس بني أمية ، حتى مات .

وقَتَلُوا النِّسَاء والصِّبيان ، ذَبَحُوا عُبْدَةَ بنت هشام بن عبد الملك
ذَبْحًا ، وذلك أَنَّهُمْ سَأَلُوهَا عَنْ كُنُوزِ وَجُوهَر ، فلم تَرُدَّ عليهم كلمة ،
فَذَبَحُوهَا .

وَهَرَبَ عَنْهُمْ وَجُوهٌ مِنْ بَنِي أُمِيَّة لَهُمْ أَسْمَاء وَأَقْدَار ، وَتَغَيَّبُوا عِنْدَ

(١) ظاهر أَنَّهُ يريد : صالح بن علي ، عم السِّفَّاح ، وسيأتى ذكره

بعد قليل .

العرب وأفناء الناس (١) ، فلم يجدوهم ، وكان فيمن تغيب عبد الواحد ابن سليمان ، والغمر بن يزيد ، وغيرهما .

فلم يروا أنهم صنعوا شيئاً ، وتوثقوا من سليمان بن هشام خوفاً أن يبصر مكيدتهم فيهرب ، فأظهروا الندم على ماكان ، بزعمهم ، فأمنوا من بقي ، ورفع السيف ، وكتب (٢) إليهم : أن أمير المؤمنين قد ندم على ماكان في بني أمية وأحبّ البقاء ، وقد أمرني بتأمينهم فقد أمنتهم ، فلا أعلم أحداً يعرض لهم بمكرهه .

ونادى مناديه بذلك في كور الشام ، وفي عسكره وهو بكسكر ، فلما شاع ذلك بعثوا رسلاً ، فاستأمن منهم بضعا وسبعين رجلاً ليس منهم من غيرهم إلا صهر لهم من كلب ، ورجل من مواليهم ، وكان فيهم : عبد الواحد ، والغمر ، والأصمغ بن محمد بن سعيد ، وجماعة ممن لأسميهم ، فجعلوا كلما جاءهم رجل منهم قربوه وأنزلوه وأعطوه عهداً مستأنفة ألا يروا مكروهاً ، حتى يلحقوا بأمير المؤمنين ، وإن أمير المؤمنين قد آمنهم وأراد الإبقاء عليهم .

فأخبرني من أثق به من المشايخ أن الأمانات بُسطت لهم حتى تداعى (٣) كل من هرب ، وكان يحيى بن معاوية بن هشام ساكناً في

(١) أفناء الناس : أخلاطهم .

(٢) كذا ، ولعل في الكلام سقطاً ، وظاهر أنه يريد صالح بن علي بن عبد الله بن عباس ، عم السفاح والمنصور ، وسيأتي ذكره بعد قليل . أو عبد الله بن علي ، وهو الآخر عم السفاح والمنصور ، وكانت له ولاية الشام أيام السفاح .

(٣) تداعى : أقبل .

الموضع الذى عسكر فيه صالح بن على ، على سبعة أميال ، فثبتت فى منزله ولم يضطرب مع من اضطرب فى العسكر منها ، وقال : إذا حضر فصلُ أمرهم غشيتهم ، لقربه منهم ، فأقام الناس ينتظرون ما يكون ، فطال ذلك ، حتى أقبل المدنى والعراقى والمصرى من بنى أمية ، فبعث يحيى ابن معاوية رسولاَ ينظر ما يكون ، فوافق القوم يُقتلون : فرجع مسرعاً ، فسقط فى يديه فلم يتفق له هرب ، حتى قربت الخيل فى تلك القرى القريبة فعُشى فقتل ، وكان معه الأمير عبد الرحمن بن معاوية فى القرية ، وكان يومه ذلك غائباً فى الصيد ، فوقع الخبرُ عليه فى جوف الليل فهرب ، وأوصى أن يُتبع بولده أبى أيوب ، وأختيه : أم الأصبع ، وأمة الرحمن .

قال : فلما اجتمع بنو أمية عند السفّاح (١) قعد لهم وأدخلهم على نفسه فى سُرّادق له ليرسلهم بزعمه إلى أمير المؤمنين ، فلما توافوا ميّز منهم عبد الواحد بن سليمان فأجلسه قريباً منه ، مكافأةً باليد التى كانت عندهم ، فجعل يذكرها له ويرجّيه حسن رأيه فيه : والأحراس وقوف عليهم عمّد الحديد ، فأشار إليهم ، وقال : دَهْدُهُوا رؤوسهم ، فوضعت عليهم فشدخوا ، ثم قال لعبد الواحد : لا خير لك فى البقاء بعد قومك وسُلطانك ، وقد أبرزناك أن تُقتل بالسيف ، وأمر به فقتل صبراً (٢) .

(١) كذا وظاهر أنه يريد صالح بن على ، عم السفّاح ، (وانظر الحاشية :

٢ ص ٤٩) .

(٢) صبرا ، أى بحبس ويرمى حتى يموت .

قال : وفعل ذلك بالغمر بن يزيد ، وبعث برؤوسهم إلى أبي العباس ، فلما جاءتْه أمر بضرب (١) عُنق سليمان بن هشام .

قال : وكان بقايا بني أمية لما سمعوا الأمان تراجعوا إلى منازلهم في أقاصي الكُور - تَمَّتْ بهم عدة قتلى نهر أبي فطرس (٢) ، وهم ثلاثة وسبعون ، وإياهم عنى حفصُ بن النعمان :

أَيْنَ أَصْحَابُ الْعَطَايَا مِنْهُمْ وَالْبَهَائِلُ بَنُو الصَّيْدِ النَّجْبُ
مَنْ يُرِدْ يَسْأَلْ عَنْهُمْ فَهُمْ حَيْثُ ... (٣) مِنْ فَوْقِ الْخَشْبِ

ثم اشتدَّ الطلب على بني أمية فهربوا في الآفاق ، وكانوا يسمعون في الرواية (٤) أَنَّ مُسْتَرَا حَهُم بِالْمَغْرِبِ ، فنزع أَكْثَرُهُمْ إلى إفريقية ، فنزع إليها السُفْيَانِي الثَّائِرُ ، وابنا الوليد بن يزيد : العاصي ، وموسى ، وحبيب بن عبد الملك بن عمرو بن الوليد : وقبل ذلك نزع (٥) إليها جُزْيَ بن عبد العزيز بن مروان ، وعبد الملك بن عمر بن مروان ، إذ (٦) قُتِلَ الْخَلِيفَةُ مَرْوَانُ .

فتوافى (إلى) (٧) إفريقية بشر كثير ، وكان واليها عبد الرحمن

(١) لعلها : بصلب .

(٢) نهر أبي فطرس : موضع على اثني عشر ميلا من الرملة ، وكانت به وقعة عبد الله بن علي مع بني أمية سنة ١٣٢ هـ

(٣) بياض بالأصل .

(٤) الأصل : الروية .

(٥) الأصل : « ما نزع » .

(٦) أى : حين .

(٧) تكملة يقتضيها السياق .

ابن حبيب بن أبي عُبَيْدَةَ الْفَهْرِيِّ ، (١) فلم يكره نزوعهم إليه ،
ولجأً إليها عبد الرحمن بن معاوية بن هشام - رحمه الله - وكان بدء
حديثه باختصار أنه لما أَمَنُ أَهْلُ أَبِي فُطْرُسَ ، وكان غلاماً حدثاً ، هاج
أَمْرُ الْمُسَوَّدَةِ ، وهو ابنُ سبع (٢) عشرة سنة رجع إلى منزل له بدير حنَّاءَ
من كورة قَنَسْرِينَ ، فأقام به وجمع بعض إخوانه وعياله ، وكان قد
وُلِدَ له : سُلَيْمَانُ ، الْمَكْنَى بِأَبِي أَيُّوبَ ، وكان مولده سنة ثلاثين في سُلْطَانِ
مِرْوَانَ .

فأخبرني من سمع عبد الرحمن بن معاوية يحدث طائفةً عن بدء (٣)
حديث هربه ، قال : لما أَمِنَّا وشاع ذلك ركبت متنزهاً فوقهم
وأنا غائب ، فرجعت إلى منزلي فنظرت فيما يصلح أهلي ويصلحني ،
وخرجت حتى صِرْتُ في قَرْيَةٍ عَلَى الْفُرَاتِ ذات شَجَرٍ وَغِيَاضٍ ، وأنا والله
ما أُرِيدُ إِلَّا الْمَغْرِبَ ، وكنت قد بلغتني رواية ، كان والدي - رحمه الله -
قد هلك في زمن جَدِّي - رحمه الله - وكنت صبياً إذ هلك ، فأقبل بي
وبإخوتي إلى الرُّصَافَةِ إلى جَدِّي ، ومَسْلَمَةُ بن عبد الملك - رحمه الله -
لم يَمُتْ بعد ، فنحن وقوفٌ ببابه على دوابنا إذ (٤) سَأَلَ مَسْلَمَةُ عَنَّا ،
فَقِيلَ : أَيْتَامُ مَعَاوِيَةَ ، فاغرورقت عيناه بالدَّمْعِ ، ثم دعا بنا الاثنين
فالاثنتين ، فأقبل يدعونا حتى قدمْتُ إليه ، فأخذني وقبَّلني ، ثم قال
للقِيَمِ : هَاتِيهِ ، فأنزلني عن دابتي وجعلني عن أَمَامِهِ ، وجعل يقبِّلني ويبكي

(١) الأصل : « بلو » .

(٢) الأصل : « سبعة » .

(٣) الأصل : « من بلو » .

(٤) الأصل : « إذا » .

بكاءً شديداً ، فلم يدعُ بعدى من كان أصغر من إخوتي وشغل بي فلم يُفارقني ، فأنا أمامه على سرجه حتى خرج جدّي ، فلما رآه قال : ماهذا يا أبا سعيد ؟ فقال : بُني لأبي المُغيرة ، رحمه الله ، ثم دنا من جدّي فقال له : تدانى الأمر ، هو هذا ، قال : أهو ؟ قال : أى والله ، قد عرفتُ العلامات والأمارات بوجهه وعُنقه .

قال : ثم دُعِيَ القِيمُ فدُعِيتُ إليه ، وأنا ابن عشر سنين يومئذٍ أو نحوها ، فكان جدّي ، رحمه الله ، يُؤثرني ويتعاهدني بالصّلة والبعثة التى فى كُلِّ شهر ، وكنا بكورة قنّسرين ، بيننا وبينه مسيرة يوم ، حتى ماتت موات مَسلمة أبو سعيد قبله بسنتين ، فكانت تلك فى نفسى مع أشياء كانت تُذكر .

فإني لجالس فى القرية فى دارٍ كنّا فيها ، ولم يبلغنا بعدُ إقبالُ المسوّدة ، فكنت فى ظلّمة البيت وأنا رمد شديد الرمد ، ومعى خِرقة سوداء أمسح بها قذى عيني ، والصبيّ سليمان يلعب ، وهو ابن أربع سنين أو نحوها ، إذ دخل من باب البيت فترأى فى حجرى ، فدفعته لِمَا كان بي ، ثم ترأى وجعل يقول مايقول الصّبيان عند الفزع .

قال : فخرجتُ فإذا أنا برأيات مُطلّة ، فلم يرُعنى إلا دخولُ أخى فلان ، فقال : يا أخى ، رأيتَ المسوّدة ؟ وكنتُ لَمّا فعل بي الصبيّ ما فعل قد خرجتُ فرأيتهم لم أدرك شيئاً أكثر من دنائير تناولتها ، ثم خرجت أنا والصبيّ أخى ، وأعلمتُ أُختي (١) : أم الأصبع ، وأمة الرحمن ، بتوجّهى ، وأمرتهما أن يلحقنى غلامى بما يُصلحنى إن سلّمت .

فخرجت حتى اندسست في موضع ناء عن القرية ، وأقبلوا فأحاطوا بالقرية ثم بالدار ، فلم يجدوا أثراً ، ومضينا حتى لحقني بذر ، ثم خرجت حتى أتيت رجلاً على شاطئ الفرات ، وأمرته أن يبتاع لي دواباً وما يصلحني ، فأننا أرقب ذلك إذ خرج عبد له أو مولى ، فدلّ علينا العامل ، فأقبل إلينا ، فوالله ماراعنا إلا جلبة (١) الخيل إلينا في القرية ، فخرجنا نشدد على أرجلنا ، وأبصرتنا الخيل فدخلنا بين جنان (٢) على الفرات ، واستدارت الخيل ، فخرجنا وقد أحاطت بالجنان (٣) ، فتبادرنا وسبقناها إلى الفرات فترامينا فيه ، وأقبلت الخيل فصاحوا علينا : لا بأس عليكم ، فسبحت وسبح الغلام أخى ، فلما سیرنا ساعة سبقته بالسباحة وقطعت قدر نصف الفرات ، فالتفت لأرفق وأصبح عليه ليلحتني ، فإذا هو والله لما سمع تأمينهم إياه وعجل خاف الغرق ، فهرب من الغرق إلى الموت ، فناديتُهُ : أقبل يا حبيبي إلى ، فلم يأذن الله بسماعى ، فمضى ، فمضيت حتى عبرت الفرات ، وهم بعضهم بالتجرد ليسبح في إثري ، ثم بدا لهم وأخذوا الصبي فضربت رقبتة وأنا أنظر ، وهو ابن ثلاث عشرة سنة ، رحمه الله .

قال : ثم مضيت .

فهذا حديثه رحمه الله .

ومن حديث غيره أنه مضى حتى أتى كورة فلسطين ، وقد ألحقت

(١) الأصل : « مجلبة » .

(٢) جنان : جمع : جنة ، وهي الحديقة ، وفي الأصل : « أجنة » .

(٣) الأصل : « بالأجنة » .

به أخته ، أم الأصبع ، بدرًا غلامه ، وسالمًا أبا الشجاع غلامها ، وكانت شقيقته ابنة أمه ، ومع الموليين نفقة وشئ من جوهر ، فلحقاه حيث لحقاه لا أدري ، ومضى حتى أتى إفريقية ، وقد توافى بها جماعة من أهل بيته .

وكان عند عاملها ابن حبيب يهودي^{*} كان قد صحب مسلمة بن عبد العزيز ، فكان يقول : يغلب على الأندلس رجل من أبناء الملوك ، يقال له : عبد الرحمن ، له ضفيران .

فكان ابن حبيب قد أرسل ضفيريّين رجاءً للرواية ، فكان اليهودي يقول له : لست أنت من أبناء الملوك ، فكان يقول : بلى والله .

فلما جاءه عبد الرحمن ، ونظر إليه فإذا هو ذو ضفيريّين ، فدعا اليهودي وقال له : ويحك ! هذا هو ، وأنا قاتله . قال له اليهودي : والله لئن قتلته ما هو ، ولئن تركته إنه لهو .

ثم تجنّى على ابني الوليد بن يزيد فقتلها ، وأخذ مالا مع إسماعيل ابن ريان بن عبد العزيز ، وغلبه على أخته فتزوجها ، وأراد عبد الرحمن ابن معاوية ، فأتاه رجال فأنذروه فرفع رأسه ، فخرج هو وعامة أصحابه الذين بقوا منهم فافترقوا في بلاد البربر .

فسار عبد الرحمن بن معاوية إلى موضع يُقال له : بارى ، فنزل في قبيلة يقال لها : مكناسة ، فكان له عنده مضيق (١) يطول ذكره .

ثم خرج من عندهم حتى بلغ البحر فنزل بسبرة ، فكان في نفرة ،

(١) كذا .

وهم أخواه ، كانت أمه نَفْزِيَّة ، وَبَدُرُ معه ، وكان سالمٌ قد فارقه بإفريقية لسبب كان ، وذلك أَنَّهُ كان مُحْتَمِيًّا (١) عاتبا ، فبيناهو (٢) قاعد إذ دخل على عبد الرحمن بعضُ بني عمه فصاح به ، فلم ينتبه فأمَرَ بماءٍ فُصِبَ على وجهه ، فامتعض ورجع إلى الشام .

وكان أبو الشُّجاع عالماً بالأندلس ، وذلك أَنَّهُ كان دخلها مع ابن نُصير أو بعده ، وغزا صوائف (٣) الأندلس ، فشق على ابن معاوية فراقه ، فرجع إلى أم الأصبغ بالشام .

(ثم رجع الحديث إلى ولاية أبي الخطار الأندلس)

قال : فَأَقَامَ عليه أربع سنين وستة أشهر إلى تاريخ ثمان وعشرين ومائة ، وكان قد قدم الأندلس في أمداد أهل الشام الصُّمَيْلُ بن حاتم ابن شَمِر بن ذى الجَوْشَن ، وكان أصله (٤) من الكوفة ، فلما قَتَلَ جَدُّه شَمِرُ الحَسين بن علي ، رحمه الله ، قَتَلَ المختارُ شَمِرًا بعد ذلك ، فارتحل ولده عن الكوفة فصاروا بالجزيرة ، ثم لما جُنِدَ جُنْدُ قِنْسَرِينَ صار الصُّمَيْلُ فيه ودخل الأندلس لسبب دَمَ أصحابه ، فرأس بالأندلس ، ودانت له قَيْسُ بالأندلس ، وفاقهم بالنجدة والسَّخاء ، فاغتم ، بذلك أبو الخطار ، ودخل عليه يوماً وعنده الجُنْدُ ، فَأَحَبَّ كَسْرَهُ ، فَلُكِزَ وَشُتِمَ ، فخرج عنه فَأَتَى داره وَبَعَثَ إلى خِيَارِ قومه فشكوا إليهم مالتى ، فقالوا

(١) يريد : غاضبا .

(٢) الأصل : « فبيناه » .

(٣) كذا . والصوائف جمع صائفة ، وهى غزوة الصيف .

(٤) الأصل : « أصل » .

له : نحن لك تبع ، فقال : والله ما أحبُّ أن أعرضكم (١) للقضاية (٢) واليانية ، ولكن اللطف ، ندعو بالله مرج راھط (٣) ، وندعو لكم وجُداما ، وندخل منهم رجلا نُقدّمه يكون له الاسم ولنا الخط .

قال : فكتبوا إلى ثوبة بن سلامة الجُدّامى ، وكان من أهل فلسطين ، ثم ساروا حتى وفدوا عليه فأجابهم ، وأجابتهم لهم وجُدام ، فبلغ ذلك أبا الخطّار فغزاهم في جماعة أهل الأندلس ، فلقبهم ثوبة بناحية نهر شذونة فانهمز أبو الخطّار وأسر وقتل قليل من أصحابه ، ثم رفع السيف عنهم ، وأقبل ثوبة بن سلمة حتى دخل قصر الأندلس وأبو الخطّار معه في قيوده .

فولى ثوبة سنة ثم مات في سنة تسع وعشرين ومائة ، فاجتمع أهل الأندلس على يوسف بن عبد الرحمن بن عتبة بن نافع الفهرى بعد اختلاف شديد ، إلا أنه لم تكن في ذلك حرب ، كان يحيى بن حُرَيْث الجُدّامى ، من أهل الأردن ، قد دعا إلى نفسه ، فقال ثوبة بن عمرو : وأنا أولى بهذا الأمر ، فلم يزالوا يتراوضون الأمر بينهم حتى اجتمعوا على يوسف ، بأن تركوا كورة رية ليحيى بن حُرَيْث ، وبها سكنى أهل الأردن ، فرضى يحيى .

قال : واجتمعت قضاة فرأسوا على أنفسهم رجلاً يقال له :

(١) الأصل : « أعرضهم » .

(٢) الأصل : « القضاية » .

(٣) مرج راھط : موضع في الغوطة من دمشق ، وكانت به وقعة

بين عبد الله بن الزبير ومروان بن الحكم . (معجم البلدان : راھط) .

عبد الرحمن بن نعيم الكلبي ، فجمع مائتي رجل وأربعين فارسا ، ثم بيّت القصر بقرطبة فطرد الحراس (١) وهجم على السجن فأخرج أبا الخطار وهرب به ليّله ، فأقام به في كلب ، وقبائل من حمص ، فاكتنفوه ومنعوه ، فغمر ولم يحدث شيئا ، حتى اجتمع الناس على يوسف .

فلما استقام ليوسف الأمر لم يلبث أن غدر بابن حُرَيْث وعزله عن الكورة ، فغضب ابن حُرَيْث وكاتب أبا الخطار حتى اجتمعا ، فقال أبو الخطار : أنا الأمير ، وقال ابن حُرَيْث : بل أنا أقوم بالأمر ، لأن قومي أكثر من قومك .

فلما رأت قضاة مايدعو إليه ابن حُرَيْث أحبوا جمع كلمة اليمن كلّها ، فأجابوا ابن حُرَيْث وقدموه ، فأصفت (٢) يمن الأندلس حميرها وكندتها ومذحجها وقضاعتها ، وامتازت (٣) مضر وربيعه إلى يوسف ، وربيعه بالأندلس قليل ، فلحق خيار اليمن بابن حُرَيْث من كل جند ، وتجرع أهل البلد بتجرع أهل الشام ، ولحق خيار مضر بيوسف والصُمَيْل ، لايعرض أحد لأحد ، يُخرج الجوار (٤) ، فيودّع بعضهم بعضا ، حتى يلحق كل رجل بقومه .

وهي أول حرب كانت في الإسلام بهذه الدعوة ، لم تكن حرب قبل هذه الواقعة ، وهي الفتنة العظمى التي بها يُخاف بوار الإسلام بالأندلس ، إلا أن يحفظه الله .

(١) الأصل : « الأحراس » .

(٢) أصفت : أطبقت واجتمعت .

(٣) امتازت : انزلت .

(٤) الجوار : العهد والأمان .

قال : فزحف ابن حُرَيْث وأبو الخطَّار إلى يوسف والصَّمِيل بقرطبة ، فأقبلا حتى نزلا على نهر قرطبة ، بقبليها بقرية شَقْنْدَة ، وعبر يوسف والصَّمِيل النهر إليهما بمنّ معهما ، فالتقوا حين صَلَّوا الصبح ، فتطاعنوا على الخيل حتى تَقَصَّفت الرِّماح ، وثَبَّتت الخيل ، وَحَمَيْت الشمس ، ثم تَدَاعَوْا إلى البراز ، فتنازلوا وتضاربوا بالسيف حتى تَقَطَّعت ، ثم تَقَابَضُوا بالأيدي والشُّعُور ، لم يكن في الإسلام صَبْرٌ مثله إلا ما يذكر من صَفِيّين ، ولم يكن القوم بكثير ، لا هؤلاء ولا هؤلاء ، وإنما كانوا خياراً من الفريقين ، وكانوا متقاربين ، إلا أن اليمن كانوا أكثر قليلاً ، فلما أَعْيَا بعضهم بعضاً تواقفوا يضرب بعضهم وجوه بعض بالقِيرِيّ والجِعَاب ويَحْتِي بعضهم التراب على بعض ، إذ قال الصَّمِيل ليوسف : ما وقفنا إذ خلفنا جنداً نحن منهم في غَفْلَة . قال : وَمَنْ هم ؟ قال : أَهْلُ السُّوق بقرطبة . فردَّ إليهم يوسف موله خالد بن يزيد وصاحب (١) ، فأخرجنا منهم نحواً من أربعمئة راجل ، معهم الخُشب والعصى ، ومع قليل منهم السيف والمزارق ، فخرج الجَزَّارون بسكاكينهم فجاءوا إلى قوم مَوْتَى ، وقد مَضَّت الظهر والعصر لم يصلُّوها لا صلاة خوف ولا أَمْن ، فجردوهم وقتلوا وأَسْرُوا بشراً كثيراً خياراً ، وأَسْرُوا أبا الخطَّار وابن حُرَيْث ، وكانا الأميرين .

وكان ابن حُرَيْث لما رأى أَهْل سُوق قُرطبة يقتلون أصحابه ، تَعَيَّب ودخل تحت سرير الرّحى التي بموضع بيع الخُشب ، فلما أَسْرُوا أبا الخطَّار وهمُّوا بقتله قال : ليس على قُوْت ، ولكن عندكم ابن السوداء ، ابن حُرَيْث ، فذَلَّ عليه ، فأُخرج ، وقُتلا جميعاً .

وكان ابن حُرَيْث يقول : لو أَنَّ دماءَ أَهل الشام جُمِعت لي في قدح لشربتها .

فلما استُخرج قال له أَبُو الخطَّار : يابن السوداء ، هل بَقِيَ في قدحك شيءٌ لم تشربه ؟ فقتلا ، وأسر منهم بشر كثير .

ثم أتى بالأسرى ، وقعد لهم الصُّمَيْل في كنيسة كانت في داخل مدينة قُرطبة ، وهى اليوم موضع مسجدِها الجامع ، فضرب أوساط سبعين منهم ، فلما رأى ذلك قاسمُ بن فلان أَبُو عطاء بن حَمْد المُرِّي قام إليه فقال له : أَبَا جَوْشَن ، أَغْمِد سيفك وراجع سيفك (١) ، قال له : اقعد أَبَا عطاء ، فهذا عَزُّك وعزُّ قومك ، فجلس ولم يُغمد السيف ، ثم قام إليه فقال له : يَا أعرابى ، والله إن تَقَتَلنا إلا بعداوة صِفِّين ، لَتَكُنَّ أو لَأَدْعُونَ بدعوة شامية ، فَأَغْمِد سيفه ، وَأَمِن الناس على يَدَي أَبَى عطاء بعد بلاءٍ عظيم .

فيقال ، والله أعلم : إن تلك الواقعة تُوجد في بعض العلم ، أنها قاطعة الأرحام ، وكانت قبل سنة إحدى وثلاثين ومائة .

قال : فَأَعقَبهم الله بالجُوع والقحط ، فجاءت الأندلس سنة ثنتين ، ثم استخلفت سنة ثلاث عامًّا سعيدًا ، فثار أَهل جَلِيقِيَّة على المسلمين ، وَغَلِظَ أمر عِلج يقال له : بُلاى ، قد ذكرناه في أول كتابنا ، فخرج من الصَّخْرة وَغَلَب على كورة واسْتُورس ، ثم غَزاه المسلمون من جَلِيقِيَّة ، وغزاه أَسْتَرْقة زمانًا طويلًا ، حتى كانت فتنة أَبَى الخطَّار وثوابه ، فلما

(١) كذا ، ولعلها : نفسك .

كان في سنة ثلاث وثلاثين هزمهم وأخرج عن جليقية كلها ، وتنصر كل مذبذب في دينه ، وضعف عن الخراج ، وقتل من قتل ، وصار فلهم إلى خلف الجبل إلى أسترقة حتى استحکم الجوع ، فأخرجوا أيضا المسلمين عن أسترقة وغيرها ، وانضم الناس إلى ماوراء الدرب الآخر وإلى قورية وماردة في سنة ست وثلاثين ، واشتد الجوع ، فخرج أهل الأندلس إلى طنجة وأصيلا وريف لبربر ممتارين ومرتحلين ، وكانت إجازتهم من وادي بكورة شذونة ، ويقال له : وادي برباط ، فتلك السنون تسمى : سني برباط .

فخف سكان الأندلس ، وكاد أن يغلب عليهم العدو ، إلا أن الجوع شملهم .

قال : وكان يوسف قد أخرج الصمائل فوجهه إلى الثغر الأكبر اسدادة (١) بالأندلس ، كانوا أمثل حالا (٢) ، وكان الثغر لليمن فأراد أن ينلهم ، فبعثه إلى سرقسطة واقتصرص (٣) ضعف أهلها ، فأتى في مائة رجل من قريش ، ومن كان معه من غلمانة وحشمه ومواليه ، فنال بها ملكا وغنى ، ووفد عليه محاويل (٤) الناس فأعطاهم الأموال والرفيق ، ولم يأت به صديق ولا عدو فحرمه ، فازداد سوددا ، وأقام بها أعوام الشدائد التي تتابعت .

(١) كذا .

(٢) يبدو أن هذه العبارة « كانوا أمثل حالا » مقحمة .

(٣) اقتصرص : اغتتم .

(٤) المحاويل : جمع محوال ، وهو من الناس : الكثير المحال في الكلام ، ولعله يريد مقاويلهم .

وكان بقربة فتي من بني عبد الدار قد شرف وسود ، يقال له : عامر . من ولد أبي عديّ أخى مُصعب بن (عُمير بن) (١) هاشم صاحب إزاء رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، يوم بدر وأُحُد ، وإلى عامر تُنسب مقبرة عامر التي بغرب سور مدينة قرطبة ، فكان يلي الصوائف (٢) قبل يوسف فشرّف ، فحسده يوسف ، فلما تبدّى له ذلك بعث إلى أبي جعفر فيما يحدث أن يبعث إليه بسجله على الأندلس ، وسأه ماصنع يوسف باليمن وماسفك من الدماء ، وابتنى حظراً (٣) في منية له كان يقال لها : قنّاة عامر بغرب قرطبة ، فأغلق غلقة عظيمة همّ أن يجعلها مدينة ، وأراد أن يبتنى بها بُنياناً ينضم إليه ، ويغاور يوسف حتى يأتيه أمداد اليمن .

وضعف سلطان يوسف حتى كان لا يركب معه خمسون رجلاً من حشمه ، فضعف الناس عليه بالأندلس ، وأراد أن يتقبّض على عامر فوجده حذراً قد أعلم بما يُراد به ، وكان يوسف جباناً ، فلم يُرد أن ينازعه حتى يحضره الصّميل ، فكتب إلى الصّميل يُعلمه بما تبدل من أمر عامر ، فأجابه يُشجعه على قتله ، وكان عامر لا يخفي عليه شيء من سير يوسف ، وكان سخياً لبيباً عاتلاً أديباً ، فأتاه آت فقال له : انظر لنفسك ، فقد أتاه كتاب الصّميل يُشجعه على قتلك (٤) ، فخرج هارباً من قرطبة إلى سرْقُسطة حيث الصّميل ، ولم ير لنفسه أَمْن من بكثرة اليمن فيها ، ولم يثق بأهل كُور الأجناد لضعفهم ، ومابقي عاينهم من وقعة شقنّدة .

(١) التكملة من السيرة لابن هشام (٢ : ٢٦٤) طبعة الخليلي .

(٢) الصوائف : جمع صائفة ، وهي الغزوة في الصيف .

(٣) الحظر : الحظيرة .

(٤) الأصل : « قتله » .

وكان بسرّقسطة رجل من بنى زهرة من كلاب قد شُرّف ، فكتب إليه عامر ومثّ بقرابة وكَد قصي من بنى زهرة فأجابه ، فسار عامر حتى ورد بعض نواحي سرّقسطة ، فاجتمع هو والزُّهرى ، فدعوا الناس إلى سِجِل أبي جعفر ، فأجابهم رجال من اليمن وناس من البربر وغيرهم ، فبلغ الصّميل شأنهم ، فبعث إليهم خيلاً ورجالا من أهل الطاعة فهزموهم .

واجتمع لهما ملا من الناس فأقبلا حتى حصّرا الصّميل بمدينة سرّقسطة ، فكتب إلى يوسف يسأله إمداده ، فلم يجد في الناس منهضاً ، وذلك في سنة ست وثلاثين .

فلما أبطأ عنه يوسف ، وخاف أن يُستنزل ، كتب إلى قومه قيس في جُنْد قنّسرين ودمشق يعظّم عليهم حقّه ويسألهم إمداده ، ويعلمهم أنه يجتزئ من المدد بالقليل ، فقام في ذلك عُبيد الله (١) بن علي الكلابي ، وجماعة كلاب ، ومحارب ، وسليم ، ونصر ، وهوازن كلها ، إلا بني كعب ابن عامر ، وعتميل ، وقشير ، والحريش ، فإنهم كانوا منافسين لبني كلاب ، لأن الرّئاسة بالأندلس كانت فيهم ، كان بلج قشيريّاً ، فعمّهم الصّميل .

وصارت الرّئاسة في كلاب بن عامر ، وسيد بني كعب بن عامر بدمشق سليمان بن شهاب ، وبقنّسرين الحُصين بن الدّجن العُقيلي ، وكانت غطفان تقدّم رجلاً وتؤخّر أخرى ، ولم يكن لهم رأس يجمعهم ،

(١) الأصل : « عبد الله » .

(٢) الأصل : « والحريس » بالسّين المهملة .

كان قد هلك رأسهم أبو عطاء ، فلما نهض عبيد (الله) (١) بن علي ، ودعا في الجند إلى نصر الصَّمِيل ، تقاعس ابن شهاب ، وابن الدَّجَن ، وأصفت (٢) بنو عامر كلها على الخروج إليه : كلاب ، ونمير ، وسعد ، وجميع قبائل هوازن ، وسليم بن منصور ، وتابعهم بعد غطفان بن سعد .

فلما رأى ذلك سليمان والحُصَيْن علما أن قعودهما عنه ليس بضائره فحفاً وخرجا ، ومن خرج معها من قومهما ، فخرجت قيس كلها من الجندين ، والجندان متجاوران بالأندلس ، فخرجا على صَفقة من الناس ، فلم تجتمع لهم إلا ثلثائة فارس وبضع وستون فارساً ، فاستقلوا أنفسهم ثم قالوا : ليس مثلك يترك وإن هلكنا .

وخفَّ معهم بنو أمية ، وهم أكثر يومئذ بدمشق ، فخرج إليهم في هذا العدد ثلاثون فارساً من بني أمية ، فيهم من رؤسائهم : أبو عثمان عبيد الله بن عثمان ، وعبد الله بن خالد ، وكانا يتواليان لواء بني أمية ، يعتقبان ذلك ، ويوسف بن بُخت ، وكانوا قد حضروا شَقْنْدَةَ مع يوسف والصَّمِيل ، بخيار بني أمية .

وكان لبني أمية يومئذ بلاء عظيم معروف وصبر محمود ، فكانوا من يوسف بأشرف المنازل ، ومن الصَّمِيل وجميع قيس ومُضَر ، فخرجوا مع قيس فيمن قَوَى من بني أمية .

(١) تكملة يقتضيها السياق .

(٢) أصفت : أجمعت .

ورجع هاهنا شيء من حديث عبد الرحمن بن معاوية (وله اجتلبنا
حصر الصميل لينظم الحديث) .

قال : وكان عبد الرحمن بن معاوية ، لما وقع عند نَفْرة بِسْرة
قام فيهم آمناً ، فكتب إلى مواليه بالأندلس كتاباً يشكو فيه ما ابتلوا به ،
ويعظم عليهم حقه ، ونزوعه إليهم ، وما صنع به ابن حبيب وبقومه
بإفريقية ، ويعلمهم أنه إن دخل إلى يوسف لم يأمنه ، ويعرض أنه إنما
يريد الاعتزاز بهم وأن يمنعه ، وإن تهيأ لهم مافيه طلب سلطان الأندلس
أن يعلموه ، وبعث بكتابه بداراً مولاه .

فلما جاءهم بدرٌ بكتابه اجتمعوا وتشاوروا ، وبعثوا إلى يوسف بن
بُخت ، وكان من رجالهم وأنجادهم ، وكان في جُند قِنَسرين ، فاجتمع
رأيهم على ألا يرُدُّوا إليه جواباً حتى يشاوروا الصميل في ذلك ويدعوه
إليه ، وكانوا (١) واثقين به إن لم يجبههم ألا يرفع عليهم شيئاً ، فكان
هذا مما أخرجهم إلى إمداد الصميل ، مع ما أرادوا من اعتقاد اليد عنده
وعند قيس .

(ثم رجع حديث إلى خروجهم)

قال : فخرجوا ، وهم ثلثائة فارس وبضع وستون فارساً ،
وابن شهاب معهم ، والحُصين بن الدَّجن ، فرأسوا على أنفسهم ابن شهاب
استئلاًفاً له ، فعل ذلك عبيد (الله) (٢) بن علي ، وهو يومئذ سيد
بتي كلاب بعد الصميل . فساروا حتى أتوا وادي أنه ، وبه عُقْدة

(١) الأصل : « وكانا » .

(٢) تكملة يقتضها السياق .

ابن بكر بن وائل وبنو (١) على ، فاستعانوهم ، فخرج معهم أربعمائة
أو يزيدون ، فلما بلغوا طليطلة بلغهم أن الحصار قد أضرَّ بالصُّمَيْل ،
وخافوا أن يلتقى بيده إذا يئس من المدد فيهلك ، فعبَّجُوا إليه رسولا من
قَبْلِهِمْ وقالوا له : ادخل في جُملة خيول عامر ، والزُّهري ، التي تقابل
السور ، فارم هذه الحجارة ، وبعثوا معه حجارةً وكتبوا فيها بيتي شعر ،
وهما :

تبشّر بالسلامة يا جِدَارُ أَتَاكَ الْغَوْتُ وانقطع الحِصَارُ
أنتك بناتُ أعوج مُلْجَمَات عليها الأكرمون وهم نِزار

فسار الرسولُ حتى فعل ، فلما وقعت الحجارة المدينة التي بها الصُّمَيْل
أو ببعضها ، فأمر من يقرأ ما فيها ، وكان لا يقرأ . فلما سمع ما فيها قال :
أبشروا ، قومي ورب الكعبة ، فتمسَّك بالحصن وقوى . ومضى القوم
وفيهم الأمويون : أبو عثمان . وعبد الله بن خالد ، وابن بخت ، وغيرهم ،
ومعهم بدر رسول ابن معاوية ، قد حَمَلوه وساروا به .

وكان ابن معاوية قد كتب إليهم وبعث قرطاسا وخاتمه ، بأن
يكتبوا عنه إلى جميع من رجوا نصره ، فكتبوا إلى الصُّمَيْل يذكرونه
أيادي بني أُمية .

قال : وَمَضُوا حتى أتوا سَرْقِسطة ، فانكشف عامر ، والزُّهري ، لما
سمعوا بالمدد قد قاربهم .

قال : وخرج الصُّمَيْل فتلقاهم بالرحب وأعطاهم العطاء الجزيل ،

أعطى خيارهم خمسين خمسين ديناراً ، وأعطى خيار القواد مائتي دينار
وأعطى غيرهم من الناس عشرة عشرة دنانير وشُقة شُقة خز ، ثم أقبلوا به
وماله وحشمه وخلّوا عن الثغر .

فلما أقبلوا خلا به الأمويون الثلاثة ، وكلمه عبد الله وأعطاه
الكتاب ، وقال له : تقدّم على ، لا رضى ولا سخط إلا برأيك ، فإن ترض
أمرًا رضىناه ، وإن تسخطه سخطناه .

فقال لهم : دعوني أروّ وأنظر ، وأقبل قافلا ، وقد جمعوا بينه
وبين بدر ، رسول ابن معاوية فأعطاه عشرة دنانير وشُقة خز ، وأقبل
حتى دخل قرطبة ، وانصرف الأمويون إلى منازلهم ومعهم بدر .

وأربع الناس وحملت الأرض ، واشتد يوسف على الخروج إلى الثغر
وهذا كله في سنة سبع وثلاثين .

قال : فخرج بالناس وبعث إلى أبي عثمان ، وعبد الله بن خالد ،
فقدما عايه ، فقعد لأحدهما ، ثم قال له : اخرج بمواليينا ، فقال له :
ليس في القوم نهضة ولا قوة على الخروج ، كُلُّ من كان فيه منهض
قد نهض إلى أبي جوشن ، فتقطّعا ، وأهلكهم الله بالشتاء والسفر ، مع
مانال الناس من الجهد .

فأخرج إليهما ألف دينار وقال : قوياهم بهذه ، فقالا له : هم خمسائة
مدون ، وأين تبلغ هذه منهم ؟ قال : على ذلك . فلما خرجا رويّا وقالا :
مالنا لاناخذ هذا المال ثم نسير فنتقوى به على مانريد ، فسارا .

وخرج يوسف فلم يعرّج على شيء ، فلما بلغ جيان أتاه أبو عثمان

وعبد الله ، وكانا حين سارا بالمال فرّقا على بنى أُمّية ، فلم يصبر لهم إلا عشرة دراهم أو نحوها ، وأعطوها الناس تقوية لهم ، واستثلافاً ، ليس لغزو إلا لما يريدون .

فلما أتياه بجيآن ، وهو نازل على مخاضة الفتح ينتظر تتام الناس إليه ، إذ أقبلت إليه الأجناد ، وجماعة الناس ، فأعطى الأعطيات .

فلما علم أبو عثمان أنه لا يعرّج ولا يُقيم دخل عليه فقال له : يا عبد الله ، أين موالينا ؟ فقال : أصلح الله الأمير ، مواليك ليسوا كغيرهم ، لأمقام لهم عنك ، وإنما سألونى إنظارهم حتى يبلغ الأمير طليطة ثم يلحقونه بها ، لعلهم أن يتناولوا شيئاً من جديد شعيرهم .

وكانت سنة سبع وثلاثين سنة خلف ، وكان خروج يوسف فى عقب سنة سبع وثلاثين فى ذى القعدة ، فصدّقه يوسف ولم يتهمه ، فقال له : ارجع إليهم ، وليكن منك عليهم ضاغط ، وتلك كانت حاجته .

وحضر رحيل يوسف ، فسار معه أبو عثمان مودّعاً ، فلما ودّعه رجع ليودّع الصّميل ، ولم يتحرك من العسكر ، كان صاحب خمر يُدمن عليها ، لا يكاد أن يبيت ليلة إلا سكران ، فألفاه راقداً ، فثبت له حتى تحرك ، وقد مضى الناس فلم يبق غيره وغير حشمه ، فلما خرج تقدّم إليه أبو عثمان وعبدُ الله ، فقال لهما : مانبأكما ؟ وما رجّعكما ؟ فأعلماه بالذى كان من إذن يوسف ليلحقاه بنى أُمّية بطليطة ، فاستحسن ذلك .

ثم ساروا حيناً ، ثم دنوا منه فقالا له : أخلينا نفسك ، فنحى أصحابه فقالا له : الذى كُنّا نشاورك فيه من أمر ابن معاوية ، فإن الرسول

لم يبرح ، فقال : أما إني ما أغفلت ذلك ، ولقد روّيت فيه ، واستخرت الله ، وكنمت الأمر فما شاورت فيه قريباً ولا بعيداً ، وفاء بما جعلته لكما من ستره ، قد رأيت أنه حقيق بنصرى حقيق بالأمر ، فاكْتُبَا إليه ... (١) ، على بركة الله ، فإن هذا الأصلع عليه (٢) أن يتخلّى لي من هذا الأمر وأزوجه أم موسى ، يريد ابنته ، وكانت قد أرملت تلك الأيام من زوجها قطن بن عبد الملك ، على أن يكون واحداً منّا ، فإن فعل قِبلنا منه وعرفنا حقه ومنته وبده ، وإن كره هان علينا أن نقرع صلّته بسيفونا ، فقبلاً يديه وشكراه .

قال : فكان أبو عثمان عبيد الله بن عثمان يحدث ، قال : سِرنا عنه ساعة نحواً من ميل ، مُنصرفين فرحين ، لا نرى إلا أن الأمر تمّ لنا ، إذا نحن بصائح خلفنا : أبا عثمان ، فنظرنا فإذا وسيطٌ له على فرس ، فوقفنا ، فقال لنا : يقول أبو جوشن : أقيما حتى آتيكما ، قال : فأعظمنا إتيانه بنفسه ، لنكون نحن أولى بإتيانه ، ووالله مانأمنه ، ثم توكلنا على الله فسرنا ، فإذا هو قد أقبل على الكوكب ، بغله الأبيض ، وهو يجنح به ، فلما رأيناه وحده أَمِنَّا وعلمنا أنه لو أراد مكروهاً ردّ معه أعواناً ، فنادانا فدنونا منه ، فقال لنا : إنني مذ أتيتموني برسول ابن معاوية وكتابه لم أزل في إدارة ، فاستحسنْتُ مادعوتما إليه ، ثم كان مني إليكما ما كان ، فلما فارقتكما روّيت فيه فوجدته من قوم لو بال أحدهم في هذه الجزيرة غرقنا نحن وأنتم في بؤله ، وهذا رجل قد حكمنا

(١) بياض بالأصل .

(٢) الأصل : « على » .

عليه مع ماله في أعناقنا ، والله بلغتما بيوتكما ثم رأيتما هذا لظننت
ألا أقصر حتى أرجع إليكما ، لثلا أغركما ، وأنا أعلمكما أن أول سيف
يسل عليه فسيني ، فبارك الله لكما في رأيكما ومولاكما ، فقلت : أصلحك
الله مالنا رأي إلا رأيك ، فقال : لاتفعلا ، فوالله مايسعكما إلا النظر له ،
فإن أحب غير السلطان فله عندى أن يواسيه يوسف ويؤوجه ويحبوه ،
انطلقا راشدين .

ثم انصرف عنا ، قال : فانقطع رجاؤنا من مضر وربيعه بأسرها
ورجع رأيونا إلى أطباء (١) اليمن وإدخالهم في رأينا ، ففعلنا ذلك من
قورنا ، لم نمر بمانى له بال وثقنا به إلا عرضنا عليه أمر ابن معاوية ودعواناه
إليه ، فالفينا قوما قد وغرت صدورهم يتمنون شيئا يجدون به سبيلا
إلى طلب ثأرهم . ورغبوا في عقد بنى أمية بالأندلس .

ثم رجعنا إلى جندنا ، وقد يئسنا من مضر ، فابتعنا مركبا ووجهنا
فيه أحد عشر رجلا منا مع بدر ، فيهم رجال كنت أسميهم أنسيهم ،
منهم رجل كان يقال له : شاكر ، غلام هشام ، وتمام بن علقمة الثقفي ،
وأعطينا تماما خمسمائة دينار تكون معه عدة للنفقة عليه وليفية البربر ،
وكان ابن معاوية في مغربة في طاعة ابن قرة المغيلي منتظرا لبدر مولاة ،
فمضى القوم في المركب ، فلم ينشب ابن معاوية وهو يصلّى المغرب حتى
نظر إليه مقبلا في اللج ، حتى أرسى ، وخرج إليه بدر سابحا ، فبشره
بما تم له بالأندلس ، وماخلف فيه أبا عثمان وعبد الله بن خالد ، وغيرهما

(١) أطباء : دعاه دعاء لطفنا واسمائه إليه .

من رجال الأندلس من الاجتماع عليه والرضى به ، وأخبره بخبر المركب وسمى له من فيه ومامعهم من المال للنفقة عليه .

ثم خرج إليه تمام بن علقمة ، فقال له عبد الرحمن : ما اسمك ؟ قال : تمام ، قال : وماكنيتك ؟ قال : أبو غالب ، قال : تم أمرنا وغلبنا عدونا ، فاستحجبه لذلك ، فلم يزل حاجباً في أيامه حتى مات .

فلما أراد أن يدخل المركب أقبلت البربر فعرضت لهم ، ففرق عليهم تمام من المال الذي كان معه صلات على أقدارهم ، حتى لم يبق أحد ، فلما صاروا في المركب أقبل واحد منهم لم يكن أخذ شيئاً فتعلق بحبل الهودج ، فحوّل شاكر يده إلى السيف فضرب يد الرجل فقطعها (١) ، وسقط الرجل في البحر ، فقادوا (٢) مركبهم ومضوا حتى حلّوا المنكب ، وذلك في شهر ربيع الآخر من سنة ثمان وثلاثين ومائة .

فأقبل إليه عبد الله بن خالد وأبو عثمان فنقلاه إلى قرية طرش ، منزل أبي الحجاج ، فجاءه أبو الحجاج يوسف بن بخت ، وجاءته الأموية كلها ، وجاءه جُداد بن عمرو المذحجي ، من أهل رية ، كان بعد ذلك قاضيه في العساكر ، وجاءه عاصم بن مسلم الثقفي ، وأبو عبدة حسان ، فاستوزره ، وجاءه العبدى أبو بكر بن طفيل ، واختلف الناس إليه .

قال : ومضى يوسف حتى أتى طليطلة ، فجعل يقول : ما أرى موالي لنا لحقوا بنا ، فلما أكثر ، قال له الصمّيل : انطلق ، ليس مثلك أقام على

(١) الأصل : « فقطعه » .

(٢) الأصل : « فقلدوا » .

مثلهم ، أخاف فوت الفرصة ، فسار حتى ورد سَرْقُسطة ، فلما خاف أهلها مَعَرَّةَ الجيوش أسلموا عامراً ، وابنه والزهرى ، فأخذهم وكبلهم وأراد قتلهم ، فاستشار فيهم خِيارَ قيس ، فكلَّهم أشار بآلا يفعل ، وأن يُبلغهم ، وكان أشدهم قولاً في ذلك سليمانُ بنُ شهاب ، والحُصين ابن الدَّجن ، فلما رأى اجتماع الجُند على ألا يقتلهم حبسهم ، ثم رأى أن يُمضى طائفة إلى البُشكنس ببَنبُلونة ، وكان أهلها قد نقضوا بنقض أهل جليقية ، فقطع بعثاً عليهم ابنُ شهاب ، وأحبَّ إقصاءه ، وجعل على خيله ومقدمته الحُصين بن الدَّجن ، وبعثهم في ضعف ، ولم يكره عَظبهم ، فساروا ، فلما أمعنوا رجع قافلاً في قليل من الناس ، فسار حتى بلغ وادى شَرْنَبه ، فأدركه الرسول هزيمة ابن شهاب وقتله ، وقتل عامة الناس ، وأن فلَّهم مع الحُصين بسَرْقُسطة عند أبي زيد عبد الرحمن ابن يوسف ، وكان يوسف قد خلفه على الثَّغر ، فسرَّه ذلك ، ثم دعا بعامر وابنه وَهْب ، وبالزهرى ، وقد قال له الصُّمَيْل : أما ابن شهاب فقد أراح الله منه ، فقدَّم هؤلاء فاضرب أعناقهم ، وذلك وقت الضحى . وقد أقام ذلك اليوم ويوماً قبله بوادى شَرْنَبه فرحاً مسروراً ، فأمر بهم فضربت أعناقهم ، فلما فرغ بهم وُضع الطعام فأكل هو والصُّمَيْل ، وقال له : قد قتل ابن شهاب ، وقتلت عامراً والزهرى ، هـى والله لك ولولدك إلى الدَّجَال ، مَنْ هذا ينازعك ؟

ثم خرج عنه إلى ابنتيه لِيَقِيل (١) ، فاضطجع يوسف مفكراً فيما صَنع ، ووَضع رجله اليمنى على (٢) اليسرى ، وهو مستلقٍ مفكّر .

(١) قال يَاقِل : نام وسط النهار .

(٢) الأصل : « عن » .

قال المحدث : فوالله ما أنزل رجله اليمنى عن اليسرى حتى صاح أهل العسكر : رسول ، رسول من قُرطبة ، فقعده ، فقالوا : نعم والله ، فلان ، غلام له على بغلة أمّ عثمان أمّ ولده وصاحبة سُلطانه ، وكانت البرد قد قطعها الجوع فلا يريد ، فلم يرعه إلا دخول الرسول عليه ومعه قطعة فيها : ابن معاوية قد دخل ونزل بطرّش عند الفاسق عبّيد الله ابن عثمان ، وأصفت معه بنو أمية ، وإن خليفتك على البيرة زحف إليه بمن خفّ من أهل الطاعة ليُخرجه ، فهزم وضرب أصحابه ولم يقع قتل ، فرأيتك .

فدعا الصميل ، فأتاه مذعوراً ، من بعثته فيه وقتاً لم يكن يبعث فيه في مثله ، وقد بلغه قدوم الرسول ، إلا أنه لا يعلم ماجاء به ، فقال : أصلح الله الأمير ، ما أقلقك في هذا الوقت إلا حدث ، قال : نعم والله ، جليل ، وإنّي أخاف أن يكون الله قد أنزل النّقمة علينا بقتل هؤلاء ، فقال له الصّميّل : ولا هذا كلّهُ ، لقد كان أهون على الله ، فما هو ؟ قال : اقرأ عليه يا خالدا كتاب أمّ عثمان ، قال : خطب جليل ، والرأى أن نقطع إليه من فورنا هذا بمن معنا من الناس ، فإما قتلناه وإما شردناه فهرب ، فإن هرب لم يستقلها أبدا . قال : وذلك .

فكانوا على ذلك حتى شاع الخبر ، ولم يضبطوا سرهم ، فذاع الخبر في الناس ، وقد قُتل من قتل منهم مع ابن شهاب ، وبقي فلهم بسرقة ، فتصايح الناس : غزوتان في غزوة .

فلما أمسوا تصايحوا بمشاعرهم ، فلم يبق معهم من اليمن عشرة رجال

إلا من كان له لواء فلم يقدر على تركه ، ولم يسؤهم ماصنع سواد قومهم ،
وبقى نفر من قيس خاصة ، ومن قبائل مُضر قليل قد ملؤا السفر .

قال : فأقبلوا يهونون عليه الأمر ، يُشيرون عليه بالمضى إلى قرطبة ،
والصُمَيْل على رأيه الأول ، حتى وقع المطر وأقبل الشتاء وحملت الأزهار ،
فترك المسير إلى ابن معاوية ومضى إلى قرطبة ، وقال له قائل : الرجلُ
لم يُظهر طلب سلطانك ، وإتما جاء يطلب معاشاً وأمناً ، فإن عرضت عليه
المُصاهرة ، وأنت توسّع عليه ألفيته مسرعاً ، فوفد إليه وفداً .

فلما قدم قرطبة وفد إليه وفداً ، فيه : عبيد الله بن علي ، وخالد
ابن زيد كاتبه ، ومولاه عيسى بن عبد الرحمن الأمويّ ، وكان يومئذ
على أرزاق الأجناد وحشم يوسف عارضا ، وبعث معهم بكسي وفرسين
وبغلين ووصيفين وألف دينار ، وكتب إليه يذكر له اصطناع آبائه
لجد يوسف بن عقبة بن نافع ولأهله ، ويدعوه إلى الصّهر والتوسعة
عليه .

فسار الرُّسل حتى بلغوا أُرش ، في أدنى كورة ريةً ، فقال : إن عيسى
ابن عبد الرحمن ، الملقّب بتارك الفرس ، قال لهم : بأى رأى يعيش
يوسف والصُمَيْل ، وأنتم أرايتم إن بلغنا بهذه الهدية فكرة ماجئنا به ،
أليس إن أخذ مامعنا قوى به ووَهَن صاحبنا .

فأبصر القوم عوار رأيهم ، وقالوا له : أقم بما معنا ونسير نحن ،
فإن أعطانا بيعته ورَضِيَ بما جئنا به سَرَحنا إليك رسولنا لتقدّم علينا
بما معك ، وإن يكن (١) غير ذلك فأرجعه إلى الأمير ، فهو أحقُّ بماله .

(١) الأصل : « وأن يكون » .

فسار عُبيد وخالد ، وأقام عيسى بكل ما كان معه ، حتى قدم على ابن معاوية بطرّش عند أبي عثمان ، وعنده جماعة بنى أمية ورجال من اليمن يختلفون إليه ، ويعتقبون المقام عنده ، منهم دمشقيون وأردنيون وقنّسريون فاخطب (١) عُبيد وخالد ، كل واحد حذو صاحبه ، ودعواه إلى الألفة ، وأن يصاهره يوسف ويحسن وفدهم ، ثم جلس ، فأخرج خالد كتاباً ، فناول له إياه ، فأخذ ابن معاوية فتمال أقرأه وأجب فيه بما تعلم من رأينا ، وقد كانوا أرادوا وقالوا : ما أحسن ما عرضتما ، وما جاء إلا طالباً لمورينه (٢) . فلما أخذ أبو عثمان الكتاب قال له خالد ، وكان لبياً أديباً عاقلاً ، إلا أنه زلّ ، وكان هو مملى الكتاب ، فأن له العجب والنفع ، وقديماً ما أهلك دين الرجال ودنياهم ، يا أبا عثمان لتعرقن إبطاك قبل أن تحير فيه جواباً . فرفع أبو عثمان فضرب بالكتاب وجه خالد وقال له : ياماصّ بظر أمه ، لا تعرق لي فيه إبط ولا أحيّر فيه جواباً ، ثم قال : خذوه ، فأخذ وكبّل من ساعته .

وقالوا لعبد الرحمن : هذا أول الفتح ، هذا سلطان يوسف كله . قال لهم عُبيد : هو رسول ، ولا سبيل إليه . فقالوا : أنت الرسول ، وهذا متعدي قد بدأ بالشتيمة والانتقاص ، ابن الخبيثة العليج ، ثم سرحوا عُبيداً ، وحبسوا خالداً .

وبلغهم خبر الأموال المخلفة بأرش ، فأقطعوا إليها خيلاً ثلاثين فارساً ، فوجدوا الخبر قد سبق إلى عيسى ، فطار راجعاً بكل مامعه .

(١) اختطب : خطب .

(٢) كذا ، ولعلها : لمواريشه .

فكان ابن معاوية بعد ذلك يُقيم عيسى ويقول : أنت مولانا ،
لأنك قى قرب ولائك منّا ، ففعلت وفعلت ، فيعتذر بالوفاء .

وكان ابن معاوية ذا بقيّة في مواليه فوضع عنه ذلك الذنب ، إلا أنه
لم يبلغ به كما بلغ بمثله من مواليه .

ولما رجع عبّيد إلى يوسف ، وقد صنع بخالد ماصنع ، هاض (١) ذلك
يوسف والصّميل ، وجعل الصّميل يثرّب عليه في خلافه رأيه ، إذ لم
يمض إليه من حيث بلغه خبره .

وبرك الشتاء ، فلم يُمكن واحداً من الفريقين تحرك حتى انقرض
الشتاء ، فلما انقرض ، وقد كاتب ابن معاوية الأجناد كلها والبربر
فأجابته اليمن بأسرها ، ولم يُجبه من قيس إلا جابر بن العلاء بن
شهاب ، وأبو بكر بن هلال العبدى ، والحُصين بن الدّجن ، هؤلاء
الثلاثة فقط ، لِمَا كان في أنفسهم مما صنع يوسف والصّميل بابن شهاب
وتطويحهما به ، وكان الصّميل قد ضُرب العبدى وهلالاً ؛ ومن ثقيف
من أعداد بنى أمية ثلاثة أيضاً : تمام بن علقمة ، وعاصم العُريان ، وأخاه
عمران .

وأصفت مُضر كلها مع يوسف ، فبعث إليهم وعسكر بقرطبة في
شُقْندة ، يريد البيرة ، وقد انحاز أهلها ، من قيس وغيرها من مضر ،
فعسكروا منتظرين ليوسف ، وانضمت اليمانية والأموية إلى ابن معاوية .

قال : فلَمَّا بلغ عبد الرحمن بن معاوية تَبَرُّيزُ (٢) يوسف إليه ،

(١) الأصل : « هاض » ، بصاد مهملة ، تصحيف ، وهاض : كسر .

(٢) تبريز : خروج .

قيل له : ليس فيمن في البيرة من اليمن وبني أمية مائدفع به عادية قيس ، وجماعة الناس مع يوسف ، ولكن نرى أن نتحرك إلى أجناد اليمن : حمص ، وفلسطين ، والأردن ، فنأتيه من خلاف وجهه .

فخرج حتى أتى أهل الأردن ، وهم إليه أقرب ، فأجابته اليمن وقضاة كلها ، واستجبوا (١) أن يأتى الأجناد الأخر ، وخف معه من أهل الأردن من خيارهم ناس قليل ، فسار حتى أتى طرف شذونة ، حيث أهل فلسطين ، فتسرّع إليه سرّاً القوم وحماة الجند ، وقد كان من في ذلك الجند من بنى كينانة ، وهم مع الجند ، تحركوا مع كينانة بن كينانة إلى يوسف ، فلم يعرض ابن معاوية لأحد من أولاده ولا لأحد ممن خلّفوه ، ثم أقبل بهم حتى أتى جند إشبيلية جند حمص ، فخرج إليه خيارهم من اليمن : شاميها وبلديها ، وبلغ يوسف خبره ، فرجع إليه واستقبله ، وأقبل كل واحد منهما إلى صاحبه بمنّ معهما ، وابن معاوية لالواء معه .

وخرجت الأجناد الثلاثة بألويتهم ، فقال بعضهم لبعض : سبحان الله : ما أشدّ خلاف أمرنا ، نحن بالوية وصاحبنا بلا لواء .

فأقبل أبو الصّباح يحيى بن فلان اليحصبي بقناة وعمامة ، والعمامة والقناة لرجل من حضرموت لأسميه ، ثم دعوا رجلاً من الأنصار لأسميه ، تفاءلوا باسمه ونسبه ، فعقد له بقرية فلنبيرة من إقليم طُشانة ، من كورة إشبيلية .

فحدثني غير واحد من المشيخة أن أبا الفتح الصّدقوريّ العابد ، وكان الجهاد قد غلب عليه ، وكان يُرابط بشجر سرقسطة مرة وبشجره

الذى كان يسكنه بقلنبيرة مرة ، وكان صديقاً لفرقد ، العالم بالحدثان ، وكان يأتى الثغر فيرباط فيه مع فرقد ، ثم يسير فرقد فيرباط بقلنبيرة : فكانا أكثر دهرهما مصطحبين ، فكان أبو الفتح يقول : أقبل معى فرقد حتى مررنا بمدينة قسطلونه بكورة جيان ، فقال : إني أجد لهذه المدينة خبراً شنيعاً ، فاعدل معى إليها لأصف لك خبرها .

قال : فعدلت معه فوصف ما حدث فيها بين الأميرين : ابن معاوية وأبى الأسود بن يوسف ، فكان كما قال بعد ذلك .

واجتلب لى دخول ابن معاوية ، وقال : إذا مررنا بكورة إشبيلية أريتك المكان الذى يُعقد فيه لواؤه ، فسرنا حتى أتينا القرية ، فقال لى ، وأشار إلى شجرتى زيتون : يُعقد لواؤه بين هاتين ويحضره ملك من الملائكة موكل بنصر الألوية قى أربعين ألفاً ، لا يرسل (١) على عدو إلا تقدمه النصر على أربعين يوماً .

فبلغ هذا الأمير عبد الرحمن بن معاوية ، فكان كلما خلقت العمامة ستر فضوطا ، وعقد على العقدة .

ومضى على ذلك هشام ، والحكم ، وعبد الرحمن ، إلى غزوات ماردة ، فلما أرادوا بدل العمامة وجدوا الأخلاق القديمة ، فحلها عبد الرحمن ابن غانم ، والاسكندراني ، فطرحاها وجددا عمامة ، وجهور غائب عنهم ، فلما أقبل أنكر ذلك وأعظمه ، ودعا إلى طلب الأخلاق وردّها ، فلم توجد ، ولم يلتفت إليه أحد .

(١) مكان هذه الكلمة « لا يرسل » بياض بالأصل .

(رجع الحديث)

ويوسفُ نازلٌ بِمَدَوَّرِ صَدَفٍ ، ثم رحل يوسف ورحل ابن معاوية فنزل طُشَانَةُ ، والنهر بينهما ، وذلك في أول ذى الحِجَّةِ سنة ثمان وثلاثين ومائة ، فتناوشا والنهرُ بينهما ، فكان ماءُ النهر كثيراً لاسبيل إليه ، ثم زاد حتى امتنعا ، فأقاما (١) عليه انتظاراً لنُقْصانه ، ثم رأى ابن معاوية أَن يَبْدُرَهُ إلى قرطبة ، قيل له : إن عامة مَنْ فيها مواليك ، وهم كثير ، فأوقد نيرانه ليلاً ، ثم رَحَلَ من جَوْف الليل لِيَسْبِقَهُ ، وبينه وبين قُرْطِبة خمسة وأربعون ميلاً ، فلم يَسِرْ ميلاً حتى أتى يوسفَ مَنْ يُعلمه بما أراد من مُخالفته إلى قُرْطِبة ، فأصبحا كَفَرَسَى رِهَانٍ ، والنهر بينهما ، فعلم ابنُ معاوية أَنَّهُ قد أتى بما أراد ، فأمسك عن ذلك ، ثم نزل فنزل يوسف بنزوله ، ثم لم يزالا يَسيران حتى نزل يوسف في المِصْرَةِ ، ونزل ابنُ معاوية إلى بابِش ، وقد انكسر سَفَلَةُ أَصْحابه وَمَنْ لَا عِلْمَ له بالأمر ، وكانوا رَجَوْا دخول قُرْطِبة والتوسع في معاشها والانتصار بأهلها ، وكانوا في ضيق من المعاش ، حتى ماكانوا يتقوتون إلا بالقول الأخضر ، وذلك في أَيَّار .

وأقبل يوسف إلى رَفَاهَةِ عَيْشٍ ، فَأَقَامَ هو وَأَصْحابه فيما شَاءُوا ، ولحق بابن معاوية كُلُّ مَنْ قَوَّتَهُ نفسه على ذلك ، من اليمن وبني أُمَيَّة من أَهل قُرْطِبة ، ونقص النهر يوم الخميس لتسع ليالٍ مضين من ذى الحجة يوم عرفة ، فقال لهم : إِنَّا لم نَجِئْ للمقام ، وقد دعانا هذا الرجل إلى ما علمتُمْ ، وعرض ما سمعتم ، ورأيي لرأيكم تَبَعٌ ، فَإِنْ كَانَ

(١) الأصل : « فَأَقَام » .

عندكم صبر وجلد وحُبٌ للمكافحة فأعلموني ، وإن يكن فيكم جُنوح إلى السُّلم والصلح فأعلموني ، فأصفقت اليمن كلها بأسرها على الحرب ، ورأت ذلك بنو أُمية .

فَكَتَبَ كتائبه ، وبعث على خيل أهل الشام عبدَ الرحمن بن نُعيم الكلابي ، وعلى رجالة اليمن بلوثة اللَّخمي ، من أهل فلسطين ، وعلى رجالة بني أُمية ومَن جاءهم من البربر عاصِمَ العُريان - ويومئذ سُمي العُريان ، تَجَرَّدَ في سراويله فقاتل حتى فتح الله له ، فسُمي العُريان - وعلى خيل بني أُمية حبيب بن عبد الملك القرشي ، وهو من ولد عمر ابن عبد الواحد ، وجعله على جماعة الخيل ، وعلى خيل من صحبه من البربر إبراهيم بن شجرة الأودي ، وناول أبا عثمان اللّواء .

ونزل جماعة بني أُمية فحفُّوا به ، وتحتة فرس أشقر ، معه القوس ، ثم عَبَروا النهر يوم الخميس ، فلم يَعرض يوسف لشيء من إجازتهم ، ثم راسلهم عشية الخميس بالصُّباح حتى كاد أن يتم ، وكأنه كان بيني أُمية بعض الحرص على الصلح ، وأخرج يوسف الغنم والبقر فذُبِحت وصُنِعَ الطعام لهم جميعاً (١) ، لايشكون أن الصلح تام ، فأراد إطعام العسكريين ، وظن أن إطماع ابن معاوية وأصحابه إياه للصلح لتفتيره عن العَرَض له في إجازة النهر .

فلما أصبحوا غداة الجمعة يوم الأضحى ... (٢) ماكانوا أرادوا من الصلح ، ثم تزاحف القوم ، وعلى خيل يوسف من أهل الشام ومُضر كلَّها

(١) الأصل : « ليلهم جمعا » .

(٢) بياض بالأصل .

عُبَيْدُ اللَّهِ بنِ عَلِيٍّ ، وَعَلَى الرَّجَالَةِ كِنَانَةُ بنِ كِنَانَةَ الكِنَانِيُّ ، وَجَوْشَنُ بنِ الصُّمَيْلِ ، وَأَنْزَلَ يَوْسُفَ عَلَى جَمَاعَةِ الرَّجَالَةِ عَبْدَ اللَّهِ ابْنَهُ ، وَبَعَثَ عَلَى خَيْلِ غِلْمَانِهِ وَصَنَائِعِهِ مِنَ الْبَرْبَرِ خَالِدَ بنِ سُودَى ، غَلَامَهُ .

وَكَانَتْ خَيْلُ يَوْسُفَ كَثِيرَةً مَعَ خَالِدٍ مِنَ غِلْمَانِهِ ، وَالْبَرْبَرِ وَأَخْلَاطِ النَّاسِ ، وَمَعَ عُبَيْدِ بنِ عَلِيٍّ بِالْمَيْسَرَةِ خَيْلُ قَيْسٍ ، فَالْتَقَوْا فَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا ، فَلَمَّا اشْتَدَّ الْأَمْرُ نَظَرَتْ الْيَمَنُ إِلَى ابْنِ مَعَاوِيَةَ عَلَى فَرَسٍ ، وَقَدْ نَزَلَ حَوْلَهُ مَوَالِيهِ ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : غَلَامٌ حَدَّثَ فَمَا يُؤْمِنُنَا أَنْ يَطِيرَ عَلَى هَذَا الْفَرَسِ فَتَهْلِكَ ، فَبَلَغَهُ ذَلِكَ حِينَ (١) لَفَظُوا بِهِ ، فَنَادَى أَبَا صَبَّاحٍ ، فَأَقْبَلَ إِلَيْهِ ، فَقَالَ : لَيْسَ فِي عَسْكَرِنَا بَغْلٌ أَوْفَقُ مِنْ بَغْلِكَ ، فَإِنْ هَذَا الْفَرَسُ يَقْلُقُ تَحْتِي ، فَلَا أَقْدِرُ عَلَى مَا أُرِيدُ مِنَ الرَّحَى مِنْ قَوْسِي ، فَخُذْ فَرَسِي وَهَاتِ بَغْلَكَ ، وَإِنِّي أَحَبُّ أَنْ تَكُونَ تَحْتِي دَابَّةً تُعْرِفُ إِنْ حَالَ النَّاسُ - وَكَانَ بَغْلًا أَشْهَبَ قَدِ ابْيَضَّ - فَاسْتَحْيَا أَبُو صَبَّاحٍ ، فَقَالَ : أَوْيَثُبْتُ الْأَمِيرَ عَلَى فَرَسِهِ ؟ فَقَالَ : لَا وَاللَّهِ ، فَأَخَذَ الْبَغْلَ .

فَاطْمَأَنَّتِ الْيَمَنُ ، وَتَرَامَوْا عَنْ خَيْلِهِمْ ، وَحَمَلُوا عَلَيْهَا أَخْفَاءَهُمْ ، وَاشْتَدَّ الْقِتَالُ ، فَشَدَّ حَبِيبُ بَخِيلِهِ عَلَى خَيْلِ مَيْمَنَةِ يَوْسُفَ وَالْقَلْبَ فَهَزَمَهَا ، وَطَارَ خَالِدُ بنِ سُودَى وَمَنْ مَعَهُ ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ عُبَيْدُ بنِ عَلِيٍّ تَدَاعَى إِلَى النَّزَالِ هُوَ وَخَالِدٌ ، ثُمَّ شَدَّ حَبِيبٌ وَابْنُ نُعَيْمٍ بِخَيْلِ أَهْلِ الشَّامِ عَلَى الْقَلْبِ ، فَقُتِلَ كِنَانَةُ بنُ كِنَانَةَ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بنُ يَوْسُفَ ، وَجَوْشَنُ بنُ الصُّمَيْلِ ، وَطَارَ يَوْسُفُ وَالصُّمَيْلُ ، وَثَبَّتَ عُبَيْدُ فِي مَيْسَرَةِ يَوْسُفَ وَجَمَاعَةِ قَيْسٍ ،

فاقتتلوا حتى ارتفعت الشمس ، ثم انهزموا فقتلوا قتلا ذريعاً ، وقتل
عُبَيْدُ اللَّهِ بن علي ووجوه قيس ، لم يبق منهم مِمَّنْ حضر إلا من لا ذِكْرَ له .
وسار ابنُ معاوية حتى أتى القَصْرَ ، فلم يجد دونه أحداً ، وأقبل
عسكرُهُ فانتهب عسكر يوسف ، وأكلوا الطعام الذي كان أعدَّهُ ، فأصابوا
العسكر وفيه من كُلِّ شَيْءٍ .

وكان ابنُ معاوية قد وَكَّلَ بـخالد بن زيد ، وهو محبوس ، رجلين
من ضُفَّاء (١) بنى أُمَيَّة وأمرهما إنْ حَالَ الناس أن يَفْرَغا منه ، فكان خالد
يقول : ما آليت على الدَّعوة لنفسى قط إلا يومئذ ، كنت أقول : اللَّهُمَّ
انصر يوسف ، ثم أقول : فى نصره قتلى ، وفى نصر ابن معاوية هلكى .

فلم يزل محبوساً حتى اصطلحا ، فلما دخل ابنُ معاوية القصر لم
يجد دونه أحداً ، ووجد سرَّعان الناس (٢) قد سبقوا إلى عيال يوسف
فسلبوا وانتهبوا ، فلما جاء طَرَدَ الناس ، وكسا من عرى منهم ، وردَّ ماقدَر
على رَدِّه ، فغضبت اليانبة وساءَهم ، إذ حَجَرَ عياله مما كانوا أرادوه من
فَضِيحَتِهِمْ ، وقالوا : عَصَب .

وكان ذلك لم يشتدَّ على أهل العُقُول منهم ، وأَضَمُّروا أن قالوا :
قد أَحسن ، وفى أَنفُسِهِمْ غير ذلك ، وقال بعضهم لبعض : ويحكم !
قد فرغنا من أعدائنا من مُضَر ، وهذا ومواليه منهم ، فَضَعَبْنَا يداً عليهم ،
فيصير لنا فِتْحَانٌ فى يوم واحد .

(١) كَذَا .

(٢) سرعان الناس ، بالفتح وإسكان الراء وفتحها : أوائلهم المستبقون
إلى الأمر .

فكره كارهُ ورضى راضٍ وأصفت قُضاة على الكراهة ، وأتى ثعلبة بن عبد ... (١) الجذام ، وهو يومئذ من وجوه أهل فلسطين من جذام ، إلا أنه لم يكن يومئذ من قوادهم ، كان فيهم رجال فوقه ، فانتصح ابن معاوية وأعلمه بما تشاور فيه القوم من قتله وقتل مواليه ، وزعم له أنه فيمن كره ذلك ، وأخبره بإبادة قضاة ، وقال له : احترس وضمَّ إليك مواليك ، وقال له : أشدَّ الناس كان قولاً في ذلك ، ودعا إليه أبو الصَّباح .

فهذه (٢) يدُ ثعلبة التي بها شرفه عبد الرحمن ، فولى شرطته يومئذ عبد الرحمن بن نعيم ، وضم مواليه فجعلهم أحراسه ، وانضم إليه بنو أمية بقرطبة ، وكان بها منهم بيوتات لها ، وفُرَّ وثروة من البربر وغيرهم .

وقد كان يوسف حين أقبل إليه ابنُ معاوية كتب إلى ابنه عبد الرحمن يأمره أن يأتيه بخيل الثغر في خمسمائة ، فقضى أنه لقيه يوم الهزيمة من قرطبة على بريد ، ويوسف يريد طليطلة ، وسار الصُّمَيْل حتى أتى منزله في جُنْدِه ، وسار يوسف حتى أتى طليطلة ، فحشد من أهلها من خَفَّ له منهم ، وكان عامله عليها حينئذ هشام بن عروة الفِهْرِي ، فأقبل بمن معه ، وجلس ابن عروة على حاله حتى مر الصُّمَيْل ، فحشد من خَفَّ معهما من بقايا مُضَر ، وقد ولى ابنُ معاوية ذلك الجُند والكورة لحُصَيْن بن الدَّجَن ، وولى كورة دمشق جابر بن العلاء بن شهاب .

(١) بياض بالأصل .

(٢) الأصل : « فهذا » .

فلما أَقْبَلَ يَوْسُفُ وَالصَّمِيلُ إِلَى جَيَّانَ تَحَصَّنَ فِي مَدِينَةِ مَنْتِيشَةَ ، وَلَمْ يَتَعَرَّضَا لَهُ إِلَّا أَنَّهُمَا حَشَدَا مِنْ يُعِينُهُمَا حَتَّى أَتَيَا الْبِيرَةَ ، فَلَمَّا بَلَغَ جَابِرًا قَدُومَهُمَا هَرَبَ عَلَى الْبِيرَةِ ، وَانْحَازَ إِلَى بَعْضِ جِبَالِهَا ، فَاجْتَمَعَ أَهْلُ الْبِيرَةِ مِنْ قَيْسَ لِيَوْسُفَ ، وَبَلَغَ ابْنَ مُعَاوِيَةَ نَزُولُهُ بِالْبِيرَةِ ، فَحَشَدَ الْأَجْنَادَ ، ثُمَّ تَحَرَّكَ إِلَيْهِ ، وَخَلَّفَ عَلَى قُرْطُبَةَ أَبَا عَثْمَانَ فِي نَاسٍ مِنْ يَمَنِ قُرْطُبَةَ وَبَنَى أُمَيْتَهَا .

وَقَدْ كَانَ ابْنُ مُعَاوِيَةَ أَهْدَيْتَ لَهُ جَارِيَتَانِ ، وَاشْتَرَى ثَالِثَةً وَشَيْئًا مِنْ خَدَمٍ ، قَدْ كَانَ اتَّخَذَ عِيَالًا ، فَلَمَّا بَلَغَ يَوْسُفَ ، وَهُوَ بِجَيَّانَ قَبْلَ دُخُولِهِ الْبِيرَةَ ، تَحَرَّكَ ابْنُ مُعَاوِيَةَ إِلَيْهِ ، أَمَرَ ابْنَهُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَنْ يُخَالِفَهُ إِلَى قُرْطُبَةَ ، وَسَارَ ابْنُ مُعَاوِيَةَ يُرِيدُ يَوْسُفَ بِالْبِيرَةِ ، وَخَالِفَهُ أَبُو زَيْدٍ فَأَغَارَ عَلَى قُرْطُبَةَ ، وَحُصِرَ أَبُو عَثْمَانَ فِي صُومَعَةِ الْمَسْجِدِ الْجَامِعِ الَّتِي فِي الْقَصْرِ ، فَاسْتَنْزَلَهُ بَعْدَ أَلَّا يَقَاتِلَهُ ، فَكَبَّلَهُ وَانْطَلَقَ بِهِ ، فَأَصَابَ جَارِيَتِي ابْنِ مُعَاوِيَةَ وَهَرَبَتِ الثَّالِثَةُ ، وَكَانَ قَدْ اشْتَرَاهَا مِنْ أَهْلِ بَيْتٍ مِنَ الْعَرَبِ .

فَلَمَّا حَضَرَ الْأَمْرُ كَفَّوْهَا (١) وَسَارُوا بِهَا وَهِيَ حَامِلٌ بِجَارِيَةٍ سُمِّيَتْ : عَائِشَةُ ، وَسَارَ أَبُو زَيْدٍ بِأَبْنَى عَثْمَانَ وَالْجَارِيَتَيْنِ ، فَقَالَ لَهُ أَهْلُ الْعُقُولِ مِنْ أَصْحَابِهِ : صَنَعْتَ مَا لَمْ تُسَبِّقْ إِلَيْهِ ، ظَفَرِ بِأَخَوَاتِكَ وَأُمَهَاتِكَ فَسْتَرْ عَوْرَتَهُنَّ وَكَسَا عُرْيَهُنَّ ، وَظَفَرْتَ بِخَادِمَتَيْنِ (٢) فَأَخَذْتَهُمَا .

فَتَبَدَّى لَهُ سُوءُ رَأْيِهِ ، فَأَمَرَ بِخِيَاءٍ فَضُرِبَ فِي قَلْعَةِ تَدْمِينِ (٣) بِجَوْفَى

(١) الْأَصْلُ : « أَكْفَوْهَا » .

(٢) الْأَصْلُ : « بِخَادِمَيْنِ » .

(٣) لَعَلَّهَا : « تَدْمِيرَ » .

قرطبة ، على ميل من المدينة ، ثم أنزل فيه الجاريتين وماكان معه من متاعهن ، ومضى بأبي عثمان حتى أتى أباه بالبيرة ، وسار ابن معاوية لم يُعرج على شيء حتى بلغ البيرة إلى قرية من فحوصها يُقال لها : أرملة ، فتراسلا ، ودعاه يوسف والصَّمِيل إلى أن يُسلما له الأمر على أن يأمنا في أموالهما ومنازلهما ، وأن يؤمن الناس كلهم ، وتهداً (١) أمور الرعية .

فأجابهما واصطلحا في سنة أربعين ، وكُتب بينهما كتابُ صلح . وأقبل ابن معاوية والصَّمِيل ويوسف ، وسرح ابن معاوية خالد ابن زيد ، وسرح يوسف أبا عثمان ، واشترط ابن معاوية على يوسف أن يَرْتَهَنه ابنه عبد الرحمن أبا زيد ، ومحمداً أبا الأسود ، فقبضهما على ألاَّ يحبسهما إلا حبساً جميلاً معه في قصر قرطبة ، حتى تهداً (١) الأمور ، فإذا صَلَحَت ردهما .

فكان ابن معاوية ، إذا ذُكر الصَّمِيل ، يقول : لله بلّاده (٢) ، لقد صَحِبَنِي مِنَ الْبِيرَةِ إِلَى قُرْطَبَةِ مَامَسَّتْ رَكْبَتُهُ رَكْبَتِي ، وَلَا تَقْدَمُ رَأْسُ بَغْلِهِ رَأْسَ بَغْلِي ، وَلَا اسْتَفْهَمَنِي فِي حَدِيثٍ ، وَلَا افْتَتَحَ حَدِيثًا بغير أن يسأل (٣) عنه ، ولا يُذكر مثل ذلك عن يوسف .

وذلك أنهما لما اصطلحا أقبل يوسف عن يمينه والصَّمِيل عن يساره حتى دخلوا قرطبة ، فنزل القصر ونزل يوسف بمنزله بلاط الحرّ ، وكان قبله للحرّ بن عبد الرحمن الثقفي وإلى الأندلس ، فيقال : إن

(١) الأصل : « وتهدى » .

(٢) لعلها : « بلاؤه » .

(٣) الأصل : « يسأله » .

يوسف تجنّى على ابن الحرّ فقتله وأخذ المنزل ، ويقال : بل اشتراه :
والله أعلم

فلما دخلوا قام الناس على يوسف ورَجُّوا أَنْ يُضَيَّقَ لهم عليه ابن معاوية ، فادَّعَوْا رِبَاعَهْ وأمواله ، وسألوا أَنْ يَرُدَّهُ وإياهم إلى القاضي ، وهو يومئذ يزيدُ بنُ يحيى ، وكان أهل الدَّعَوَات قد رَجَّوْا أَنْ يَحْلِفَ لهم القاضي ، لِمَا كان في نفسه على يوسف والصُّمَيْلِ مِنْ قَتْلِهِمَا اليَمْنَ يوم شَقْنَدَةَ ، وكان يزيدُ بنُ يحيى مُسْتَقْضًى من المشرق ومعه سَجَلٌ ، فلم يَعْرِضْ له يوسف لِرِضَى أهل الأندلس به ، فَضَمَّ إليه يوسف والصُّمَيْلِ وأهل الدَّعَوِيَّات (١) ، فلم يصنعوا شيئاً ، وعَجَّزَهم لهما ، قيل : إنه عَجَزَ بعضهم في عشرة أيام ، فلم يَزِدْ أهل القوة على ثلاثة آجال ، ثلاثة ثلاثة أيام ، ثم عَجَزَهم .

فَأَقَامَ يوسفُ والصُّمَيْلُ على أَحْسَنِ حال ، يختلفان إلى ابن معاوية ، ويحضرهما الرأى مرةً بعد مرة .

قال : ودخل في تلك السنة عبدُ الملك بن عمر بن مروان ، ويقال له : المَرَوَانِيُّ ، ودخل جُزَى بن عبد العزيز بن مروان ، معهما أولادهما وبناتهما ، وتتابع ناسٌ من بنى أمية ومواليهم وكثروا ، وكانت بقرطبة بيوتات من موالى بنى هاشم وبنى فهر وقبائل قريش وغيرهم ، كانوا قد نالُوا مع يوسف رِفْعَةً ومنازل ، فانقطع ذلك عنهم ، فكانوا يَخْتَلِفُونَ إلى يوسف ويُلْقُونَ عليه التَّحْرِيفَ ويُندِمُونَهُ على ما كان .

(١) كذا ، يريد جمع دعوى ، والمسموع : دعاوى ، ودعاو .

فلم يزالوا حتى كاتب الناس ، فأمّا أهل الأجناد فقالوا : لا والله ،
مانرجع إلى الحرب بعد السلم ، وكره الصميل وقيس ذلك ، وقالوا :
حسبنا ، قد قضينا الذمام ولا ، والله ، نخله .

فلما يئس منهم كاتب أهل البلد وأهل ماردة ولقنت ، فأجابوه ،
وبها جُلُّ عيال يوسف ، كانوا نفروا إليها وإلى طليطلة يوم المصاراة ،
فلما صالح عبد الرحمن ردّ بعضهم وترك بعض بناته مع أزواجهن ومن
استثقله من عياله معهن ، فأتته كُتبهن يدعونه إلى أنفسهم ، فهرب سنة
إحدى وأربعين حتى نزل ماردة .

فلما علم ابن معاوية بهربه أتبعه الخيل ، فغاب ، وأخذ ابنه
فقتلها ، وأخذ الصميل ، فاحتج أنه لاذنب له ، ولو أنه أذنب هرب
معه ، فقال له : لم يهرب حتى استطلع رأيك ، وقد كان لنا عليك النصح ،
فحبسه .

ومضى يوسف إلى ماردة فحشد أهلها : عربها وبربرها ، ثم أقبل إلى
لقنت ، فخالفه (١) أهلها ، ثم أقبل إلى إشبيلية ، وعليها عبد الملك
ابن عمر المرواني ، فاجتمع إليه ناس من حمص وغيرهم ، وانحاز أهل
البلد بأسرهم إلا قليلا إلى يوسف ، فانتفخ (٢) عسكره وصار في عشرين
ألفا أو أكثر .

فزحف إلى المرواني بإشبيلية ، وقد عسكر ابن معاوية بقرطبة ينتظر
الأجناد ، حتى توافوا .

(١) الأصل : « فخلفه » .

(٢) الأصل : « انتفخ » .

قال : فلما توافقت جُمُوع يوسف زَحَف إلى المرواني ، وهو في نفر من أهل الشام ، قد اعتصم بمدينة إشبيلية ، ورأى قِلَّة من معه فأَمِنَ شرَّهم وشوكتهم ، فرجع مبادراً للقاء ابن معاوية بمن اجتمع له من أهل ماردة عربها وبربرها وأهل لَقَنْت ، ومن تَابَشَّ إليه من أهل إشبيلية ، وقد عَظُمَ عسكره وانتفخ .

قال : وتنامت لابن معاوية حشودُه ، وأقبلت إليه الأجناد ، فتحركَ بمن معه حتى نزل بمحلة يقال لها : بُرج أسامة ، وأقبل يوسفُ إلى ابن معاوية لايَعبأُ بمن خَلَفه ، والمرواني بإشبيلية مُنتظر (١) لولده حتى قَدِم عليه ابنُه عبد الله ، وكان والياً على مَوْزور (٢) ، فحَشَدَها ، وهو يرى أَنَّ أباه محصور ، فأتاه وقد انكشف عنه الحَصْر فأخبره الخبر وما كان من نُزُوله وانقشاعه عنه ، ثم نادى في الناس ، فقال له (٣) رؤساؤهم : أَمَرْنَا لَأَمْرَ أَبِيكَ تَبِع ، فتحركَا متى شِئْتُمَا فخرَج المرواني ومعه ولده عبد الله ، فيمن كان معه من أهل إشبيلية ومَوْزور .

وبلغ ابن معاوية الخبرُ ، وما كان من تجرَّد يوسف عن المرواني وإقباله إليه ، فتحركَ ابنُ معاوية حتى نزل المُدَوَّر ، وبلغ يوسف إلى وادي كذا ، ف قيل له : هذا المرواني قد نَهَدَ إليك وركب ساقَتَكَ ، فصَرَفَ إليه رايَاتِه ، واستعجل مُكافحتَه خوفاً من أَن يَأْتِيَ ابنُ معاوية من وجهه والمرواني من آخر .

(١) الأصل ، والنفع ، وصفة جزيرة الأندلس : « مورور »
براعين ، وما أثبتنا من معجم البلدان . وقد قيدت فيه بالعبارة : « من الوزر » .

(٢) الأصل : « منتظرا » .

(٣) الأصل : « لهم » .

وتقاعس المرواني رجاءً لذلك ، فلم يُمكنه يوسف من التقاعس ،
والتقيا من ساعتها ، فحين التقيا نزل رجلٌ من موالٍ فهِرٍ من البربر من
ساكني ماردة ، أُولَقْنَتْ ، نَجْدٌ معروف بالنَّجْدَةِ ، فدعا إلى النِّزال والبراز ،
فلم يَبْرُزْ إليه أحد ، فالتفت المرواني إلى عبد الله ، فقال : هذا أول
الشر ، ونحن في قَلَّةٍ ، فانزل على عون الله ، فَنهض عبدُ الله إلى النزال ،
ومعه مولى له لال مروان بن الحكم حبشي يكنى بأبي البَصْرِي ، فقال له :
أَيَّ شَيْءٍ تُريد يا مولاي ؟ فقال له : أريد النُّزول إلى هذا ، قال له :
أنا أكفيك ذلك يا مولاي .

قال : فنزل أبو البَصْرِي إلى البربري ، وكانت السماء قد رَشَّت
برِذاذ ، فالتقيا فتجاولا ساعة ، وكلاهما جَسِيمٌ شُجاع ، فَقُضِيَ أَنَّ
البربري زَلَقَتْ رِجْلَاه فَسَقَطَ ، وتحامل عليه أبو البَصْرِي فَقَطَعَ رجليه
بالسيف ، ثم كَبَّرَ القوم وحملوا حَمَلَةً رَجُلٍ واحد ، فانهزم يوسف
من ساعتها وتفرَّقَ مَنْ معه ، وقُتِلَ قليلٌ مَنْ كان معه .

وكان أصحاب المرواني أَقَلَّ من أَنْ يَتَّبِعُوا هَزِيمَةً ، فكان حُمَادَاهُم (١)
أَنْ خلا لهم عن عَسْكره ، فانتهبوا وقَتَلُوا مَنْ أدركوا .

فبينما ابنُ معاوية نازل (٢) في المَدَوَّرَ أَتَاهُ عبدُ الله بن المرواني بهزيمة
يوسف وبرؤوس مَنْ قُتِلَ معه ، فحمد الله وأَعَجَلَ رسولا إلى بَدْرِ فَأَمَرَهُ
بإِصلاح النُّزُل للمرواني ، وَأَنْ يُضَعِفَ له مثلي ما كان أَنزل عليه .

(١) يقال : حماداك أَنْ تفعل كذا ، أَي غاية ما يحمده منك .

(٢) الأصل : « نازلا » . .

وأعلم عبد الله بن معاوية بجميع أمرهم ، وما أظفرهم الله به ومكّن لهم فيه .

ولم يزل المرواني وولده في علياء إلى (١) اليوم .

ومضى يوسف إلى فريش ثم إلى فحص البلوط ، ثم واقع محجة طليطلة يريد ابن عروة ليأمن عنده ، وهو إلى طليطلة على عشرة أميال ، فمرّ بعبد الله بن عمر الأنصاري ، وهو بقرية من قرى طليطلة ، ف قيل له : هذا يوسفُ منهزم ، فقال لأصحابه : ويحكم ، اخرجوا (٢) بنا نقتله ونُرْحُ (٣) الدنيا منه ونُرْحه (٤) من الدنيا ونُرْح (٥) الناس من شره ، فقد صار رجلاً ناجشاً (٦) للحرب .

فخرج حتى لحقه ، وليس بينه وبين مدينة طليطلة إلا أربعة أميال وليس معه إلا سابقُ الفارسي ، مولى لبني تميم ، ومن يجهله يقول : مولى يوسف ، وبقيةً بسرْقُسطة ، ووصيف واحد فقط ، وقد ماتوا من من شدة الركض ، وليس معهم منعه ولا مدفع .

فقتل عبد الله يوسفَ الفهري ، وقتل سابق ، وهرب الغلام حتى دخل طليطلة .

(١) علياء : شرف .

(٢) الأصل : « أخرج » .

(٣) الأصل : « ونريح » .

(٤) الأصل : « ونريحه » .

(٥) الأصل : « ونريح » .

(٦) يريد : مثيرا . والناجش : من يثير الصيد ليمر على الصائد .

ثم أقبل عبد الله بن عمر برأس يوسف ، فلما بلغ ابن معاوية إقبال عبد الله بن عمر برأس يوسف أمر بضرب عنق عبد الرحمن بن يوسف ، المكنى بأبي زيد ، وكان عليه حرّاً ، لما صنع بعياله ، ثم أخرج رأسه إلى رأس أبيه ، فلقى رأس أبيه برأسه .

واستصغر أبا الأسود فحبسه ، ثم قضى الله أن هرب من الحبس ، فآثار عليه بعد ذلك ، إلى سبع وعشرين سنة حرب فسطلونة .
وسياتى ذكر ذلك إن شاء الله .

وكان ابن معاوية ، لما صنع أبوزيد بعياله ما صنع وترك الجاريتين ، كرههما ، فأعطى إحداهما مولاه عبد الحميد بن غانم ، وهى أم عبد الرحمن بن عبد الحميد بن غانم ، واسمها : كلثم ، وأعطى الأخرى لغيره ، ولم يرجعهما .

فهذا توقيع من حديثهم على وجه النسق ، وكانت الأمور أكثر من أن تستوعب .

ثم أدخل على الصميل فى الحبس ، بعد قتل عبد الرحمن بن يوسف ، فخنق ، فأصبح فى الحبس ميتاً ، وأخرج إلى داره ، ودفنه أهله ، وانقضى أمره وأمر يوسف وابنه عبد الرحمن .
وبقى محمد هارباً فى الأرض .

ثم ثار بعد قتل يوسف ، إلى سنة وأربعة أشهر ، رزق بن النعمان الغسانى على الأمير عبد الرحمن بن معاوية ، ثم ثار بعد قتل رزق إلى سنة هشام بن عروة الفهرى بطليطلة ، وكان معه حيوة بن الوليد الشجبي ، والعمرى من ولد عمر بن الخطاب ، رحمه الله .

فَخَرَجَ إِلَيْهِ الْأَمِيرُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ إِلَى طَلَيْطَلَةَ ، فَحَاصِرَهُ فِيهَا ، فَلَمَّا عَصَّتهُ الْحَرْبُ وَنَالَ الْحِصَارُ دَعَا إِلَى الصَّلَاحِ ، وَأَعْطَى وَلَدَهُ رَهِينَةً (١) ، وَرَجَعَ عَنْهُ الْأَمِيرُ ، فَلَمَّا انْصَرَفَ عَنْهُ خَلَعَ أَيْضًا وَعَادَ إِلَى نِفَاقِهِ ، فَغَزَاهُ الْأَمِيرُ السَّنَةَ الثَّانِيَةَ ، فَنَزَلَ بِهِ وَحَارِبَهُ وَدَعَاهُ إِلَى الرَّجُوعِ فَصَبَرَ ، فَلَمَّا يَثُسُّ مِنْهُ مَرَّ بِأَبْنِهِ الرَّهِينَةَ فَضْرَبَتْ عُنُقَهُ (٢) ، ثُمَّ جَعَلَ الرَّأْسَ فِي الْمَنْجَنِيْقِ وَرَمَى بِهِ إِلَيْهِ ، فَسَقَطَ فِي الْمَدِينَةِ ، وَرَجَعَ عَنْهُ ذَلِكَ الْعَامَ .

فَلَمَّا حَالَ الْحَالُ ثَارَ عَلَيْهِ الْعَلَاءُ بْنُ مُغِيثِ الْيَحْصُوبِيِّ ، وَيُقَالُ : حَضَرَمِي ، بِبَاجَةٍ ، وَسَوْدٌ (٣) وَدَعَا إِلَى طَاعَةِ أَبِي جَعْفَرٍ ، وَكَانَ قَدْ بَعَثَ إِلَيْهِ بِلَوَاءِ أَسُودَ فِي سَنٍّ قَنَاءَ قَدْ أَدْخَلَهُ إِهْلِيلِجَةً (٤) وَطَبَعَ عَلَيْهِ ، فَأَخْرَجَهُ الْعَلَاءُ فَجَعَلَهُ فِي رُمْحٍ ، وَقَامَ بِهِ فِي جُنْدٍ مِصْرَ .

وَسَاعَدَهُ عَلَى غِيَّهِ وَاسِطُ بْنُ مُغِيثِ الطَّائِي ، وَأُمَيَّةُ بْنُ قُطْنِ الْفَهْرِيِّ ، فَأَقْبَلَتِ الْيَمَانِيَّةُ حَتَّى صَارُوا بِإِشْبِيلِيَّةٍ ، فَاتَمَّهَمَا أُمَيَّةُ بْنُ قُطْنٍ ، فَأَخَذُوهُ وَكَبَلُوهُ وَخَرَجَ الْأَمِيرُ إِلَيْهِمْ ، وَاجْتَمَعَتْ إِلَيْهِ الْحُشُودُ ، وَأَقْبَلَ حَتَّى نَزَلَ بِقَرْيَةِ الْقَوْمِ بِقَلْعَةِ زَعَوَاقٍ ، وَأَقْبَلَ غِيَاثُ بْنُ عَلْقَمَةَ اللَّحْمِيِّ مِنْ شَدُونَةِ مَدَّالْهِمْ ، فَلَمَّا سَمِعَ بِخَبَرِهِ الْأَمِيرُ بَعَثَ إِلَيْهِ بَدْرًا مَوْلَاهُ فِي قَطِيعٍ (٥) مِنْ

(١) الْأَصْلُ : « رَهْنَةٌ » .

(٢) الْعُنُقُ ، مَذْكَرٌ وَقَدْ يُؤْنَثُ ، وَهُوَ هُنَا عَلَى الثَّانِيَةِ .

(٣) سُودٌ ، أَيْ : لِبْسُ السُّوَادِ ، وَكَانَ شَعَارَ الْعَبَّاسِيِّينَ .

(٤) الْأَصْلُ : « إِهْلِيلِجَةٌ » . وَظَاهَرُ أَنَّهَا مُحَرَّفَةٌ عَمَّا أَثْبَتْنَا . وَالْإِهْلِيلِجَةُ ،

وَاحِدَةٌ الْإِهْلِيلِجِ ، وَهُوَ ثَمَرٌ مَعْرُوفٌ .

(٥) الْقَطِيعُ : الطَّائِفَةُ مِنَ الْغَنَمِ وَالنَّعَمِ وَنَحْوِهَا .

عسكره ، فقطع به ، فنزل في الوَلَجَة (١) التي بين وادي أيره (٢) والنَّهْر
الْأَعْظَم ، ونازله بدر ، فتراسلا حتى انعقد بينهما صلح ، ورجع غِيَاث
ابن علقمة اللّخمى إلى بلده ، ورجع بدر إلى الأمير .

فلما بلغ القوم الخبر قالوا : ليس لنا إلا مدينة قَرمونة ، فَعَبَوْا (٣)
على الخروج إليها ليلاً ، وجاء الخبر إلى الأمير ، فبعث بدرًا وقال له :
ابتدر إلى المدينة ، وارفع رأس قُبتك على باب قَرمونة ، واجمع إليك
أهل الطاعة إلى أن نوافيك غدوةً .

وركب الأمير من سَحَر طويل (٤) فأصبح على ظهر ، وتباطأ القومُ
فأصبح القوم في الشَّعْرَى (٥) تحت قَرمونة ، فلما نظر إلى القبة مضروبة
على باب المدينة علم أنهم قد بدَرُوا إليها ، فماجُوا ، وتطلَّعت (٦) عليهم
خيَلُ العسكر فانهزموا وقُتلوا قتلاً ذريعاً ، وأصيب أمية بن قَطَن مُكْبَلاً ،
فمنَّ عليه الأمير وأطلقه ، وقطف من رؤوسهم سبعة آلاف رأس ،
فَمَيَّزَ رؤوس المعروفين ، ورأس العلاء ومثله ، ثم كَتَبَ باسم كل واحد
بطاقة ثم علَّقت من أذنه .

(١) الوجة ، محركة : معطف الوادى .

(٢) الأصل : « أبره » ، بالباء الموحدة ، تصحيف .

(٣) عبا الجيش عبوا ، وعباه تعبىة : هياه .

(٤) كذا .

(٥) الأصل : « الشعراء » ، تحريف . والشعرى : كوكب يطلع
عند شدة الحر .

(٦) تطلعت : طلعت .

ثم أجزل العطية لمن انتدب لحمل تلك الرؤوس إلى إفريقية ،
فجمّعها في أخرجة (١) ، وركب فيها البحر حتى انتهى إلى القيروان ،
فطرحها ليلاً في السوق .

فلما أصبح الناس وجدوها ، ووجدوا كتاباً مكتوباً بالخبر في الخرج ،
فانتشر ذلك حتى بلغ أبا جعفر .

ثم رجع الأمير ، وبعث بعد ذلك بدرًا مولاه وتمّام بن علقمة ، في
جيش إلى طليطلة ، فحاصر هشام بن عروة ، وقطع الأمير البعث على
الأجناد ، وجعلها بينهم دُولاً في كل ستة أشهر ، فإذا انقضت دولة
ندب أخرى ، حتى ملّ أهل المدينة الحصار ، واستثقلوا الحرب ، وكاتبهم
مع ذلك تمّام وبدر ، فأسلموا هشاماً والعمرى وحيوة وبرواهم .

فخرج تمّام يريد تبليغهم إلى قرطبة ، وأقام بدر في موضعه منتظراً
لرأى الأمير في المدينة ، فلما صار تمّام بأوريط لقي عاصم بن مسلم
الثقفي ، فأمره بالرجوع إلى مدينة طليطلة والياً عليها ، وأن يقفل بدر ،
وقبض منه القوم .

فرجع تمّام بما أعلمه به ابن مسلم من رأى الأمير ، وأقبل الثقفي
بالقوم حتى حلّ بقرية خلوة ، فأمر الأمير العبدى ، وكان صاحب
الشرطة ، فأخذ لهم جبة جبة من صوف ، وأخذ معهم حجّاماً وحميراً ،
ثم مضى إليهم فحلق رؤوسهم وليحاهم وألبسهم الجبب ، وأدخلهم في
سِلال ، ثم حملهم على الحمير وأدخلهم قرطبة .

(١) المسموع في جمع « خرج » ، لذلك الوعاء المعروف : خرجة
وأخراج .

فقال العُمريّ ، وكان ضعيفًا ، لِحَيَوة ، لقد ألبستُ جبةً ضيقة ،
فقال له حَيوة : ليتك تُرِكَتْ تُبليها .

ثم أمر بهم الأمير فقتلوا وصُلبوا .

ثم ثار بعد ذلك سعيدُ اليَحْصِيّ ، المعروف بالمَطْرِيّ ، بِلَبْلَةٍ ،
وذلك أَنه سَكَرَ ليلةً فذُكِرَ عنده قتلُ اليمانية مع العلاء ، فاعتقد (١) في
رُمحِه لواءً ، فلما أَفاق من سُكره ونظر إلى العقدة قال : ما هذا ؟ قيل له :
اعتقدتَ البارحة هذا اللواء غضبًا بقتل قومك ، فقال : حلُّوا العقدة
قبل أَن يُرْفَعَ خبرُها ، ثم بدا له فقال : ما كنتُ لأَرْجع عن رأى ، وكان
نَجْدًا ، فأرسل إلى قومه ، فاجتمعت إليه جماعةٌ ، وأقبل حتى دخل
قلعة رَعَوَاق ، وأقبل الأميرُ ، إذ انتهى إليه خبرُه ، حتى نزل به ، فخرج
المَطْرِيّ يقاتل ، فاستلحم هو وسالمُ بنُ معاوية الكَلَاعِيّ ، فاستخلف
القومُ على أَنفسهم خليفةً بن مروان اليَحْصِيّ ، فاستأمن لنفسه وللقوم ،
فأَمَنَهم الأميرُ ، وخرجوا من القلعة ورجع الأميرُ .

ثم ثار أبو الصَّبَّاح ، وكان سَبَبَ ثورته أَنَّ الأميرَ قد كان ولَّاه
إشبيلية ثم عزله ، فنقمَ ذلك ، فألَّب وكاتب الأجناد ، فما انتهى
الخبرُ إلى الأميرِ ، وبَعَثَ إليه بكتبه من غير موضع ، أعمل الحيلة في
استقدامه إلى قُرطبة ، فذُكِرَ أَنَّ عبد الله بن خالد سار إليه بعهدِه ، فقدم
به ، فلما قَتله الأميرُ اعتزل عبدُ الله ولزم منزله الفُتُنَيْنِ حتى مات ،
لم يَعْمَلْ للسلطان عَمَلًا .

ويُقال : إِنَّ تَمَّامَ بن علقمة استقدمه على اللطف به من غير عهد ،
فلما قَدِم قُرطبة أدخله الأميرُ على نفسه ، وكان معه أربعمائة فارس
من جُنده ، فعاتبه ، فأغلظ للأمير (١) وتهدده ، فشاوره الأميرُ ودعا جاريةً
سوداءَ مدنية كانت قِيَمته ، وكانت تُصلح عليه من حال الجوارى
وتتولَّى حملهن على أدبه واستحسانه ، فأتته بِخنجر ، وقد كان الشيخُ
همَّ أو كاد يَبسط يده ، وأمر الفتيان به ، ثم طعن في أوداجه بالخنجر
حتى أوهنه ، ثم قَتله الفتيان ، وأمر الأمير بلفه في مِسح (٢) شعر
وتَنحيته وتغيير أثر دمه ، ثم أدخل وزراءه فاستشارهم في قتله ، ولم
يُعلمهم إلا أنه مجبوس عنده ، فلم يُشر عليه منهم أحد بقتله وقالوا له :
على الباب أربعمائة فارس ، وجند الأمير غائب ، ولانأمن أن يَحْدُث
من ذلك بلاء ، إلا أن المرواني أشار عليه بقتله ، وله في ذلك أبيات
من شعره ، وهي :

لَا يُفْلِتُنْكَ فَيَأْتِينَا بِبَائِقَةٍ أَشَدُّ يَدَيْكَ بِهِ تَبَرُّاً مِنَ السَّقَمِ

فقال لهم : قد قتلته ، ثم أمر برأسه فأخرج ، وصاح الصائح على
أصحابه : إِنَّ أَبَا الصَّبَّاح قد قُتِل ، فمن أراد أن يَلْحَق ببلده فَلْيَلْحَق
آمناً ، فافترقوا ولم يَكُن حَدَثٌ .

ثم ثار الفاطميُّ بعد ذلك إلى أربع سنين ، وكان اسمه سُفْيَان
ابن عبد الواحد المكناسي ، وكان اسم أمه فاطمة ، وأصله من لَبْدانية (٣) ،

(١) الأصل : « الأمير » .

(٢) المسح ، بالكسر : الكساء من شعر .

(٣) الأصل : « لبدانية » . (البيان المغرب في أخبار ملوك الأندلس

والمغرب ، لابن عذاري المراكشي ٢ : ٧٥) .

مُعَلِّمُ كِتَابٍ ، فَادَّعَى أَنَّهُ فَاطِمِيٌّ ، فَوُثِبَ عَلَى سَالِمِ أَبِي زَعْبِلٍ ، عَامِلٍ
مَارِدَةٍ ، لَيْلًا فَقَتَلَهُ ، وَغَلَبَ عَلَى نَاحِيَةِ قُورِيَّةٍ وَأَفْسَدَ يَمِينًا وَشِمَالًا ،
فَخَرَجَ إِلَيْهِ الْأَمِيرُ الْغَزَاةَ الَّتِي تُسَمَّى : غَزَاةَ الدَّوْرِ (١) ، فَهَرَبَ إِلَى الْمَفَازِ
فَدَوَّخَ الْأَمِيرُ الْبَلَدَ وَوَطَّئَهُ ، وَأَنْزَلَ بِكُلِّ مَنْ شَايَعَهُ ، أَوْ دَخَلَ فِي شَيْءٍ مِنْ
أَمْرِ النَّكَالِ ، وَهُوَ يُخَرَّبُ وَيَحْرَقُ وَيَنْسَفُ ، حَتَّى قَدِمَ عَلَيْهِ كِتَابٌ مِنْ
قُرْطُبَةٍ مِنْ عِنْدِ بَدْرِ مَوْلَاهُ ، وَكَانَ يَخْلُفُهُ ، يَذْكُرُ أَنَّ حَيَّوَةَ بْنَ مُلَاسٍ
ثَارَ فِي إِشْبِيلِيَّةٍ فِي أَهْلِ حِمَصٍ ، وَكَانَ حَضْرَمِيًّا ، وَثَارَ مَعَهُ عَبْدُ الْغَافِرِ
الْيَحْصَبِيُّ ، وَكَانَ مَعَ الْأَمِيرِ فِي الْعَسْكَرِ مِنْ رِجَالِ إِشْبِيلِيَّةٍ مَلْهَبِ الْكَلْبِيِّ ،
وَابْنِ الْخَشْخَاشِ ، وَابْنِهِ ، فَمَا قَرَأَ الْكِتَابَ قَفَلَ وَأَغْدَّ (٢) السَّيْرَ حَتَّى
نَزَلَ الْمُصَارَةَ فَقَبِضَ (٣) عَلَى ثَلَاثِينَ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ إِشْبِيلِيَّةٍ ، فِيهِمْ
الَّذِينَ سَمَّيْنَا ، وَأَمَرَ بِهِمْ (٤) إِلَى الْحَبْسِ ، ثُمَّ مَضَى إِلَى الْقَوْمِ ، وَكَانُوا
قَدْ أَقْبَلُوا حَتَّى نَزَلُوا بِمَيْسَرٍ ، وَخَنَدَقُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ ، فَنَازَلَهُمُ الْأَمِيرُ
فَحَارَبَهُمْ أَيَّامًا ، وَكَانَ مَعَهُمْ بَرَبِرُ الْغَرْبِ (٥) ، فَأَمَرَ بَنِي مَيْمُونٍ بِمُكَاتَبَتِهِمْ
وَأَنْ يَعْدُوهُمْ بِحُسْنِ رَأْيِ الْأَمِيرِ ، ثُمَّ وَضَعَ الشُّرَاءَ فِي الْمَمَالِكِ وَاللَّحَقِ ،
فَتَابَ (٦) النَّاسَ إِلَيْهِ وَسَارَعُوا نَحْوَهُ ، حَتَّى صَارَ مِنْهُمْ فِي دِيْوَانِهِ جَمَاعَةٌ

(١) كَذَا .

(٢) الْأَصْلُ : « وَأَخَذَ » .

(٣) الْأَصْلُ : « فَتَقَبِضُ » .

(٤) الْأَصْلُ : « وَأَمَرَهُمْ » .

(٥) الْأَصْلُ : « الْعَرَبُ » .

(٦) الْأَصْلُ : « فَتَابَ » .

فَأَمَرَ بِحَرْبِهِ ، وَأَوْصَتِ الْبَرْبَرِ إِلَى بَنِي مَيْمُون ، إِذْ مَلَّتِ الْحَصَارَ وَالْقِتَالَ :
إِنَّا سَنَنْهَزُهُمْ غَدًا بِالنَّاسِ إِذَا نَشِبَتِ الْحَرْبُ فَلْيُبْقِ عَلَيْنَا .

فلما كان من الغد واستحرت الحرب فعل ذلك البربر وجروا الهزيمة ،
فلم يُبْقِ عَلَى أَحَدٍ ، لَا بَرْبَرِيٍّ وَلَا عَرَبِيٍّ ، وَأَخَذَهُمُ بِالسَّيْفِ ، فَقُتِلُوا
قِتْلًا ذَرِيعًا ، لَمْ يُعْلَمْ قَتْلُ مِثْلِهِ كَانَ أَكْثَرَ مِنْ قَتْلِ الْمَسُودَةِ مَعَ الْعَلَاءِ ، وَقُتِلَ
حَيَوَةٌ ، وَأَفْلَتَ عَبْدُ الْغَافِرِ فَرَكَبَ الْبَحْرَ وَلَحِقَ بِالْمَشْرِقِ .

وَكَتَبَ الْأَمِيرُ إِلَى بَدْرِ أَنْ يَقْتُلَ الثَّلَاثِينَ رَجُلًا الَّذِينَ كَانَ أَمْرُ
بِحَبْسِهِمْ ، فَقَتَلَهُمْ ، فَعِنْدَ ذَلِكَ اشْتَرَى بَزِيعًا ، (وَالِدُ) (١) ، الْحَارِثُ بْنُ بَزِيعٍ ،
قَاتِلَ فَا بَلِيٍّ وَأَجْزَأَ وَظَهَرَتْ مِنْهُ نَجْدَةٌ ، فَقَالَ لَهُ الْأَمِيرُ : عَبْدُ أَنْتَ أُمُّ
حُرٍّ ؟ فَقَالَ : بَلْ عَبْدٌ ، فَأَمَرَ بِشِرَائِهِ ، فَاشْتَرَى وَعَرَفَهُ فِي عَرَافَةِ السُّودِ ،
وَهِيَ كَانَتْ الْعَرَافَةُ فِي ذَلِكَ الدَّهْرِ ، لِاتُّعَرِفَ الْعَرَافَةُ الَّتِي هِيَ الْيَوْمَ ، إِلَى
أَنْ أَخَذَهَا الْأَمِيرُ الْحَكَمَ ، رَحِمَهُ اللَّهُ .

وَإِنَّمَا كَانَ النَّاسُ صِنْفَانِ : فُرْسَانٌ وَرَجَالَةٌ ، فَكُلُّ مَنْ رَكَبَ فَأَمَرُهُ
إِلَى صَاحِبِ الرِّجَالَةِ عَبْدُ الْحَمِيدِ بْنِ غَانِمٍ ، لَا يُعْرِفُ فُرْسَانَ وَلَا حَرَسَ
كَمَا هُمْ .

ثُمَّ غَزَا الْأَمِيرُ ذَلِكَ الْعَامَ فِي إِثْرِ الْفَاطِمِيِّ ، فَهَرَبَ الْفَاطِمِيُّ حَتَّى
أَمْعَنَ فِي الْمَفَازِ وَجَاوَزَ الْقَصْرَ الْأَبْيَضَ ، فَرَجَعَ الْأَمِيرُ .

ثُمَّ ثَارَ عَلَيْهِ يَحْيَى بْنُ يَزِيدَ بْنِ هِشَامٍ ، الَّذِي يُقَالُ لَهُ : الْيَزِيدِيُّ ،
وَعُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ أَبَانَ بْنِ مَعَاوِيَةَ بْنِ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، وَسَاعَدَهُ ابْنُ
دِيوَانَ الْحِشْيَانِيِّ ، وَابْنُ يَزِيدَ بْنِ يَحْيَى التُّجِيبِيِّ وَابْنُ أَبِي غَرِيبٍ (٢) ،

(١) تَكْمَلَةٌ يَقْتَضِيهَا السِّيَاقُ . (٢) الْأَصْلُ : « عَرِيبٌ » .

فلما اجتمعوا على الخروج عليه تدلىّ مولى لعبيد الله من السور ليلاً ، وكان مسلماً ، وأقبل (إلى) (١) القصر إلى بدر ، وكان الأمير متنزهاً بوادي شوش على الصيد ، فأخبره لخبر ، فبعث بدر بريدًا إلى الأمير بالخبر ، فدعا سماعة ، مولاة (٢) ، وصاحب خيله ، وقال له : امض فيمن أمكنك من أصحابك إلى عبيد (الله) (٣) بن أبان فاقبض (٤) عليه ، ودعا عبد الحميد ابن غانم ، صاحب الرجالة ، فقال له : فاقبض (٥) على يحيى بن يزيد ، فأقبل كل واحد منهما حتى قبض (٦) على صاحبه ، فأقبل الأمير فنزل الرصافة ، فأمر بهما إلى الحبس ، وتتبع الآخرين ، فلما جمعهم أمر بضرب أعناقهم ، وسُحبت جيفهم من رصافة إلى الحصا بقرطبة .

ثم ثار على الأمير إلى سنة عبد الرحمن بن حبيب الفهرى ، الذى كان يقال له : السقلاّبى ، بتدمير ، فكاتب سليمان الأعرابى الكلبي ، وكان ببرشلونة ودعاه إلى الدخول فى أمره ، فكتب إليه الأعرابى (٧) : إني لأدع عونك ، فامتعض الفهرى من جوابه ، إذ لم يجمع له ، فغزاه ، فهزمه الأعرابى ، ففكر الفهرى إلى تدمير ، فخرج إليه الأمير فدرّس

(١) تكملة يستقيم بها الكلام .

(٢) الأصل : « هواليه » .

(٣) تكملة يتنضميها السياق .

(٤) الأصل : « فتقبض » .

(٥) الأصل : « فتقبض » .

(٦) الأصل : « تقبض » .

(٧) الأصل : « العرابى » .

تدمير (١) ، فنزع إلى الفهرى رجل من البرانس ، من أهل أوريط ، يقال له سجعان (٢) ، فصار من أصحابه ، وظهرت له منه نصيحة ، حتى صار من ثقاته واطمأن إليه ، فاغتاله البرنسي فقتله وأخذ خيله ، ونزع إلى الأمير .

ثم وجه الأمير تمّاماً ، وأبا عثمان ، في عسكر إلى الفاطميّ ، وهو في حصنه ، فقدمّا إليه وجيهاً الغسانيّ رسولا ، وكان ابن أخت أبي عثمان . فدعاه الفاطميّ إلى أمره ، فأجابه ، وأقام عنده حتى أقبل تمّام وأبو عثمان في عسكرهما ، فنازلا الفاطميّ ، فاقتلوا قتالاً شديداً ، كان الظفر فيه للفاطميّ ، ثم قفل عنه العسكر ، ومضى الفاطميّ إلى جهة شتّمرية فنزل بها ، في قرية يُقال لها : قرية العيون ، فاغتاله أبو معن داوود ابن هلال ، وكنانة بن سعيد الأسود ، فقتلاه ، وهرب وجيه الغسانيّ فحلّ بساحل إلبيرة ، فأرسل إليه الأمير شهيداً ، وعبدوس بن أبي عثمان ، فوافياه (٣) يوم عيد في حال اغترار فقتلاه .

وكان الأمير إذ وجه شهيداً وعبدوساً إلى وجيه ، قد وجه بدرّاً إلى إبراهيم بن شجرة البرنسي المروانيّ ، فغشيه أيضاً بدر في منزله في اليوم الذي غشي فيه شهيداً وعبدوس وجيهاً ، فقاتل قتالاً شديداً وكان نجداً ، حتى قتله بدر .

ثم ثار على الأمير السلميّ ، وذلك أنه كان حسن المنزلة عند الأمير

(١) درس تدمير ، أي شدد الوطأة عليها .

(٢) كذا وردت هذه الكلمة مهملة النقط .

(٣) الأصل : « فرياه » .

فسكر ليلة فأقبل فوجد باب المدينة قد قفل ، فأراد أن يفتح باب القنطرة فثار إليه الحرُس ، فحمَل عليهم بالسيف ، فانتَهى الخبرُ إلى العبدى ، وذلك ليلٌ ، فأمّنه وسكّنه بما كان فيه من السُّكر ، فلما أفاق من سُكره ، وفهم فعَله ، خاف الأميرُ فهرب نحو الشرق فتحصّن بموضع رجاء التحرُّز فيه ، فبعث الأميرُ في تبّعه حبيبُ بن عبد الملك القرشى ، فغشيه ، فبرز إليه ودعا إلى البراز ، فبرز إليه أسودُ كان لمُغيث ، فاختلفا ضربتين فماتا معاً .

ثم ثار الرماحسُ بنُ عبد العزيز الكِنانى ، وكان والى الجزيرة ، فاعتقد (١) يوم الاثنين ، وجاء الخبرُ إلى الأمير يوم الجمعة ، فخرج إليه يوم السبت ، فلم يشعر الرماحسُ يوم الأربعاء إلى عشرة أيام من خلعانه (٢) حتى طلعت (٣) عليه الخيل ، وكان فى الحمام قد اطلّى بالنّورة ، فطرح النّورة عن نفسه ، ودخل بأهله فى مَرَكَب فجاز فى البحر ، حتى قدم على أبى جعفر المنصور .

ثم ثار سليمانُ الأعرابى بسرْقُسطة ، وثار معه حُسين بن يحيى الأنصارى ، من ولد سعد بن عبادة ، فبعث إليه الأميرُ ثعلبةَ بن عبد فى جيش ، فنازل أهل المدينة وقاتلهم أياماً ، ثم إن الأعرابى طلب الفرصة من العسكر ، فلما وضع الناس عن أنفسهم الحرب ، وقالوا : قد أمسك عن الحرب وأغلق أبواب المدينة ، أعدّ خيلاً ، ثم لم يشعر

(١) كذا .

(٢) يريد خلعه لطاعة الأمير . والمسئوع : خلع .

(٣) الأصل : « طلقت » .

الناس حتى هجم على ثعلبة فأخذه في المِظلة ، فصار عنده أسيراً ،
وانهزم الجيش .

فبعث به الأعرابي إلى قارُلة ، فلما صار عنده طمع قارُلة في مدينة
سَرَقُسطة من أجل ذلك ، فخرج حتى حلَّ بها ، فقاتله أهلُها ودفعوه
أشدَّ الدَّفْع ، فرجع إلى بلده .

ونَخرج الأمير غازياً إلى سَرَقُسطة ، فلما صار في المحلة ، دون فَجِّ أبي
طويل ، فاخرَحَفْصُ بنُ مَيْمُونِ غالبَ بنَ تَمَّام ، ففَضَّلَ مَضْمُودَةً على العرب ،
فَضْرَبَهُ غالبٌ بالسيف فقتله ، فلم يكن من الأمير في ذلك نكير .

ومضى في غزاته حتى حل بقرية شَنْتَمُرية ، فأخذ بها ناساً بلغت
عَدَّتُهُمْ ستة وثلاثين رجلاً ، منهم هلالٌ ، وفات ابنه داود ، قاتل
الفاطمي ، فردَّهم إلى قرطبة ، وحَبَسُوا في دارٍ في المدينة ، وهو موضع
الحبس الموضوع (١) بسببه .

ثم مَضَى ، فقبَّلَ أَنْ يبلغ سَرَقُسطة عدا حُسَيْنُ بنُ يحيى الأنصارى
على الأعرابي يوم جُمعة فقتله في المسجد الجامع ، وصار الأمر لحُسين
وحده ، فنزل به الأمير ، وكان عَيْسُونُ بنُ سُلَيْمَانَ الأعرابي قد هَرَبَ إلى
أَرْبُونة ، فلَمَّا بلغه نزولُ الأمير بِسَرَقُسطة أَقْبَلَ فنزل خلف النهر ،
فنظر يوماً إلى قاتل أبيه قد خرج عن المدينة ، وصار على جُرْفِ الوادي ،
فأَقْحَمَ عَيْسُونُ فرساً له كان يُسَمِّيهِ الناهد ، فخلفه (٢) وقتله ، ثم رجع
إلى أصحابه ، فسمَّى ذلك الموضع إلى اليوم : مخاضة عَيْسُون .

(١) الأصل : « الموضع » .

(٢) خلفه : أخذه من خلفه . وفي الأصل : « فيخلف » .

ثم استدعاه الأميرُ حتى صار في عسكره وحارب سَرَقُسطة معه ، فلما ضاق أهلُ المدينة من الحِصار طلب حسينُ الصُّلح ، وأعطى ابنه رهينةً ، فقبل ذلك الأميرُ منه ورَجع عنه .

وكان اسم ابنه ذلك سعيداً ، وكان نجداً ، فلم يَقم في عسكر الأمير إلا يوماً حتى أعمل الحيلة ، فهرب إلى أَصهار (١) له في أرض بَلْيَارش . ومضى الأمير فَدُوخ بَنَبْلُونَة وقلنبيرة ، وكرَّ على البُشْكُنس ، ثم على بلاد الشِيطانيس ، فحل بابن بَلَسْكُوط ، فأخذ ولده رهينةً وصالحه على الجزية .

وخاف الأميرُ على عَيْسُون فَأَمَرَ بَضْمَه إلى الحَبَس ، وكان وَهَبُ الله ابن ميمون إذ قتل غالبُ بن تَمَّام أَخاه حفصاً ، قد قال : والله لئن لم تَغْضِب لنا قُرَيْش ليغْضِبنَّ لنا سبعون ألف سيف ، فَأَمَرَ بِحَبْسه .

فلما رجع الأميرُ إلى قُرطبة قَعَد في عِلِّيَّة في الرُّصافة ، ثم دعا بوهب ابن ميمون فَأَمَرَ بِقَتْلِهِ ، ودعا بَعَيْسُون ، فلما أَقْبَلَ قال : عندي نَصِيحَةٌ ، فقلْ نَصِيحَتِكَ ، فليس يصل إلى الأمير أحد ، وكانت معه سَكِّين قد أَعَدَّها ، أَرَادَ قتل الأمير ، فلما لم يصل إليه تحوَّل فطعن الفَتَى الذي كان كَلَّمَه فجرحه جَرْحَةً مات منها ، وجال في الجنان جَوْلَةً ، وقد تحاماه الأَعوانُ ، فَأَقْبَلَ يوسفُ صاحب الحمام ومعه عُودٌ كان يَسْجُرُ به النار ، فضرب به الرأس حتى قَتَلَه .

ثم أمر الأميرُ بسحب جيفته وجيفة وَهَب بن ميمون من رُصافة إلى موضع الحِصَا على النهر بِقُرطبة ، وصُلِّبَا تحت القصر .

(١) الأصل : « أَطيار » . ولعلها محرفة عما أثبتنا .

فلما صار ولدُ حُسَيْنٍ عنده عاد إلى نِفاقه ، فخرج إليه الأمير غازيا إلى سَرْقُسطة ، فعند ذلك نَصَب عليه المجانيق من كل جانب ، فيُقال إنه حَفَّها بستة وثلاثين منجنيقا ، وضيق على أهلها أشدَّ الضيق ، فتراى القوم إليه ، وأسلموا إليه حُسَيْنًا ، فلم يُقتل من أهل المدينة غيره ، وغيرُ رجل كان يُسميه ، من أهلها ، يقال له : رزق ، من البرانس ، فمقطع يديه ورجليه فمات .

ثم رجع إلى قُرطبة فحلَّ في الرُصافة .

وكان ابنُ أخته مغيرة بن الوليد بن معاوية قد أراد الثَّورة عليه ، وساعده هُذَيْلُ بنُ الصُّمَيْل بن حاتم ، فأتى الأميرَ علاء بن عبد الحميد القُشَيْرِيَّ فأخبره الخبر ، فبعث في مُغيرة وهُذَيْل ، وكُل من أراد ذلك ذلك الرأى ، فاستنطقهم ، فأقرُّوا فأمر بقتلهم .

ثم رحل عن رُصافة إلى القصر .

ثم ثار محمدُ بن يوسف أبو الأسود ، فأقبل فيمن اتَّبعه من أهل المشرق ، حتى حل مدينة قَسْطُلونة ، فخرج إليه الأمير ، فنازله بها أيامًا حتى فضَّ جمعه ، فانهزم ، وقتل من أصحابه أربعة آلاف ، فأخذ إلى ناحية قورية ، فاتَّبعه الأمير من سنته ، فهرب إلى المفاز ، فأدرك له عيالاً فأخذهم ، وقتل له رجالا ، وداس البلاد بالخراب ورج (١) ، وكانت آخر غزواته .

ثم مات الأميرُ عبد الرحمن بن معاوية ، رحمه الله ، بعد ثلاث وثلاثين سنة وثلاثة أشهر من ولايته .

كتب إلى عبد الرحمن بن معاوية بعض مَنْ وفد عليه من قريش
يَسْتَقْصِرُهُ (١) فيما يُجْرِيهِ عليه ، ويسأل له الزيادة ، ويستطيل عليه بدالة
القرابة ، فكتب إليه :

شَتَّانَ (٢) من قام ذا امتعاض	مُنْتَضَى الشَّفَرَتَيْنِ نَصْلًا
فجَاب (٣) قَفْرًا وَشَقَّ بَحْرًا	مُسَامِيًا لُجَّةً وَمَحَلًّا
فَبَزَّ مُلْكًا وَشَادَ عِزًّا	وَمِنْبَرًا لِلخِطَابِ فَضْلًا
وَجَنَّدَ الْجُنْدَ حِينَ أَوْدَى	وَمَصَّرَ الْمَصْرَ حِينَ أَخْلَى (٤)
ثُمَّ دَعَا أَهْلَهُ جَمِيعًا	حَيْثُ انْتَوَوْا (٥) أَنْ هَلُمَّ أَهْلًا
فَجَاءَ هَذَا طَرِيدَ جُوعٍ	شَرِيدَ سَيْفٍ أُبِيدَ قَتْلًا
فَنَالَ أَمْنًا وَنَالَ شِيعًا	وَنَالَ (٦) مَالًا وَنَالَ أَهْلًا (٧)
أَلَمْ يَكُنْ حَقُّ ذَا عَلَى ذَا	أَعْظَمَ (٨) مِنْ مُنْعِمٍ وَمَوْلَى

وكان خارجًا إلى الثغر في بعض غزواته ، ف وقعت غرائيق (٩) في

(١) استقصره : عده مقصرا .

(٢) العقد الفريد (٤ : ٤٨٨ ، طبعة لجنة التأليف) : « ما حق » .

وفي البيان المغرب (٢ : ٦١) : « سيان » .

(٣) العقد : « فجاز » .

(٤) أخلى : خلا .

(٥) العقد : « انتأوا » .

(٦) المتد : « وحاز » .

(٧) العقد : « وضم شمالا » .

(٨) العقد : « أوجب » .

(٩) الغرائيق : طيور مائية بيض طويلة السيقان لها قنازع ذهبية اللون ،

الواحد : غرنوق .

جانب من عسكره ، وأتاه بعض من كان يعرف كَلْفَه بالصيد يُعلمه
بوقوعها ، ويُشهيهِ بها ، ويخُضُّه على اصطيادها ، فأطرق عنه ثم جاوبه :

دَعْنِي وَصَيْدَ وَقَعِ الْغَرَائِقُ
فَإِنْ هَمِّي فِي اصْطِيَادِ الْمَارِقِ
فِي نَفْقٍ إِنْ كَانَ أَوْفَى حَالِقِ
إِذَا التَّظَلَّتْ هَوَاجِرُ الطَّرَائِقِ
كَانَ لِفَاعِي ظِلِّ بَنْدٍ خَافِقِ (١)
غَنِيْتُ عَنْ رَوْضٍ وَقَصْرِ شَاهِقِ
بِالْقَفْرِ وَالْإِيْطَانِ فِي السَّرَادِقِ
فَقُلْ لِمَنْ نَامَ عَلَى النَّمَارِقِ
إِنَّ الْعُلَا شُدَّتْ بِهِمْ طَارِقِ
فَارْكَبْ إِلَيْهَا ثَبَجَ الْمَضَائِقِ (٢)
أَوْ لَا فَأَنْتَ أَرَذَلُ الْخَلَائِقِ

قال أبو جعفر عبد الله بن محمد، الملقَّب بالمنصور، يوماً لأصحابه :
مَنْ صَقَّرَ قُرَيْشٍ ؟ قالوا : أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِي رَاضَ الْمُلُوكَ ، وَسَكَّنَ
الزَّلَازِلَ ، وَحَسَمَ الْأَدْوَاءَ ، وَأَبَادَ الْأَعْدَاءَ (٣) ، قال : مَا صَنَعْتُمْ شَيْئاً ، قالوا :

(١) اللِّفَاعُ : مَا يَجْلُلُ بِهِ الْجَسَدَ كُلَّهُ ، كَسَاءِ كَانَ أَوْ غَيْرِهِ . وَالبند :

العلم الكبير .

(٢) الثَّبَجُ : وَسَطُ الشَّيْءِ .

(٣) مكان هذه العبارة (وَأَبَادَ الْأَعْدَاءَ) فِي الْأَصْلِ : « وَأَقَادَ بِالَا » .

وما أثبتنا من العقد الفريد (٤ : ٤٨٨) .

فمعاوية ، قال : ولا هذا ، قالوا : فعبدُ الملك بن مروان ، قال : لا (١) ، قالوا : فمن يأمير المؤمنين ؟ قال : عبدُ الرحمن بن معاوية الذي تخلص بكَيده عن سنن الأسنة وطُبات السيوف ، يعبر القفر ، ويركب البحر ، حتى دخل بلداً أعجمياً ، فمصر الأمصار ، وجند الأجناد ، وأقام ملُكاً بعد انقطاعه ، بحسن تدبيره ، وشدة عزمه (٢) ، إن معاوية نهض بِمِركب حمله عليه عمر وعثمان ، وذلك له صعبه ، وعبد الملك ببَيعة تقدمت له (٣) ، وأمير المؤمنين بطلب عِترته (٤) ، واجتماع شيعته ، وعبد الرحمن منفرد بنفسه ، مؤيد برأيه ، مُستصحباً لعزمه .

وغزا سرقسطة ، وبها ابن الأعرابي ، فخرج إليه يريد منعه من احتلال (٥) بابها ، فغلبه عبد الرحمن بعد حرب زبون دارت بينهما ، وجعل عبدُ الرحمن في ذلك الموقف يطوف بعسكره ويُشرف على أحوال رجاله في مُعتركهم ، فنظر إلى رجل من الفرسان قد نزل عن فرسه وظهرت منه كفاية في مقامه ، وهو يتمثل بقول الشاعر :

لم يُطيقوا أن ينزلوا ونزلنا وأخو الحرب من أطاق النزولا

فقال لفتى له : انظر هذا الرجل ، فإن كان من أشراف الناس فأعطه ألف دينار ، وإن كان من أفناء الناس فأعطه شطرها ، فلما ذهب

(١) العقد : « ولا هذا » .

(٢) العقد : « شكيمته » .

(٣) العقد : « تقدم له عقدها » .

(٤) العقد : « عشيرته » .

(٥) الأصل : « الاحتلال » .

إليه ، فإذا به رجل من العرب ، يقال له : القُعْقَاع بن زُنَيْم ، من أهل رِيَّة ، فأعطاه الألف الدينار ، فلحق بالشرف ، إلى أن استقضاه الأمير عبد الرحمن بن معاوية على جُنْدِه بالأردن ، وآلت الحال به إلى أن خرج عليه ، ثم ظفر الأمير عبد الرحمن به فأقاله واستقضاه ، رغبة في ألا يُفسد يده عنده .

(ولاية هشام بن عبد الرحمن)

وكان الأمير هشام بن عبد الرحمن خيرًا فاضلاً جواداً كريماً ، مع حُسن سيرته في رعيته ، وتحصينه لثغوره .

أوصى رجلٌ في زمان هشام بمالٍ في فكٍ سبيّة من أرض العدو ، فطلبت فلم توجد ، احتراساً منه بثغره (١) ، واستنقاذاً لمن سبي (٢) وضعفاً من عدوّه عنه .

ولم يُقتل أحدٌ من جنده في شيء من ثغوره أو جيوشه إلا أُلحق ولده في ديوان أرزاقه .

ولما وُصفت سيرته لمالك بن أنس ، ونُشرت فضائله عنده ، قال : وَدِدْتُ أَنْ اللَّهَ زَيْنَ مَوْسِمِنَا بِهِ .

حكى ذلك الفقيه ابن أبي هند ، وكان قد لقي مالكا ، وأخذ عنه . وذكر عنه أن الهواري دخل عليه ، فقال : مات فلان عن ضيعة تعود بكذا ، وفخّم أمرها ، وعليه دينٌ ، تُباع ، وحضّه على شرائها ، فقال : أنا أريد أمراً إن بلغتُه استغنيت عنها ، وإن لم أبلغها فما أقلّها ،

(١) العقد الفريد : (٤ : ٤٩٠) : « للثغر » .

(٢) العقد : « لأهل السبي » .

واصطناع رجل واحد أحبَّ إلىَّ من ضيعة ، قال : فاصطنعني بها ، فأمر له بِثَمَنِهَا .

وكان هشام يُصِرُّ الصُّررَ بالأموال ، وَيَبْعَثُ بِهَا فِي لَيَالِي الْمَطَرِ وَالظُّلْمَةِ إِلَى الْمَسَاجِدِ ، فَتُعْطَى مِنْ وَجْدِ فِيهَا ، يُرِيدُ بِذَلِكَ عِمَارَةَ الْمَسَاجِدِ .

وذكر عنه أنه كان من أشدَّ الناس قمعاً للمسلَّط من عُماله وخدمته ، تعرَّض لموكبه رجلٌ متظلمٌ من بعض عُماله ، فحال لَجَبُ المَوَكَّبِ عَنْ سَمَاعِهِ ، وكان في الموكب بعضٌ من يُشْفِقُ عَلَى الْعَامِلِ ، فَبَدَرَ إِلَى الْمُشْتَكِيِّ وَسَتَرَهُ فِي قُبَّتِهِ وَبَسَطَ لَهُ الْإِنْصَافَ ، ووَعَدَهُ إِيَّاهُ ، ثُمَّ كَتَبَ إِلَى الْعَامِلِ بِأَمْرِهِ ، فَذَهَبَ فِي اسْتِلَافِهِ وَاسْتِمَالَتِهِ حَتَّى رَضِيَ ، فَذَكَرَ لَهُشَامُ تَعَرُّضَ الْمُشْتَكِيِّ وَانْصِرَافَهُ عَنْهُ دُونَ بُلُوغِهِ إِلَيْهِ ، فَأَعْظَمَ ذَلِكَ وَأَكْبَرَهُ ، فَقِيلَ لَهُ : إِنَّهُ قَدْ أَنْصَفَ وَفَعَلَ بِهِ وَفَعَلَ ، فَقَالَ : إِنْ النِّصْفَةُ (١) لِلْمَظْلُومِ لَا تَكُونُ مِنَ الظَّالِمِ دُونَ تَسْلِيْطِ الْحَقِّ عَلَيْهِ ، وَبَعَثَ فِي الْمَظْلُومِ ، فَقَالَ : احْلِفْ عَلَى مَا رَكِبَ مِنْكَ إِلَّا أَنْ يَكُونَ أَصَابَ مِنْكَ حَدٌّ فِي اللَّهِ ، فَجَعَلَ لَا يَحْلِفُ عَلَى شَيْءٍ ، إِلَّا أَقَادَ مِنْهُ ، فَكَانَتْ تِلْكَ الزَّجْرَةُ لَجَمِيعِ عُمَّالِهِ أَبْلَغَ مِنَ السَّوْطِ وَالسَّيْفِ .

ومن أخباره قبل إفضاء الخلافة إليه : أَنَّهُ كَانَ قَاعِدًا فِي غُرْفَةٍ لَهُ مُطَلَّةً عَلَى النَّهْرِ ، يَنْظُرُ مِنْهَا إِلَى الرُّبُضِ (٢) ، فَوَقَعَتْ عَيْنُهُ عَلَى رَجُلٍ مِنْ كِنَانَةٍ ، كَانَ صَنِيعَةً لَهُ ، مُقْبِلِ (٣) مِنْ كُورَةِ جَيَّانَ ، وَكَانَ مِنْ أَهْلِهَا ،

(١) النِّصْفَةُ ، مُحَرَّكَةٌ : الْإِنْصَافُ .

(٢) الرُّبُضُ ، بِالضَّمِّ : جَمَاعَةُ الشَّجَرِ الْمُتَلَفِّ ، وَالْجَمْعُ : أَرْبَاضٌ .

(٣) الْأَصْلُ : « مُقْبِلًا » .

وكان أبو أيوب أخوه والياً بكورة جيان ، فلما رآه قد أوضع (١) في السَّير ، وذلك في الهاجرة ، دعا بعض فتيانه ، فقال : أرى الكِنَانِيَّ صَنِيعْتَنَا مَقْبَلًا ، ولأَحْسِبُهُ أَقْبَلَ بِهِ فِي ذَا الْوَقْتِ إِلَّا أَمْرٌ أَقْلَقَهُ مِنْ أَبِي أَيُوبَ ، فَقَفَّ بِالْبَابِ ، فَإِذَا بَلَغَكَ فَأَوْصِلْهُ إِلَيَّ عَلَى حَالَتِهِ ، فَلَمَّا بَلَغَ الْكِنَانِيَّ إِلَيْهِ أَوْصَلَهُ إِلَى هِشَامِ ، وَكَانَتْ (٢) مَعَهُ فِي مَجْلِسِهِ جَارِيَةٌ لَهُ ، فَاسْدَلَ السُّتْرَ عَلَيْهَا ، ثُمَّ قَالَ : مَاخْبَرُكَ يَا كِنَانِيَّ ، فَلَا أَحْسِبُكَ إِلَّا قَدْ هَمَّكَ أَمْرٌ ، قَالَ الْكِنَانِيُّ : نَعَمْ ، قَتَلَ رَجُلٌ مِنْ كِنَانَةِ رَجُلًا خَطَأً ، فَحُمِلَتِ الدِّيةُ عَلَى الْعَاقِلَةِ (٣) ، فَأَخَذَ بَنُو كِنَانَةِ عَامَةً ، وَحِيفَ عَلَى مَنْ بَيْنَهُمْ خَاصَةً ، وَقَصَدَنِي أَبُو أَيُوبَ ، إِذْ عَرَفَ مِنْكَ مَكَانِي ، فَعُدْتُ بِكَ مِنْ ظِلَامَتِي (٤) ، قَالَ : يَا كِنَانِيَّ ، يَسْكُنُ رُوعُكَ ، قَدْ تَحَمَّلَ عَنْكَ هِشَامٌ وَعَنْ قَوْمِكَ الْعَقْلَ (٥) ، ثُمَّ مَدَّ يَدَهُ مِنْ وَرَاءِ السُّتْرِ إِلَى لَبَّةَ (٦) كَانَتْ عَلَى الْعَجَارِيَةِ ، فَأَخَذَهَا مِنْهَا ، فَإِذَا بَعْدَ شِرَاؤِهِ عَلَيْهِ ثَلَاثَةُ آلَافٍ دِينَارٍ ، فَلَدَفَعَهُ إِلَيْهِ ، وَقَالَ لَهُ : أَدُّ بِهِ عَنْ نَفْسِكَ وَعَنْ قَوْمِكَ ، وَتَوَسَّعْ فِي الْبَاقِي ، فَقَالَ : إِنِّي لَمْ آتِكَ مُسْتَجِدًّا وَلَا ضَاقَ بِي مَالٌ عَنْ آدَاءِ مَا حُمِّلْتُهُ ، وَلَكِنْ لَمَّا أَصَبْتُ بَعْدُونَ وَظُلِمَ أَحَبَبْتُ أَنْ يَظْهَرَ عَلَيَّ عِزُّ نُصْرَتِكَ وَأَثَرُ عَنَائِتِكَ ، قَالَ : فَمَا الْوَجْهَ الَّذِي تَتَمَنَّاهُ فِي نُصْرَتِكَ ؟ قَالَ : أَنْ يَكْتُبَ الْأَمِيرَ

(١) أوضع : أسرع .

(٢) الأصل : « وكان » .

(٣) العاقلة : القرابة من جهة الأب الذين يشتركون في دفع الدية .

(٤) الظلامة : ما يطلبه المظلوم .

(٥) العقل : الدية . وفي الأصل : « العاقلة » وقد تقدم شرحها .

(٦) اللبة : القلادة .

أصلحه الله - إلى أبي أيوب في الإمساك عن أخذى بما لم يجب على . وأن
يُحملنى مَحْمَلُ عَامَةِ أَهْلِ ، فقال : أَمْسِكِ الْعِقْدَ عَلَى حَالِهِ إِلَى أَنْ يُيسَّرَ اللَّهُ
مَارَغِبْتَ فِيهِ .

ثم رَكِبَ هِشَامُ فِي وَقْتِهِ ذَلِكَ إِلَى الْأَمِيرِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، وَهُوَ بِالرَّصَافَةِ ،
فَقِيلَ لَهُ : هِشَامُ بِالْبَابِ ، فَقَالَ : مَا أَتَى بِهِ فِي وَقْتِهِ هَذَا إِلَّا أَمْرٌ حَدَثَ
عَلَيْهِ ، فَلَمَّا أَوْصَلَهُ وَمَثَلَ بَيْنَ يَدَيْهِ قَائِمًا ، قَالَ لَهُ : اجْلِسْ ، فَقَالَ : أَصْلَحَ
اللَّهُ الْأَمِيرُ : كَيْفَ جُلُوسِي بِهِمْ أَفْلَقْنِي وَحَزَنْنِي ، ثُمَّ قَصَّ عَلَيْهِ الْخَبَرَ ،
وَسَأَلَهُ إِسْعَافَ مَطْلَبِهِ وَقَضَاءَ حَاجَتِهِ ، فَقَالَ لَهُ : اقْعُدْ مُسَعِّفًا فِيمَا طَلَبْتَهُ ،
مُجَابًّا إِلَى مَا سَأَلْتَهُ ، مَا الَّذِي تَذْهَبُ إِلَيْهِ فِي أَمْرِهِ ؟ قَالَ : الْكِتَابُ لَهُ
بِالْكَفِّ عَنْهُ ، وَالْأَلَا يُؤْخَذُ بِغَيْرِ مَا يُلْزِمُهُ ، قَالَ الْأَمِيرُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ : أَوْ خَيْرٌ
مِنْ ذَلِكَ ، إِذْ هُوَ بِهَذِهِ الْمَنْزِلَةِ مِنْ عِنَايَتِكَ : أَنْ تُؤَدِّيَ الدِّيَّةَ مِنْ بَيْتِ مَالِ
الْمُسْلِمِينَ ، وَتُحْمَلَ عَنْ بَنِي كِنَانَةَ عَامَةٌ : حِفَظًا لَكَ فِيهِمْ ، وَأَطْلَبًا (١) لَكَ
فِي أَمْرِهِمْ .

فَاعْظُمْ هِشَامُ الشُّكْرَ فِي ذَلِكَ .

ثُمَّ أَمَرَ الْأَمِيرُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بِإِدَاءِ الدِّيَّةِ مِنْ بَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ ،
وَبِالْكِتَابِ إِلَى أَبِي أَيُوبَ فِي تَرْكِ التَّعَرُّضِ لِلْكَنَانِيِّ وَأَهْلِهِ .

فَلَمَّا حَضَرَ خُرُوجُ الْكَنَانِيِّ ، وَوَصَلَ إِلَى هِشَامٍ لِتَوْدِيعِهِ ، قَالَ :
يَا سَيِّدِي ، إِنِّي قَدْ جَاوَزْتُ حَدَّ الْأُمْنِيَةِ ، وَبَلَغْتُ أَقْصَى غَايَةِ النُّصْرَةِ ،
وَقَدْ أَغْنَى اللَّهُ عَنِ الْعِقْدِ ، وَهَاهُوَ ذَا فَلَا أَكُونُ مُبَارَكًا عَلَى بَنِي كِنَانَةَ

فَمَا يُحْمَلُ عَنْهُمْ ، مَشْتُومًا عَلَى الْجَارِيَةِ (١) فَمَا انْتَزَعَ مِنْهَا ، قَالَ لَهُ
هشام : يَا كِنَانِي ، لَا يَرْجِعُ إِلَيَّ شَيْءٌ خَرَجَ عَلَى هَذِهِ السَّبِيلِ عَنِّي ، خُذْهُ
مَبَارَكًا لَكَ فِيهِ ، وَسَيُعْوضُهُ اللَّهُ الْجَارِيَةَ خَيْرًا مِنْهُ .

(وَلَايَةُ الْحَكَمِ بْنِ هِشَامِ)

وَكَانَ الْأَمِيرُ الْحَكَمُ بْنُ هِشَامٍ ، رَحِمَهُ اللَّهُ ، شَجَاعًا حَازِمًا مَظْفَرًا فِي
حُرُوبِهِ ، أَطْفَاءَ نِيرَانَ الْفِتَنِ بِالْأَنْدَلُسِ ، وَكَسَرَ فِرْقَ (٢) النَّفْثَاقِ ، وَأَذَلَ أَهْلَ
الْكُفْرِ فِي كُلِّ أَفْقٍ ، وَكَانَ مَعَ نَجْدَتِهِ وَعِزَّةِ نَفْسِهِ مَتَوَاضِعًا لِلْحَقِّ ، مُنْقَادًا
لِلْإِنْصَافِ مِنْ نَفْسِهِ فَضْلًا عَنْ وَلَدِهِ وَسَائِرِ خَاصَّتِهِ : يَتَخَيَّرُ لِأَحْكَامِهِ أَوْرَعَ
مَنْ يَقْدَرُ عَلَيْهَا (٣) وَأَقْضَاهُمْ لِلْحَقِّ .

وَكَانَ لَهُ قَاضٍ قَدْ اسْتَكْفَاهُ (٤) أُمُورَ رَعِيَّتِهِ ، لِفَضْلِهِ (٥) وَزُهْدِهِ
وَوَرَعِهِ ، وَذُكِرَ أَنَّ الَّذِي آثَرَهُ بِهِ وَعَظَّمَهُ عِنْدَهُ ، أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ كُورَةِ
جِيَّانَ اغْتَصَبَهُ بَعْضُ عُمَّالِ الْحَكَمِ جَارِيَةً لَهُ ، فَلَمَّا عُزِلَ الْعَامِلُ عَمِلَ
فِي تَصْيِيرِ الْجَارِيَةِ إِلَى الْحَكَمِ ، فَلَمَّا صَارَتْ عِنْدَهُ ، وَاتَّصَلَ بِالرَّجُلِ
الْمَغْصُوبِ حَالُ الْقَاضِي فِي أَحْكَامِهِ ، وَاسْتَخْرَاجَ الْمُحَقَّقُ لِلرَّعِيَةِ مِنْ يَدَيِ
الْحَكَمِ وَأَهْلِ خَاصَّتِهِ ، أَتَاهُ وَشَرَحَ لَهُ خَبْرَهُ ، فَدَعَاهُ إِلَى إِقَامَةِ الْبَيِّنَةِ ، تَشْهَدُ (٦) لَهُ
مِنْ قَبْلِ عِلْمِهِ ، عَلَى الْمَعْرِفَةِ فَمَا قَالَ بِهِ وَتَظَلَّمَ مِنْهُ ، وَعَلَى مَعْرِفَةِ عَيْنِ الْجَارِيَةِ ،
فَأَوْجِبَتْ الْبَيِّنَةُ (٧) أَنَّ تُحْضَرَ الْجَارِيَةَ ، فَاسْتَأْذَنَ الْقَاضِيَ لِلدُّخُولِ عَلَى الْحَكَمِ ،

(١) مَشْتُومًا عَلَى الْجَارِيَةِ : كَانَ عَلَيْهَا شَوْمًا .

(٢) الْأَصْلُ : « فِرْقُوق » .

(٣) الْأَصْلُ : « عَلَيْهِ » . وَانْفَارَ الْعَقْدُ الْفَرِيدُ (٤ : ٤٩٠ - ٤٩١) .

(٤) الْعَقْدُ : « كَفَاهُ » . (٥) الْعَقْدُ : « بَفَضْلِهِ » .

(٦) الْأَصْلُ : « فَشْهَدَ » . وَلَا يَسْتَقِيمُ بِهَا السَّكَلَامُ .

(٧) الْأَصْلُ : « السَّنَةُ » . وَيَبْدُو أَنَّهَا مُحَرَّفَةٌ عَمَّا أَثْبَتْنَا .

فلما صار عنده ، قال : إنه لا يتم عدل في العامة دون إفاضته في الخاصة ، وحكى له أمر الجارية ، وخيره في إخراجها وإبرازها للبيّنة (١) ، أو عزله عن القضاء ، فقال : أو خير من ذلك : تبّاع من صاحبها بأنفس ثمنها ، وأبلغ مايسأله فيها ، قال : إن الشهود قد شخّصوا من كورة جيان يطلبون الحق في مظانه ، فلما صاروا بفنائك تصرفهم دون إنفاذ الحق لأهله ، فلعل قائلاً أن يقول : باع مايملك (٢) بيع مقتسر على نفسه ، ولا بد من إبراز الجارية ، أو تُصير أمرك إلى من أحببت ، فلما رأى عزمه أمر بإخراجها من قصره ، وقد كانت وقعت من نفسه موقعاً ، فشهد (الشهود) (٣) على عينيها ، وقضى بها لصاحبها ، ثم قال له : إياك وبيعها إلا في بلدك لتقوى بذلك الرعية على طلباتهم ، وبيعتهم (٤) على استخراج حقوقهم .

فلما توفى ذلك القاضي اكتب الحكم لمُصابه ، وجزع على وفاته فحكى عن عجب ، جاريته ، قالت : إني لفي الليلة التي أعلم فيها بوفاة القاضي عنده بائنة ، فلما كان في جوف الليل فقدته عن مضجعه ، فخرجت أطلبه ، فإذا هو قائم يصلي في دكان (٥) الدار ، فقعدت فيما يليه أنتظره ، فسجد سجدة أطالها حتى غلبتني عيناي ، ثم انتبهت فإذا هو ساجد على مثل حالته ، ثم غلبتني عيناى ، فما راغنى إلا وهو يُحرّكني لأنصداع الفجر ، فأقبلت عليه أسأله : ما الذى أقلقك عن

(١) الأصل : « للسنة » ، ويبدو أنها محرفة عما أثبتنا .

(٢) الأصل : « ما لم يملك » . وما أثبتنا من العقد .

(٣) التكملة من العقد . (٤) كذا .

(٥) الدكان : المصطبة .

فراشه ؟ قال : خَطْبٌ عَظِيمٌ ، ومُصَابٌ جَلِيلٌ ، كُنْتُ قَدْ تَفَرَّجْتُ مِنْ
مِنْ أُمُورِ الرِّعْيَةِ بِالْقَاضِي الَّذِي كَانَ اللَّهُ قَدْ كَفَانِي بِهِ مَا كَفَانِي ، فَخَشِيتُ
أَلَّا أُصِيبَ مِنْهُ خَلْفًا ، فَدَعَوْتُ اللَّهَ ، عَزَّ وَجَلَّ ، أَنْ يُوفِّقَ لِي قَاضِيًّا مِثْلَهُ
أَجْعَلُهُ بَيْنِي وَبَيْنَ النَّاسِ ، فَلَمَّا أَصْبَحَ دَعَا بَوَازِئَهُ ، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ : تَخَيَّرُوا
لِلرِّعْيَةِ مَنْ يَتَوَلَّى الْحُكْمَ فِيهِمْ ، وَأَسْتَعِينُ بِهِ عَلَى مَا قَلَدْتُهُ مِنْ أُمُورِهِمْ ،
فَدَلَّهُ (١) مَالِكُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْقُرَشِيُّ عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ بَشِيرٍ (٢) ، وَكَانَ
كَاتِبًا لَهُ بِبَاجَةِ ، لَمَّا فَهِمَ مِنْ فَضْلِهِ ، وَاخْتَبَرَهُ مِنْ وَرَعِهِ ، فَوَقَعَ بِنَفْسِ
الْأَمِيرِ الْحَكَمِ ، وَوُفِّقَ لَوْلَايَتِهِ .

فَلَمَّا أَنْ وَلَاهُ فَضْلٌ جَمِيعَ مَنْ تَقَدَّمَهُ عَدْلًا وَوَرَعًا وَزُهْدًا ، وَلَمْ يَدَعْ
التَّمَادِي عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنْ هَيْئَتِهِ وَنِظَافَةِ مَلْبَسِهِ ، كَانَ يَخْرُجُ إِلَى
الْمَسْجِدِ وَيَقْعُدُ لِلْحُكْمِ فِي إِزَارٍ مُورَدٍ ، وَلِمَمَّةٍ مُفَرَّقَةٍ ، فَإِذَا طُلِبَ مَا عِنْدَهُ
وُجِدَ أَفْضَلُ النَّاسِ وَأَوْرَعُهُمْ وَأَزْهَدُهُمْ .

وَأَتَى رَجُلٌ مِنْ بَعْضِ الْأَطْرَافِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْجَامِعِ يَسْأَلُ عَنْهُ ، وَكَانَ
فِي زِيَةِ الَّذِي ذَكَرْنَا ، قَاعِدًا ، فَمَالَ إِلَى حَلْقَةٍ يَسْأَلُهُمْ عَنْهُ ، فَدُلَّ عَلَى
الْحَلْقَةِ الَّتِي كَانَ فِيهَا ، فَلَمَّا أَتَاهُ وَوَقَفَ عَلَيْهِ رَجَعَ إِلَى الْقَوْمِ فَقَالَ لَهُمْ :
إِنِّي - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - تَوَسَّمتُ الْخَيْرَ فِيكُمْ ، وَقَصَدْتُكُمْ فَصِرْتُمْ تَهْزَأُونَ بِي ،
ذَلَّلْتُمُونِي عَلَى عَزَافٍ (٣) ، غَرَرْتُمُونِي ، قَالُوا : لَا وَاللَّهِ ، مَا غَرَرْنَاكَ ، وَإِنَّهُ
لِلْقَاضِي ، تَقَدَّمَ إِلَيْهِ فَسْتَجَدَّ عِنْدَهُ أَفْضَلُ مَا يَسُوكُ .

(١) الْأَصْلُ : « فَدَلَّ » .

(٢) الَّذِي فِي الْعَقْدِ أَنَّ الْقَاضِيَّ السَّابِقَ كَانَ اسْمُهُ : سَعِيدُ بْنُ بَشِيرٍ ،
وَفِيهِ أَنَّهُ كَانَ الْمَوْصُوفَ بِهَذَا الَّذِي ذَكَرَهُ الْمُؤَلِّفُ هُنَا .
(٣) كَذَا ، وَالْعَزَافُ : مِنْ حَرْفَتِهِ الْعَزْفُ .

فلما وقف به أدناه من نفسه . ثم باحثه عن مطالبه ، فوجد منه ما أنس إليه وتفرّج به ، فرجع عنه إلى القوم ، فقال : جُزيتُم خيرًا ، فوالله لقد صادفتُ أكثر مما أملتُ .

وكان عبّاسُ بنُ عبد الله بن مروان القرشيّ من الخاصة بالأمير الحَكَم ، والمنزلة عنده ، بحيث لم يُدانه أحدٌ في زمانه ، فأقام (١) عليه رجلٌ في ضيعة كانت له تحت يده ، فأثبتها عند ابن بشير القاضي ، فلما علم القرشي بأن القاضي (عزم) (٢) على أن يوجّه الحَكَم عليه عاذ بالأمير الحَكَم ، واشتكى إليه ما ناله من القاضي ، وسأله صرّفه عنه إلى غيره ، وجعل يتوبّغُه (٣) ويقع فيه ، فقال له الحَكَم : إن كان حتمًا ماتقول فأمضِ بنفسك إليه ، وهو غير قاعدٍ للحكم ، فإن أخلاك نفسك وأدخلك عليه ، فقد صدّقناك وعزلناه ، فقال : أفعل .

فَوَكَّلَ به الأميرُ الحَكَمُ بعضَ فتيانه ليمتحن ما يكون من القاضي ، فخرج القرشي ، والأزقة تغصّ بموكبه ، حتى أتى باب القاضي ، ففزع الباب ، فخرجت إليه عجوز له ، فأعلمها بنفسه ، وأمرها أن تستأذن له عليه ، فلما علِمَ به نهر العجوز ، وقال لها : قُولِي له : إن كانت لك حاجة فتَكُنْ في المسجد مع طلاب الحوائج حتى أخرج إليك ، فليس إلى إدخالك من سبيل ، فتردّد عليه وألحف ، فلم يأذن له ، فرجع الفتى إلى الحَكَم فأعلمه بما كان من القاضي ، فطار به سرورًا .

(١) الأصل : فقام . ويبدو أنها محرفة عما أثبتنا .

(٢) بمثل هذه التكملة يستقيم الكلام .

(٣) يتوبّغُه : يعيبه ويطلعن عليه ، والمسموع : وبغُه يبغُه وبغا .

وَوَفَدَ عَلَى الْحَكَمِ ، رَحِمَهُ اللَّهُ ، رَجُلٌ مِنْ بَعْضِ أَطْرَافِ ثُغُورِهِ مِنْ نَاحِيَةِ لَبْدَانِيَةِ (١) ، فَسَأَلَهُ عَنِ الثَّغْرِ وَحَالِهِ ، فَذَكَرَ خَرْجَةً كَانَتْ لِلْعَدُوِّ عَلَيْهِمْ ، وَأَنَّهُ سَمِعَ امْرَأَةً تَصِيحُ بِأَعْلَى صَوْتِهَا : وَاعْوُثَاهُ بِكَ يَا حَكَمُ ، فَلَقَدْ غَفَلَتْ عَنَّا حَتَّى تَرَكْتَنَا نَهْبًا لِلْعَدُوِّ ، فَأَحْفَظْهُ ذَلِكَ ، فَتَجَهَّزْ فِي وَقْتِهِ ، وَخَرَجَ بِنَفْسِهِ حَتَّى أَتَى ذَلِكَ الثَّغْرَ ، فَأَمَكَّنَهُ اللَّهُ مِنَ الْعَدُوِّ فِي نَاحِيَتِهِ وَأَظْفَرَهُ (٢) عَلَيْهِمْ ، فَافْتَتَحَ الْمَعَاقِلَ ، وَأَصَابَ الْأَسْرَى ، ثُمَّ خَرَجَ قَافِلًا وَقَالَ لِلْوَفَدِ عَلَيْهِ : ذُلْنَا (٣) إِلَى مَوْضِعِ الْمَرْأَةِ الَّتِي سَمِعْتَهَا صَارِخَةً ، فَقَصِدَ بِهِ نَحْوَهَا ، فَلَمَّا خَرَجَتْ إِلَيْهِ دَفَعَ إِلَيْهَا عِدَّةً مِنَ الْأَسْرِ تُفَادِي بِهِمْ مَنْ أُسِرَ مِنْ أَهْلِهَا ، وَضَرَبَ أَعْنَاقَ الْبَاقِيْنَ فِي حَضْرَتِهَا ، ثُمَّ قَالَ لَهَا : أَغَاثُكَ الْحَكَمُ أَمْ غُفَلَ عَنْكَ؟ قَالَتْ : لَا ، بَلْ أَغَاثَ وَنَصَرَ ، فَنَصَرَهُ اللَّهُ وَأَغَاثَهُ (٤) .

وَأَتَاهُ الْعَبْرُ أَنَّ جَابِرَ بْنَ لَبِيدَ (٥) يُحَاصِرُ بَجْيَانَ (٦) ، وَهُوَ فِي الْحَائِرِ (٧) مَعَ فُرْسَانٍ مِنْ خَوَاصِهِ يَلْعَبُونَهُ عَلَى خَيْلِهِمْ .

وَكَانَ لَهُ (٨) أَلْفَا (٩) فَرَسٍ مُرْتَبِطَةٌ عَلَى شَاطِئِ النَّهْرِ (بِإِزَاءِ) (١٠)

(١) الْأَصْلُ : « لَبْدَانِيَّة » ، وَانْظُرِ الْحَاشِيَّةَ (رَقْمٌ : ٣ ، ص : ٥٨) .

(٢) الْأَصْلُ : « وَأَظْفَرَ » . (٣) الْأَصْلُ : « دَلْ بَنَّا »

(٤) وَانْظُرِ الْبَيَانَ الْمَغْرِبَ (٢ : ٧٥) فَتَمَّةٌ خِلَافٌ .

(٥) وَانْظُرِ نَفْحَ الطَّيِّبِ لِلْمَقْرَى (٤ : ١٦٧) .

(٦) « الْعَقْدُ الْفَرِيدُ » (٤ : ٤٨) : « يُحَاصِرُ جِيَانَ » .

(٧) كَذَا . وَلَعَلَّهُ يَرِيدُ بَسْتَانًا كَانَ لِلْحَكَمِ . وَالَّذِي فِي الْعَقْدِ : « وَهُوَ

يَلْعَبُ بِالصُّوُلْجَانِ فِي الْجَسْرِ » .

(٨) لَهُ ، أَيْ لِلْحَكَمِ . (٩) الْعَقْدُ : « أَلْفٌ » .

(١٠) بِمَثَلِ هَذِهِ التَّكْمِلَةِ يَسْتَقِيمُ الْكَلَامُ .

القصر ، تجمعها داران ، على كل دار عشرة عُرفاء ، تحت يد كل عريف مائة فرس ، فالعُرفاء يُشرفون عليها وتُعلف بين أيديهم ، وينظرون في تعويض ماتعذر منه (١) لتكون معدة قائمة لما عسى أن يُفجأ من أمر يُفزع إليه بها ، فإذا كانت حركة كانوا كنفَس واحدة .

فدعا بأحد أولئك العُرفاء ، فلما مثل بين يديه أُسرَّ إليه بالخروج إلى جيّان إلى ابن لبيد من وقته في عرافته ، وأمره ألا يُعرف أحداً وجه طريقه ، ثم عاد إلى لهوه ، فلما مضت ساعة دعا بثان من عُرفائه ، فأسرَّ إليه بمثل ذلك ، ودعا عشرة ، فخرجوا متتابعين ، لا يعلم أحدٌ منهم بقصد صاحبه ، حتى تساقطوا على ابن لبيد في اليوم الثاني من لدن أصبح إلى الليل ، فلما رأى ذلك عدوه سُقط في أيديهم ، وظنوا أنه قد أحيط بهم ، وأن أقطار البلاد منسوبة إليهم (٢) ، فولوا منهزمين من وقتهم ، فاستباحتهم الخيلُ وأصاب عسكرهم ، فأتت الرؤوس إلى الثالث (٣) ، والحكم مع مواليه في الحائر ، لا يعلم أحدٌ منهم بمعنى الخبر حتى أنبأهم به .

وحكى عن (٤) الحكم أنه لما قام عليه أهل الربض ، وراموا خلعه ، وكانوا شوكة عسكره ، وعظماء أهل بلدته ، إلّزم الصبر في مكافحتهم ، وثبت على مناجزتهم ، فلما اشتدت الحرب ، واستحر (٥) القتال والقتل

(١) كذا . ولعله يريد : ما تعذر من العلف .

(٢) العقد : « قد حشرت لديهم » .

(٣) أى الثالث من الأيام . (٤) الأصل : « من » .

(٥) الأصل : « واستحرت » .

دعا بغالية تَغْلَلُ (١) بها ، وبِمِسْكٍ فذَرَهُ على مَفَارِقِ رَأْسِهِ ، فقال له يَزْنَتْ ، فتاه : أَهَذَا يَوْمٌ طَيِّبٌ يَا سَيِّدِي ؟ فانتهره وقال : هذا يَوْمٌ وَطَنْتَ نَفْسِي فِيهِ عَلَى الْمَوْتِ أَوْ الظَّفَرِ بَعْدَوِي ، فَأَرَدْتُ أَنْ يُعْرِفَ رَأْسُ الْحَكَمِ مِنْ بَيْنِ رُؤُوسٍ مَنْ يُقْتَلُ مَعَهُ .

وَكَتَبَ إِلَيْهِ عَامِلُهُ عَلَى مَارِدَةٍ يُعَلِّمُهُ عَنْ خَارِجٍ مِنْ أَهْلِ بَرِيرِهَا عَلَى الرِّعْيَةِ ، وَيَسْتَأْذِنُهُ فِي حَرْبِهِ .

فحكى بعضُ عرفاء الحكم ، قال : دَعَانِي ، وَلَا أَعْرِفُ بِمَا كَتَبَ إِلَيْهِ بِهِ الْعَامِلُ ، وَقَدْ كُنْتُ عَارِفًا بِاسْمِ الرَّجُلِ ، فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ وَهُوَ قَاعِدٌ عَلَى سَكُونٍ وَدَعَا (٢) فِي بَعْضِ الصُّحُونِ ، فَقَالَ لِي : أَمَجْتَمِعُونَ أَصْحَابُكَ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ أَكْرَمَ اللَّهُ الْأَمِيرَ ، قَالَ : أَتَعْرِفُ فَلَانًا ؟ قُلْتُ : نَعَمْ ، قَالَ : فَبُئِنِّي بِرَأْسِهِ وَإِلَّا وَاللَّهِ فَرَأْسُكَ مَكَانَهُ ، وَخُذْ مِنَ الْحَرْبِ فِي أَجَدِّ مَا أَخَذَ قَطْ ، فَلَمَّا وَلَّيْتُ نَادَانِي ، فَانصرفت (إِلَيْهِ) (٣) ، فَقَالَ : إِنِّي غَيْرُ بَارِحٍ مِنْ مَقْعَدِي هَذَا مُنْتَظِرٌ لَكَ ، فَتَعَجَّبْتُ مِنْ تَأْكِيدِهِ عَلَيَّ وَتَحْذِيرِهِ لِي ، وَخَرَجْتُ مِنْ فَوْرِي ذَلِكَ حَتَّى قَدِمْتُ عَلَيْهِ ، فَوَجَدْتَهُ مُتَحَرِّزًا ، صَعَبَ الْمَرَامِ ، فَمَا أَعْلَمُ أَنِّي لَقِيتُ مِنْ شِدَّةِ الْحَرْبِ فِي أَحَدٍ مَالِقِيَّتُ فِيهِ ، وَلَقَدْ كَدْتُ (٤) أَهْمٌ بِالْإِنْحِلَالِ مِنْهُ ، فَإِذَا ذَكَرْتُ قَوْلَهُ : وَإِلَّا فَرَأْسُكَ وَاللَّهِ مَكَانَهُ ،

(١) الغالية : أخلاط من الطيب . وتغلل بها : تطيب ..

(٢) جاءت هذه العبارة « على سكون ودعة » في الأصل متقدمة ،

وبعد قوله : « الرجل » .

(٣) بمثل هذه الكلمة يستقيم الكلام .

(٤) الأصل : « كنت » .

لم أَجِدْ بَدَأَ مَنْ مُنَاجَزَتِهِ ، حَتَّى أَظْفِرَنِي اللَّهُ بِهِ ، فَقَدِمْتُ إِلَيْهِ بِرَأْسِهِ
فِي الْيَوْمِ الرَّابِعِ ، فَوَجَدْتُهُ قَاعِدًا فِي الْمَكَانِ الَّذِي فَارَقْتُهُ فِيهِ .

فَأَخْبَرَنِي (١) الْفَتَيَانِ أَنَّهُ لَمْ يَقُمْ عَنْهُ بَعْدَ مُفَارَقَتِي إِيَّاهُ إِلَّا لَوْضُوءٍ
أَوْ صَلَاةٍ .

وَمِنْ شَعْرِهِ الَّذِي قَالَهُ بَعْدَ وَقْعَةِ الرَّبْضِ :

وَقَدِمًا لَأَمْتُ (٢) الشَّعْبِ مَذَكَنْتُ يَافِعًا	رَأَبْتُ صُدُوعَ الْأَرْضِ بِالسَّيْفِ رَاقِعًا
أَبَادِرَهَا مُسْتَنْضِي السَّيْفِ دَارِعًا	فَسَائِلِ تُغُورِي هَلْ بِهَا الْيَوْمَ تُغْرَةً
كَأَقْحَافِ شَرِيَانِ الْهَبِيدِ لَوَامِعًا (٤)	وَشَافِهِ عَلَى (٣) الْأَرْضِ الْفَضَاءِ جَمَاجِمًا
بِوَانٍ وَقَدِمًا (٦) كَنْتُ بِالسَّيْفِ قَارِعًا	تُنَبِّئُكَ أَنِّي لَمْ أَكُنْ فِي قِرَاعِهِمْ (٥)
فَلَمْ أَكْ ذَا حَيْدٍ مِنَ الْمَوْتِ جَازِعًا	وَأَنِّي إِذَا حَادُوا جَزُوعًا (٧) مِنَ الرَّدَى
وَمَنْ لَا يُحَاحِي ظِلَّ خَزْيَانَ ضَارِعًا	حَمَيْتُ ذِمَارِي فَانْتَهَبْتُ ذِمَارَهُمْ
سَقَيْتُهُمْ (٨) سُمًّا مِنَ الْمَوْتِ نَاقِعًا	وَلَمَّا تَسَاقَيْنَا سِجَالَ حُرُوبِنَا
فَوَافُوا مَنَآيَا قُدِّرَتْ وَمَصَارِعًا	وَهَلْ زِدْتُ أَنْ وَفَّيْتُهُمْ صَاعَ قَرْضِهِمْ
مِهَادًا وَلَمْ أَتْرُكْ عَلَيْهَا مُنَازِعًا	فَهَاكَ بِلَادِي إِنِّي قَدْ تَرَكْتُهَا

(١) الْأَصْلُ : « فَأَخْبَرْتَنِي » .

(٢) الْعَقْدُ (٤ : ٤٩٢) وَالنَّفْحُ (٣ : ٢ : ٣) : « رَأَيْتُ » .

(٣) الْأَصْلُ : « مَعَ » . وَمَا أَثْبَتْنَا مِنَ الْعَقْدِ ، وَالْبَيَانِ الْمَغْرِبِ (٧٣ : ٢)

وَالْحِلَّةِ السَّيْرَاءِ (٤٧ : ١) وَالْمَغْرِبِ (٤٤ : ١) .

(٤) شَرِيَانِ الْهَبِيدِ ، أَيْ شَجَرِ الْخَنْظَلِ .

(٥) الْعَقْدُ ، وَالْبَيَانُ : « عَنْ قِرَاعِهِمْ » .

(٦) الْعَقْدُ ، وَالْبَيَانُ : « وَأَنِّي »

(٧) الْأَصْلُ : « جَزَاعًا » ، وَهُوَ غَيْرُ مَسْمُوعٍ .

(٨) الْأَصْلُ : « سَقَيْتُهُمْ » ، وَمَا أَثْبَتْنَا مِنَ الْعَقْدِ ، وَالْبَيَانِ .

كان عُثْمَانُ بنُ الْمُثَنَّى المؤدَّب يقول : قَدِمَ عَلَيْنَا عَبَّاسُ بنُ نَاصِحِ
قُرْطُبَةَ ، أَيَّامَ الْأَمِيرِ عبدِ الرَّحْمَنِ ، فَاسْتَنْشَدَنِي شِعْرَ الْحَكَمِ فِي الْهَيْجِ (١) ،
فَلَمَّا انْتَهَيْتُ بِهِ إِلَى آخِرِ الْأَبْيَاتِ ، حَيْثُ يَقُولُ :
وَهَلْ زِدْتُ أَنْ وَقَيْتُهُمْ صَاغَ قَرْضِهِمْ فَوَافَوْا مَنَايَا قُدِّرَتْ وَمَصَارِعَا
قال : لو وَضَعَ الْحَكَمُ الْخُصُومَةَ فِي أَهْلِ الرِّبْضِ (٢) لَقَامَ بَعْدَهُ
هَذَا الْبَيْتُ .

وَمِنْ شِعْرِهِ فِي الْغَزْلِ ، وَكَانَ لَهُ خَمْسُ مِنْ جَوَارِيهِ قَدْ غَلِبْنَ عَلَيْهِ ،
وَحُلْنَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ سَائِرِ نِسَائِهِ ، فَأَرَادَ يَوْمًا أَنْ يُدْخَلَ عَلَيْهِمْ غَيْرَهُنَّ ،
فَتَنَابَيْنَ عَلَيْهِ وَقُمْنَ مُتَغَاضِبَاتٍ ، فَلَمَّا وَلَّيْنِ عَنْهُ صَرَفَهُنَّ وَعَمَلَ فِي
اسْتِرْضَائِهِنَّ ، وَأَنْشَأَ يَقُولُ :

قُضِبَ مِنَ الْبَانِ مَا سَتَفُوقَ كُتُبَانَ وَلَّيْنِ (٣) عَنِّي وَقَدْ أَرَمَعَنَ هِجْرَانِي
نَاشِدَتُهُنَّ بِحَقِّي فَاعْتَزَمَنْ عَلَى الْوَعْدِ عِصْيَانُ لَمَّا خَلَا (٤) مِنْهُنَّ عِصْيَانِي
مَلَكَنِي مَلَكًا ذَلَّتْ عَزَائِمُهُ لِلْحُبِّ ذُلًّا أَسِيرَ مُوثِقِي عَانِي
مَنْ لِي بِمُعْتَصِبَاتِ الرُّوحِ مِنْ بَدَنِي يَغْضِبُنِي فِي الْهَوَى عِزِّي وَسُلْطَانِي
وله فِيهِنَّ :

ظَلَّ مِنْ فَرَطِ حُبِّهِ مَمْلُوكًا وَلَقَدْ كَانَ قَبْلَ ذَلِكَ مَلِكًا
إِنْ بَكَى أَوْ شَكََا الْهَوَى زِيدَ ظُلْمًا بَعَادٍ (٥) أَذْنَى حِمَامًا وَشِيكًا

(١) الهيج : الحرب .

(٢) العقد : « لوجوئي الحكم في حكومة لأهل الربض » .

(٣) وكذا في الحلة السيرة (١ : ٥٠) والنفح (١ : ٣٤) . وفي البيان

المغرب (٢ : ٧٩) : « أعرضن عني » .

(٤) الأصل : « خلا » بالخاء المعجمة ، تصحيف .

(٥) الأصل : « بعادا » .

تركته جاذرُ القصرِ صَبًا مُسْتَهَامًا على الصَّعيدِ تَرِيكًا
يَجْعَلُ الخَدَّ واضعًا فوق تُرْبٍ لِلَّذِي يَجْعَلُ الحَرِيرَ أَرِيكًا
هَكَذَا يَخْسُنُ التَّنْذِلُ لِلْحُرِّ رَّ إِذَا كَانَ فِي الهَوَى مَمْلُوكًا
(ولاية عبد الرحمن بن الحكم)

وكان الأمير عبد الرحمن بن الحكم ، رحمه الله ، حليماً جواداً ،
وكان له حظ من أدب وفقه ، وحفظ للقرآن ، ورواية للحديث .

حكى عنه أنه تهادى مع بعض جلسائه في حديث من بعض المشاهد ،
فلما تلاحيا فيه ، قال : اسمعُ كتب المشاهد حفظاً ، فقرأها ظاهراً .

وحكى بعضُ نَقْلَةِ الأخبار أنه لم يَصِلْ أحدٌ إلى روايته (١) ومُشافهته
فَلَمَّا سَأَلَهُ (٢) (سائل) (٣) شيئاً مما عَزَّ أو هَانَ ، فانصرف دونه .

وَأَلْفَى المُلْكُ قَدْ مُهِّدٌ وَوُطِّدَ ، فَخَلَا بِلَذَّاتِهِ ، وانفرد بشهواته ، فكان
كداخل الجنة التي جُمِعَ فيها ما تشتهيه الأنفس وتَلذُّ الأعين .

أُدْخِلَتْ إِلَيْهِ يَوْمًا أَمْوَالٌ وَرَدَتْ عَالِيَهُ ، فَعُبِّيتِ الخرائط بين يديه ،
وَبَثَّ فِتْيَانَهُ بِالرَّسَائِلِ إِلَى خِدْمَتِهِ ، فخلَا مجلسُهُ مِنْهُمْ حَاشِي فَتَى كَانَ
قَائِمًا بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَتَغَشَّتْ عَبْدَ الرَّحْمَنِ سِنَةٌ ، ظَنَّ بِهَا الْفَتَى أَنَّ النُّومَ قَدْ
أَثْقَلَهُ ، فَبَسَطَ يَدَهُ عَلَى خَرِيطَةٍ مِنَ الْمَالِ ، أَرْسَلَ عَلَيْهَا كُفَّهُ وَوَلَّى ،
وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ يَلَاظِمُهُ ، فَلَمَّا تَوَافَى فِتْيَانُهُ أَمْرَهُمْ ، بَرَفَعَ الْمَالُ وَعَدَّ الْخَرَائِطَ ،
فَإِذَا خَرِيطَةٌ نَاقِصَةٌ ، فَتَدَاوَمُوا فِيهَا ، كُلُّ يَتَهَمُ بِهَا صَاحِبَهُ ، فَقَالَ لَهُمْ

(١) الأصل : « رويته » . (٢) الأصل : « فسأله » .

(٣) تكملة يقتضها السياق .

عبدُ الرحمن: أمسكوا عن هذا ، فقد أخذها مَنْ أخذها ، وعائنه من لايقولها ، وأمر بضم المال ، ورأى أَنْ كَشَفَ أخذها لَوَم ، حياءً وكرماً .
وتغضبت جاريةٌ من جواريه عليه ، وأرسل إليها ، فامتنعت منه وغلقت بابها دونه ، فأمر ببُنيان الخرائط على بابها حتى سدَّ الباب ، فلما فتحته تساقطت الخرائط عليها ، فإذا بنحو عشرين ألفَ دينار .
وأمر لجارية من جواريه بعقدِ شراؤه عليه عشرة آلاف دينار ، فجعل بعضُ مَنْ حضر من وزرائه يُعظم ذلك عليه ، فقال له : ويحك ! إِنَّ لابسَه أنفُسُ منه خَطَرًا (١) وأرفعَ قَدْرًا ، وأكرمَ جوهرًا ، ولئن راق من هذه الحصباء منظرُها ، ولُطِفَ في الأعين جوهرها ، لقد برأ الله مِنْ خلقه جوهرًا يروق وَيَسِي الألباب ، وهل على الأرض في زينتها ، وشريف جوهرها ، وملاذ(٢) نعيمها ورَفاهيتها ، أَقرّ للعين ، وأجمع لمحاسن الزَّين ، من وجه أَكمل اللهُ حُسْنَه ، وألّقى عليه الجمالُ بهجته ، ثم قال لابن السَّمُر ، وكان حاضرًا : هل يحضرك في ذلك شيء ؟ فقال :
أَتَقَرُّنُ حَصْبَاءَ الْيَوَاقِيتِ وَالشَّدَرِ إِلَى مَنْ تَعَالَى عَنْ سَنَا الشَّمْسِ وَالْبَدْرِ
إِلَى مَنْ بَرَتْ قِدَمًا يَدُ اللَّهِ خَلَقَهُ وَلَمْ يَكُ شَيْءٌ غَيْرُهُ أَبَدًا يَسْبِرُ
فَأَكْرِمَ بِهِ مِنْ صَنَعَةِ اللَّهِ جَوْهَرًا تَضَاعَلُ عَنْهُ جَوْهَرُ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ
لَهُ خَلَقَ الرَّحْمَنُ مَا فِي سَمَائِهِ وَمَا فَوْقَ أَرْضِيهِ وَمَكَّنَ فِي الْأَمْرِ

فقال الأمير عبدُ الرحمن بن الحكم :

قريضك يابن السَّمُر عَفَى عَلَى الشَّعْرِ وَجَلَّ عَنْ الْأَوْهَامِ وَالْفَهْمِ وَالْفَكْرِ

(١) الأصل : « حظرا » ، تصحيف . (٢) كذا .

(٣) الشدر : قطع الذهب تلتقط من معدنه واللؤلؤ الصغار .

إِذَا شَافَهُتُهُ الْأُذُنُ أَدَّى بِسَحَرِهِ إِلَى الْقَلْبِ إِبْدَاعًا فَجَلَّ عَنْ السَّحْرِ
وَهَلْ بَرَأَ الرَّحْمَنُ مِنْ كُلِّ مَا بَرَأَ أَقَرَّ لَعَيْنٍ مِنْ مُنْعَمَةٍ بِكُرِّ
تَرَى الْوَرْدَ فَوْقَ الْيَاسَمِينِ بِخُذِّهَا كَمَا فَوْقَ الرُّوضِ الْمُنُورِ بِالزَّهْرِ (١)
فَلَوْ أَنَّنِي مُلِكْتُ قَلْبِي وَنَاضَرِي نَظَّمْتُهُمَا مِنْهَا عَلَى الْجِيدِ وَالنَّحْرِ

ثم أمر له بخريطة فيها خمسمائة دينار ، فخرج والوصيف يحملها
له ، فلما توارى عن الأمير قال له : يا ابن السُّمر : أين بات القمرُ
الليلة ؟ قال : تحت كُمِّك ياسيدي .

وغزا ماردة سبعة أعوام ولَاءَ ، فلَمَّا كَانَ الْعَامُ السَّابِعَ ، وَأَشْفَى بِهِمْ
عَلَى الْعُطْبِ ، نَظَرَ إِلَى جُنْدِهِ قَدْ تَعَلَّقُوا بِشُرَافَاتِ السُّورِ وَتَغَلَّبُوا عَلَيْهِ .
وَضَعُفَ أَهْلُ مَارِدَةَ عَنْ دِفَاعِهِمْ ، فَسَمِعَ صُرَاخَ النِّسَاءِ وَعَوِيلَ الصَّبِيَّانِ ،
وَعَجِيجَ الْبُكَاءِ ، فَأَمَرَ بِالْإِمْسَاكِ عَنْهُمْ ، وَقَبَضَ أَهْلَ الْعَسْكَرِ عَنْ قِتَالِهِمْ ،
ثُمَّ دَعَا بِوُزَرَائِهِ وَقُوَّادِهِ ، وَقَالَ لَهُمْ : قَدْ عَلِمْتُمْ مَا كَانَ مِنْ تَغَلُّبِ حَشْمِنَا
وَرَجَائِنَا عَلَى هَؤُلَاءِ الظَّالِمَةِ لِأَنفُسِهِمْ ، وَلَمْ يَكُنْ رَفَعْنَا مَارْفَعَاهُ عَنْهُمْ
إِلَّا رِقَبَةً لِلَّهِ ، عَزَّ وَجَلَّ ، فِيهِمْ ، وَتَخَوُّفًا مِنْ قَتْلِ وَلَدَانِهِمْ وَأَطْفَالِهِمْ ، وَمِنْ
لَا ذَنْبَ لَهُمْ مِمَّنْ اسْتَكْرَهَ عَلَى نَفْسِهِ مِنْهُمْ ، وَنَحْنُ نَرَى اسْتِجْلَابَ النَّصْرِ
مِنْ حَيْثُ عَوَدْنَا اللَّهُ وَعَرَفْنَا مِنَ الْعَفْوِ وَالصَّفْحِ ، وَقَدْ عَزَمْتُ عَلَى الْإِنْتِقَالِ
عَنْهُمْ ، فَإِنْ أَبْصَرُوا قَدْرَ يَدِنَا فِي الْإِبْقَاءِ عَلَيْهِمْ ، وَمِرَاقِبَةِ اللَّهِ فِيهِمْ ،
وإِلَّا كَانَ اللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطًا ، وَعَلَى الْإِنْتِقَامِ مِنْهُمْ قَدِيرًا ، فَهُوَ الَّذِي
أَيَّدَنَا وَقَهَرَهُمْ ، وَنَصَرَنَا وَكَبَّتَهُمْ .

(١) فوق ، أى جعل الزهر من الروض ، كالنوق من السهم ، وهو
حيث يشبث الوتر ، وهما فوقان .

فلم يَنْتَقِلْ إِلَّا مُحَلَّةً حَتَّى أَتَتْهُ رُسُلُهُمْ بِطَاعَتِهِمْ ، وَالْإِلْقَاءَ إِلَيْهِ بِأَيْدِيهِمْ .

وكتب إليه بعض مواليه يسأله عملاً ربيعاً لم يُشَاكِلْهُ (١) ، فوقع في أسفل كتابه : من لم يُصِيب وجه مَطلبه كان الحرمان أولى به .

وكان عُبيد الله بن قرمان (٢) بن بدرا، مولاة . من بعض ندمائه ، قد خرج مُطْلِعاً لضييعته ، فحضرت الأمير أريحية صار بها إلى مجالسة أصحابه ، وقد افْتَصَدَ ذلك اليوم ، فكانوا عنده في أحسن مجلس ، ثم انقلبوا ، وقد وصل كُلُّ رجلٍ من الخمسمائة إلى المائتين ، على قَدَرٍ معروف كل رجل منهم ، فوقع الخبرُ على عُبيد الله بن قرمان ، فابتدر رجاءً أن يُدرك الصلة التي نالت أصحابه ، فكتب إليه :

يَا مَلِكًا حَلَّ ذُرَى الْمَجْدِ	وَعَمَّ بِالْإِنْعَامِ وَالرَّفْدِ
طَوَّبِي لِمَنْ أَسْمَعَتْهُ دَعْوَةً	فِي يَوْمِ إِجْمَاعِكَ لِلْفَصْدِ
فَظَلَّ ذَاكَ الْيَوْمَ مِنْ قَصْفِهِ	مُسْتَوْتُنًا فِي جَنَّةِ الْخُلْدِ
وَقَدْ عَدَانِي أَنْ أُرَى حَاضِرًا	جَدًّا (٣) مَتَى تُحْظِ الْوَرَى يُكْدِي
فَانْتَعَشَ الْعَثْرَةَ مِنْ عَائِرٍ	عَدَتْ عَلَيْهِ أَنْحُسُ الْقِرْدِ
وَأَمْنُنْ بِإِصْفَادِي عَطًا لَمْ يَزَلْ	يَشْمَلُ أَهْلَ الْقُرْبِ وَالْبُعْدِ (٤)

فوقع في أسفل أبياته : من آثر التضعع فليرض بحظه من النوم .

(١) العقد الفريد (٤ : ٤٩٣) : « لم يكن من شاكلته » .
 (٢) في الأصل : « قرطان » . وما أثبتنا من التكملة لابن الأبار (انظر الفهرست) .

(٣) الأصل : « جد » . والجد بالفتح : الحظ .

(٤) أصفده : أعطاه حتى قيده بالإعطاء .

ثم عاود فقال :

لَانِمْتُ إِنْ كُنْتُ يَا مَوْلَايَ مَحْرُومًا وَلَا طَعِمْتُ عَلَى مَا نَالِي نَوْمًا
أَشْقَى لِحَرِّمَانِ يَوْمٍ لَاعْتِيَاضَ بِهِ لَوْ أَنَّ مِنْ جَنَّةِ الْفَرْدَوْسِ لِي يَوْمًا
وَرُؤْيَايَ مِنْكَ وَجْهًا مَا اكْتَحَلْتُ بِهِ إِلَّا تَعَرَّفْتُ صُنْعًا مِنْهُ مَحْتَوَمًا (١)
فَكَيْفَ أُمْنَعُ وَرِدًا مِنْكَ آمَلُهُ صَدَيَانِ حَامٍ رَجَائِي فَوْقَهُ حَوْمًا

فأمر له بالصَّلَاةِ ، وكتب في أسفل كتابه :

لَا غَرَوْ أَنْ كُنْتُ مَمْنُوعًا وَمَحْرُومًا إِذْ كُنْتُ آثَرْتُ هَوْبًا يُورِثُ النَّوْمَا (٢)
وَلَمْ يَنْلِ إِمْرُؤُهُ مِنْ عَفْوِهِ أَمَلًا حَتَّى يَشُدَّ عَلَى الْإِجْهَادِ حَيْزُومَا (٣)
فَهَكَ مِنْ سَبِينَا مَا كُنْتَ تَأْمَلُهُ إِذْ حُمْتُ فَوْقَ رَجَاءِ الْوَرْدِ تَحْوِيمَا

(ولاية محمد بن عبد الرحمن)

وكان الأمير محمد بن عبد الرحمن حليماً عفيفاً ، كاظماً لغيظه ،
مجتملاً (٤) حسن الأدب ، بصيراً بالحساب .

ذكر عنه أنه كان يتولى محاسبة أهل خدمته ، ويتعقب أمورهم
بنفسه ، لينفذه في الحساب ، وصحة قريحته ، وتمكنه في فنون العلم
والآداب ، ثم يؤقفهم على موضع الخلل والخطأ في أعمالهم .

وما يؤثر من أناته وثبته أن هاشم بن عبد العزيز دس على رجل
من خدمة الأمير من بغاه عنده ، وحشد من كل جانب عليه ، وأبقى

(١) كذا . وفي البيت عيب من عيوب القافية ، وهو سناد الحذو ،
وهو اختلاف حركة ما قبل الردف .

(٢) الهوب : البعد . (٣) انظر الحاشية الأولى .

(٤) الأصل : « محتلاً » بجاء مهملة ، تصحيف .

نفسه للمشورة في أمره ، فلما دَخَلَ في بعض الأيام هاشم أخطر ذكره
ليعلم ماوَقَّر له في قلبه ، فلم يستنكر من حالته شيئاً ، ثم أعاد الناس
إلى الطلب والوقوع فيه ، فتباطأ عليه ماأمل من عزله ، إلى أن كشف
وجهه فيه ، وذكر عنه أكثر مما كان يطعن به عليه ، حتى أشاط دمه ،
فأدخله الأمير محمد - عفا الله عنه - فقال : ياهاشم ، هذا كتابك ؟
قال : نعم ، قال : فما ترى في أمره ، فقد كثر علينا في جانبه ؟ قال :
التنكيل له والتشريد به ، قال : ياهاشم ، على رسلك ، قم إلى الكوة
التي في المجلس ، فخذ ضُبارة الكتب التي فيها ، فإذا بها تشتمل على
نحو من مائة كتاب ، فقال له : اقرأ ، فإذا كُلُّ كتاب مُوجب لقتله ،
مُشيطٌ دمه ، فجعل يقرأ ، ويده تُرعد ، وجبينه يرشح ، ووجهه يُزبد ،
فإذا فرغ من كتاب أمره بأخذ غيره ، حتى أتى عليها . قال : ياهاشم ،
مامعذرتك في هذا ؟ فجعل يتنصّل ويحلف ويقول : حُسادى ، وأهل
الطعن علىّ ، والتنافس بنعمة الأمير ، أبقاه الله عندي ، وحُسن رأيه
في كثير ، والأمير سيّدى ، أعزه الله ، أولى بالتثبت في أمري ، والإبقاء
علىّ ، حتى تنكشف براءتي ، ويتّضح له وجهُ عذري ، وهو على فعل مالم
يَفْعَل أقدر منه على رد ماقد فعل ، قال : ياهاشم ، رُبَّ عجلةٍ أعقبت
ندماً ، وليس من شيمتي الإسراع ، ولو كانت تلك لكنت أول هالك ،
وقد خبرنا هذه المطالبات فرأينا أكثرها إفكاً وزوراً ، ومع هذا فلو
رَدَدْنَا إفك الآفك منهم ، وأظهرنا له الإعراض عن تقبّل منهم ،
انكسروا عن مُناصحتنا ، ونكلوا عن مكاتبتنا ، ولكننا نعي ذلك فهماً ،
ونحيط به علماً ، حتى نأتى عليه بعين جليّة ، وصِدق رويّة ، فإياك
أن يعرف أحدٌ من أصحاب هذه البطائق التي أطلعناك عليها أنك فهمت

شيئاً منها ، فإنه إن عَلِمَ أَحَدُ منهم أَنَّهُ ذاعت (١) من كتابه لَفْظَةٌ عاقبتك بها أَشدَّ العُقوبة ، ولم تَقُمْ عندي لك بعد ذلك قائمة ، فانظر لنفسك أَوْ دَع .

ولمَّا أُصيب هاشم بكَرْكِر ، وصار إلى الأمير خبره ، وقف (٢) الأمير محمد في جانبه ، فذكر أَنَّ ذلك إنما كان لِطَيْشِهِ وعجلته ، وقلة إحكامه لنظره ، وأنه لم يزل محدوداً في أمره ، والوليدُ بنُ عبد الرحمن بن غانم حاضر مع الوزراء ، فلم يكن منهم أَحَدٌ يتكلم غيره (٣) ، على مُباعدة كانت بينهما ، فقال : أَصلح الله الأمير ، لم يكن على هاشم التَّخِيرُ في الأمر ، ولا الخروج عن القدر ، بل استفرغ نُصحَه ، وأَعمل جهده ، وحامى استطاعته (٤) ، فأسلمه الله بخذلان مَنْ كان معه ، ونكول من أطاف به ، فجُوزى عن نفسه وسُلْطانه خيراً .

فأعجب بذلك من مقالته ، وسُرِّي عنه فيه .

ثم رأى الأميرُ محمدٌ صَرَفَ ما كان بيد هاشم من دار الخيل والقيادة إلى الوليد بن عبد الرحمن بن غانم ، فقال : أَصلح الله الأمير ، إنما كان هاشم عبدك ، وسهماً من مراميك ، وسيفاً من سيوفك نَفذ لَأَمْرِكَ ، وتقدم في المحاماة عن سلطانك ، حتى تقطَّع في مرضاتك ، فليُحسِن الأميرُ ، أَبْقاه الله ، خلافته في أولاده ، وليحقق من بَعْضِ بلائه بِإِمضاء

(١) الأصل : « استذاع » .

(٢) الأصل : « وقع » .

(٣) الأصل : « غير » .

(٤) الأصل : « استطاعتك » .

ولده على خدمته ، فقال : يا وليد ، مثلك ذكّر بشريف المنقبة ، وحضّ على سنى المكرمة ، وقديماً ماوقفت فوقفت ، وسدّدت فسدّدت ، وأفضل الأصحاب عندنا الناصح في المشورة ، المذكر عند الغفلة ، الباعث على المصلحة ، وقد استحسناً ما رأيت فمرّ ولده بالتمادي على خدمته ، ولأتخلّهم من تفقدك ، والإشراف عليهم ، بحسن نظرك .

وكان الأمير محمد مشغولاً بالبيان ، مؤثراً لأهل الآداب ، تردد عليه بعض مواليه يسأل استخدامهم ، بلطائف في الرغبة ، وترثق في المسألة ، فأوصى إليه : لم يتقدم لك عندنا خبرة نُقدّمك بها غير ما رأيناه من حسن مخاطبتك فيما ترد علينا من كتبك ، فإن كنت كاتبها فقد أحسنت ، وإن كنت اخترت بفضل همتك ، وجودة اختيارك . من يُحسن ذلك عنك ، فقد أباحت في العناية ، وفُضِّلَت في الهمة ، وأنت بكلتا الحاليتين عندنا متقدّم ، وقد رجونا بنفادك في تهذيب كتبك تهذيبك لخدمتك ، فولّيناك على الرجاء فيك فصدّق الظن بك ، وحافظ على أدنى حظك ، تنل أقصاه ، فقلما أحسن امرؤ في بدء أمره إلا حسنت عاقبته ، وحمّدت مغبته .

وكان أبو اليسر الشاعر ، المعروف بالرياضي (١) ، قد اضطرب بالمشرق فأعيتته وجوه مطالب الرزق ، فقصد الأندلس ، وافتعل كتاباً على لسان ابن الشيخ بالشام ، وألّسنة عامة أهل بلده ، بكل ما أمكنه من الاستدعاء إلى الخلافة ، وذكر تقارب الدولة ، فلما ورد على الأمير محمد ، رحمه الله ، فهم أنّه محتال متعيش شحاذ . فأمر بتوسيع نُزله ، وأمضى ذلك له بطول مكثه ، ثم وصلت له إليه كتب يسأل الإذن له ، بعد طول

(١) التكملة (انظر الفهرست) .

مقامه ، استحسناها الأميرُ واستلطفها ، فأدخل هاشمًا إلى نفسه ، وقال :
ويحك ! هذا إنسان طالب معيشة ، تولدت له بها هذه الحيلة ، فإن صرنا
إلى تصديقه ومُجاوبته ، على حسب كتبه ، اتخذنا عند بني هاشم مَضْحَكَةً
ومَزْرَأَةً ، وإن كذبناه وحرماناه ، وقد احتل جانبنا ، فلَوْمْ مشهور ، وفعل
غير مشكور ، وقد رأينا فيما خاطبنا (١) به عن نفسه تأليفاً حسناً ،
وتجويداً بالغاً ، لو كان قصداً به عن نفسه ، على نأى داره ، وبُعد مزاره ،
لاستحق معروفنا ، واستوجب إحساننا ، ثم أمر له بخمسمائة دينار
وازنة (٢) ، وبكتاب ليس فيه غير : بسم الله الرحمن الرحيم .

فأخبرنا محمد بن وليد الفقيه ، قال : خرج من قُرطبة ، وخرجنا معه
نريد المشرق ، فجمعنا الطريق ، فإذا أحسنُ الناس أدباً ، وأكثرهم تصرفاً ،
فلما صرنا بالعدوة أخبرنا خبره وأمره ، ثم فض الكتاب بين أيدينا ،
فإذا ليس فيه غير : بسم الله الرحمن الرحيم ، فجعل يُكثر التعجب من
ذكاء الأمير محمد ، ويقول : هكذا أعرف بني أمية ، لم يكن لِيَلَامَ ولم
يكن لِيُخدع .

فلما صار الرياضى ، إلى مصر وَقَعَ صاحبُها على خبره ، فأمر بِحَبْسِهِ .
قال محمد بن وليد : فاتَّصل بنا خبره ، ووجب علينا فى رعاية الصُّحبة
زيارته وتأنيسه ، فلما انصرفت ، وثلاثة معى من أهل الأندلس ، من
صلاة الظهر يوم الجمعة ذهبنا إلى صلتته وقَعْدِهِ بمكانه ، فسألنا عن
الحبس فهدينا إليه ، فلما وقفنا بالباب كَشَفْنَا عنه ، فوصف لنا

(١) الأصل : « خاطبناه » .

(٢) وازنة . رافية . .

موضعه ، فدخلنا إليه ندعو له ، فقال لنا : هل حبستم معي ؟ قلنا له : ولم ذلك ؟ قال : مَنْ دخل الحبس لم يَخْرُج عنه إلا برأى السلطان ، فَظَنَّا مازحاً ، ثم أَقْلَقْنَا ذلك ، وَذَهَبْنَا لنخرج ، فدفع البوابون في صُذُورنا ، فإذا نحن أعظمُ الناس داهيةً وأجلَّهم بليَّةً ، لا يعرفنا أحد ولا نعرف أحداً ، فلبثنا بذلك من حالنا ، حتى رفعنا أمرنا إلى المُزني الفقيه ، وذكرنا له مذهبنا في الخير ، وقصدنا إليه في طلب العلم ، فتردد على صاحب مصر في أمرنا ، حتى يَسِّرَ الله إطلاقنا .

وكتب إلى الأمير محمد الوليد بن عبد الرحمن بن غانم : عَظُمَت نِعْمَةُ الأمير ، أَبْقَاهُ الله ، عن الشكر ، وَجَلَّتْ أَيْادِيهِ عن النشر ، فمَتَى رمت شكر أَدْنَى مَا غَمَرَنِي ، وَحَمْدَ أَيْسَرِ مَا اشْتَمَل على تَكَاءِ دَنِي (١) الشكر ، وَعَجَزَ بِي الجهد ، ولست بمؤمل مع ذلك عن الاستفراغ في القول ، والاجتهاد في العمل ، إذ لم أرهما يَدُورَانِ إِلَّا على نعمة أزلفت ، ويقتصران إِلَّا على زيادة انتظرت ، وَأَنَا بينهما مُخِيمٌ ، وعليهما معوّلٌ ، والله الناقل لعباده بطاعتهم له ، وشكرهم إياه ، من دار الشقوة إلى دار السعادة ، ومن نصب العاجلة إلى راحة الآجلة .

فكتب إليه : إِنْ الله شَاكِرٌ يُحِبُّ الشَّاكِرِينَ ، وقد ناديت فَأَسْمَعْتَ ، ولكل أَجَلٍ كتاب .

ثم استوزره إلى أيام .

وَوَلَّى الْمُلْكُ يَوْمَ الْخَمِيسِ لثَلَاثَ خَلَوْنَ مِنْ شَهْرِ رَبِيعِ الْآخِرِ ، سنة ثمان وثلاثين ومائتين ، فملك أربعاً وثلاثين سنة ، وتوفي في يوم الجمعة

(١) تكاءده الأمر : شق عليه . وفي الأصل : « تكأد » .

لمستهل ربيع الأول من سنة ثلاث وسبعين ومائتين ، وهو ابن سبع وستين سنة (١) .

(ولاية المنذر بن محمد)

وكان الأمير المنذر بن محمد غائباً يوماً بكورة رية ، في الغزاة التي كان أغزاه إياها الأمير محمد ، فوقع عليه الخبر ب وفاة أبيه ، فأغدَّ السير ، وطوى المراحل ، حتى دخل قرطبة يوم الأحد ثلاث خلون من شهر ربيع الأول ، فأدرك جنازة أبيه ، وصلى مع الوزراء يومئذ عليه ، وهاشم يُعول إعوالم من غلبه الجزع ، واشتد عليه التفجع . فقال متمثلاً بقول أبي نواس (٢) :

أَعَزَّى يامحمدُ عنك نفسي معاذ الله والأيدى (٣) الجسام
فهلا مات قوم لم يموتوا ودُفع عنك كاس (٤) الحمام
فاضطغن ذلك منذرٌ عليه ، وظن أنه يعنيه ، فصار من حبسه وقتله ، إلى ما يطول ذكره . مما وقع في غير هذا الموضع .

ثم لم يلبث المنذر بن محمد إلا سنتين ، لم يدرك فيهما ، لقصر مدته ، وتقلص أيامه ، رتق ما كان انفتق من الملك ، مع عزم كان منه في ذلك وجد ، حتى نزل به الموت ، وهو على بُبْشتر محاصراً لها ، يوم السبت لثلاث عشرة ليلة بقيت من صفر سنة خمس وسبعين ومائتين ، وهو ابن ست وأربعين سنة .

(١) البيان المغرب (٢ : ٩٦) .

(٢) هذا الشعر قاله أبو نواس في وفاة الخليفة العباسي محمد الأمين .

(٣) ديوان أبي نواس (ص : ٥٧٨) : « والمنن » .

(٤) الديوان : « أجل » .

(ولاية عبد الله بن محمد)

ثم ولى الأمير عبد الله يوم السبت ، يوم مهلك أخيه ، وكان قد سئم الناس من طول المُقام ، فما هو إلا أن علموا بوفاة المُنذر ، فخرجت (١) حُشود الكُور ، ووُفود القبائل ، وانصدعوا في كل وجهة كانوا بها ، فأمر بضبطهم ، فلم يُلفِ أحداً (٢) يَضْبِط ، فانتقل خائفاً على نفسه من عدوه ، وقدم أخاه المُنذر بين يديه ، وكان أُشير عليه بدفنه فأنف من ذلك ، حتى قَدِم به قُرطبة فدفنه مع آبائه في القصر .

ثم إن الأمور تفاقمت في ولايته ، وتفاوتت بعد قُرب تداركها ، فتفرقت أجناده ، وعجز عن نصره قُواده ، والتزم التقوى ، وإظهار النسك وتوفير ما في يده من أموال المسلمين ، حياطةً عليها ، ونظراً لهم فيها ، وهُلك الجبايات ، باشتداد شوكة النوار عليه بكل ناحية ، فوفر (٣) أعطيات الأجناد ، وضيق على من بقى معه منهم ، واستولى الفساد في كل وجه ، وآل أمر ابن حفصون إلى ما آل إليه ، مما قد شُهر ودُوّن ، حتى ضُبط عليه حصن بلّاي ، وهو على مرحلة من قُرطبة ، وانبسطت خيل ابن حفصون فيما حواليه ، فكانت تُصاحبه كل يوم غادية ورائحة ، على أعلام شقنّدة ، وفجّ المائدة ، ولا يدفعها دافع .

وباخ الأمر أن تقدّم فارس من شُجعان أصحابه ، وقد ضرب ابن حفصون وخيله ، على الفج المٌطل على قُرطبة ، فاقتحم القنطرة ، ودفع رمحه فأصاب الصورة التي على باب القنطرة ، ثم كرّ راجعاً إلى أصحابه .

(١) الأصل : وخرقت » . ولعلها محرفة عما أثبتنا .

(٢) الأصل : « أحد » .

(٣) كذا . والمسموح « أوفر » ، أى زاد وأضعف .

وتمادى هذا البلاء خمسة وعشرين سنة ، وكانت الأمور قد التأمّت
بعض الالتئام فى آخر أيامه ، بقائده أبى العباس أحمد بن محمد بن أبى
عبدة ، فله على ابن حفصون وغيره من الثّوار ، وقائع مشهورة ، انتصف
فيها وأربى عليهم ، وأخرج ابن حفصون من حصن بلّاي ، وجبى بعض
نواحى الشرق ، وصالح قوماً آخرين على بعثة أموال ضربت عليهم ،
مع إقرارهم فى مواضعهم .

ولعبد الله الأمير توقيعات بليغة ، وأشعار بديعة فى الغزل والزهد ،
لايكاد أن يقع مثلها ، أو ينتسب إلى من تقدمه ، نظيرها .

كتب إلى أحمد بن محمد القائد فى يوم عيد : أما بعد ، فالتزم
التوكل على الله ، تبارك وتعالى ، والثقة به فى جميع أمورك ، وما أنت
بسبيله من ثغرك ، فإنهما حرّز من كل ضر يُتقى ، وبلاغ لكل خير
يُرتجى ، وكن من التحفظ فى أيام عيدك على أحسن الذى يجب عليك
الآخذ به والتحفظ فيه ، والله خير حافظاً ، وهو أرحم الراحمين .

وأملى كتاباً إلى بعض عُماله : أما بعد ، فلو كان نظرك فيما عَصَبناه
بك ، واهتبالك (١) على حسب مؤثرتك بكتبتك ، واشتغالك بذلك
على مهم أمرك ، لكنت من أحسن رجالنا غناءً ، وأبلغهم نظراً ، وأفضلهم
حزماً ، فأقلل من الكتاب فيما لاوجه له ولانفع فيه ، واصرف همتك
وفكرتك وعنايتك إلى مايلدو به اكتفاؤك ، ويظهر فيه عناؤك ، إن شاء
الله ، والسلام .

(١) اهتالك : اغتنامك .

وله في الغزل :

وَيْلِي عَلَى شَادِنٍ كَحِيلٍ فِي مِثْلِهِ يُخْلَعُ الْعِذَارُ
كَأَنَّمَا وَجَّهَتْهُ وَرْدُ خَالِطِهِ النَّوْرُ وَالْبَهَارُ
قَضِيبُ بَانٍ إِذَا تَنَّى يُدِيرُ طَرْفًا بِهِ اخْوِرَارُ
فَصَفُّوْهُ وَدَّى عَلَيْهِ وَقَفُ مَا طَرَدَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ

وله في الزهد :

يَا مَنْ يُرَاوِضُهُ الْأَجَلُ حَتَّامٌ يُلْهِيكُ الْأَمَلَ
حَتَّامٌ لَا تَخْشَى الرَّدَى وَكَأَنَّهُ بِكَ قَدْ نَزَلَ
أَغْفَلْتَ عَنْ طَلَبِ النَّجَاةِ وَلَا نَجَاةَ لِمَنْ غَفَلَ
هَيْهَاتَ تَشْغَلُكَ الْمُنَى وَلَمَّا يَدُومُ بِكَ الشُّغْلُ
فَكَأَنَّ يَوْمَكَ لَمْ يَكُنْ وَكَأَنَّ نَعْيِكَ لَمْ يَزَلْ

(ولاية عبد الرحمن بن محمد)

وأما عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الأمير ، فإنه ولي الخلافة والفتنة قد طبقت آفاق الأندلس ، والخلاف فاش في كل ناحية منها ، فاستقبل المملك بسعد ، لم يُقابل به أحداً ممن خالفه أو خرج عليه إلا غلبه واستولى على ما في يديه .

فافتتح الأندلس مدينةً ، وقتل حُماتها ، واستذل رجالها ، وهدم معاقلها ، وضرب المغارم الثقيلة على من استبقى من أهلها ، وأذلهم بعسف العمال غاية الإذلال ، حتى دانت له البلاد ، وانقاد له أهل العناد ، فمات ابن حفصون في حصاره ، وقتل سليمان ابنه محارباً ، واستنزل سائر بنيهِ وأهله وأمنهم ، وصاروا في جنده ، ومالك بيشتَر وبناها وحصنها وهدم كل حصن غيرها .

وذكر أنه إنما استبقاها عُدَّةً لنفسه ولولده ليلجؤوا إليها ، لما كانوا يحدثون في الآثار من أن فِتْنًا تهيج في الأندلس بخوارج يخرجون على أهلها ، يُخربون البلاد ، ويقتلون الرجال ، ويسبون النساء والولدان ، حتى يعم الفساد جميع أقطارها ، فلا يبقى فيها إلا من اعتصم بالمعاقل ، أو لجأ إلى البحور ، وهو عندهم الفساد المتصل بالبلاء الأعظم الذي لاصلاح بعده ، ولابقاء معه .

والله أعلم وهو المستعان .

واتصل ملك عبد الرحمن خمسين سنة ، في عز منيع ، وسلطان قاهر ، وافتتاح للبلدان شرقاً وغرباً ، مع غزو العدو والغلبة عليه (١) ، وانتساف بلده وهدم حصونه ، والاستبلاغ (٢) فيه ، لا يلقى ذلاً ، ولا يرى في شيء من أموره نقصاً .

وتناهى ذلك السعد حتى فتح الله له ما وراء البحر من المدين الجلييلة ، والمعقل المنيع ، كسبته ، وطنجة ، وغيرهما (٣) ، ودان له أهلها ، فاستعمل عليها القواد ، وحصنها بالرجال ، وأمدهم بالجيش الكثيفة في الأساطيل حتى وطئت بلاد البربر ، واستذلت ملوكها ، فصاروا بين منقبع (٤) محصور ، ومُدْعَن مُنِيب ، وشارد هارب ، ومالت إليه الأهواء ، وسمت نحوه الهمم ، فضأفره على حربه ، وتجرّد في نصره ، من كان مُسْتَنْفِراً (٥) في قتاله من شيعه أعدائه ، فنكص عن (٦) موالاته ، واستهلك في مراضاته .

-
- (١) الأصل : « له » . (٢) كذا . ولعلها : الاستيلاغ ، بمثابة تحية . والاستيلاغ : علم المبالاة . (٣) الأصل : « وغيرها » .
(٤) الأصل : « متقبع » بمثابة فوقية ، وهي غير واردة .
(٥) الأصل : « مستبصراً » . ويبدو أنها محرفة عما أثبتنا .
(٦) الأصل : « على » .

واستحكم من أمره ما لو اتصل عَزْمُهُ فيه ، وتأييد الله عليه ، لغلب على المشرق فضلاً عن المغرب ، ولكنه - عفا الله عنه - مال إلى اللهو ، واستولى عليه العُجْبُ ، فوَلَّى للهوى لا للعناء (١) ، واستمد بغير الكُفَاة ، وأغاظ الأحرار في إقامة الأندال ، كنجدة الحيرى ، وأصحابه الأوغاد ، فقلَّده عسكره ، وفَوَّضَ إليه جليلَ أموره ، وألجأ أكابر الأجناد ، ووُجُوه القواد والوزراء ، من العرب وغيرهم ، إلى الخُضُوع له ، والوقوف عند أمره ونَهيه .

وحالُ نَجْدَةٍ حالٌ مثله في غيه واستخفافه ، وركاكة عقله ، فتواطأ أهلُ الحفاظ من رجاله ، ووجوه أجناده ، على ما كان من انهزامهم في الغزوة التي غزاها عام ستة وعشرين وثلثمائة ، وسماها غزاة القُدرة ، لاحتفاله فيها ، وعظيم مشهدها ، فهُزِمَ فيها أقبح هزيمة ، وأتبعهم العدوُ أياماً ، يأسرونهم ويقتلونهم في كل محلَّة ، فلم يكَدَ ينجو منهم إلا قوم جمَعوا أصحابهم على أَلْوِيَتِهِمْ ، وتخلَّصوا إلى بلدانهم .

فلم تكن له بعدها غزوةٌ بنفسه ، وخلا بلدَّاته ومبانيه ، فبلغ في ذلك مبلغاً لم يبلغه أحد ممن تقدَّمه أو تأخر بعده ، وأخباره في ذلك أشهر من أن تُوصف .

واجتمع في دولته عِلْيَةُ الرِّجال ، وسرَّوات الكتَّاب ، خَدَمَةٌ لم يخدم الملوك مثلهم ، في فضل آدابهم ، واتساع أفهامهم ، مع المروءة الطاهرة ، والسَّيرة الجميلة ، كموسى بن حُدَيْر الحاجب ، وعبد الحميد بن بسيل ،

(١) الأصل : « لا للعناء » ، بالغين المعجمة .

وعبد الملك بن جَهْور ، وإسماعيل بن بدر ، وابن أبي عيسى القاضي ،
ومُنذر بن سعيد ، كان واحد عصره في العلم والأدب وحُسن الخطاب .

وكان عيسى بن فطيس ، كاتبه ، أبلغ الناس إذا كُتب .

إلى كثير منهم لا يتسع التأليف لذكرهم ، ووصف محاسنهم ،
عفا الله عنا وعنهم ، ورحمنا وإياهم .

فمن كُتب عبد الرحمن أمير المؤمنين الناصر كتابه إلى أحمد بن
إسحاق القرشي ، إذ سخط عليه ، وهو يحارب محمد بن هاشم التُّجيبِيَّ
بسرْقُسطه ، وهو من كُتبه التي انفرد بها :

أما بعد فإننا كنا نرى الاستحمام (١) إليك استصلاحاً لك ، فأبى
الطَّبَعُ الغريزي إلا ما استحکم منه فيك (٢) إلا أن استحوذ عليك
فالفقر يُصلحك ، والغنى (٣) يُطغيك ، إذ لم تكن عرفته ولا نعوذته ،
أو ليس كان أبوك فارساً من فرسان ابن حجاج ، أحسَّهم حالاً عنده ،
وأنت يومئذ نخاس الحمير بإشبيلية ، فأقبلتم إلينا ، فأويناكم
ونصرناكم ، وشرفناك ومولناك ، واستوزرنا أباك ، وقلدناك أعنة الخيل
أجمع ، وفوضنا إليك أمر نغرنا الأعظم ، فتهاونت بالتنفيذ لنا وقلة
المبالاة بنا ، ثم مع هذا : الترشُّحُ للخلافة ، فبأي حَسَبٍ أو أى نسب !
وفيكُم قال القائل :

(١) استحمد إلى الناس بإحسانه إليهم : استوجب عليهم حمدهم له .

(٢) بياض بالأصل . (٣) الأصل : « والغناء » .

أَنْتُمْ خُثَارِ الْخُثَارِ وَلَيْسَ خَزْرُ كَخَيْشِ (١)
 إِنْ كُنْتُمْ مِنْ قُرَيْشٍ تَزَوَّجُوا - فِي قُرَيْشٍ
 أَوْ كُنْتُمْ قَبِطًا مِصْرِي فَذَا التَّعَاطِي لَأَيْشِ (٢)

أَلَيْسَتْ كَانَتْ أُمُّكَ حَمْدُونَةُ السَّاحِرَةِ ، وَأَبُوكَ الْمَجْذُومُ ، وَجَدَّكَ
 بَوَّابُ حَوْثَرَةَ بْنِ عَبَّاسٍ ، يَفْتُلُ الْحَبَالَ فِي أُسْطَوَانَةٍ ، وَيَخِيطُ الْحَلْفَاءَ
 عَلَى بَابِ دَارِهِ ، فَلَعْنُكَ اللَّهُ وَلَعْنُ مَنْ أَنْشَبَنَا فِي الْإِسْتِخْدَامِ بِكَ ، فَيَا مَجْذُومَ
 وَيَا مَجْذُومَ ، وَيَا بَنِي الْكَلْبِ وَالْكَلْبَةِ ، أَقْبِلْ صَاغِرًا .

وَمَا خَاطَبَ بِهِ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ جَهْوَرٍ عَبْدَ الرَّحْمَنِ النَّاصِرَ لِدِينِ اللَّهِ
 مِنْ اسْتِجَاعَةٍ ، وَهُوَ حِينَئِذٍ وَلَدٌ ، وَجَعَلَ عُنْوَانُ كِتَابِهِ : لِأَبِي الْمَطْرَفِ
 سَيْدِي ، مِنْ عَبْدِهِ الْمُتَعَبِدِ .

وتحت العنوان :

دَامَتْ لَكَ النُّعْمَى وَإِنْ	رَغِمَتْ أَنْوْفُ الْحُسُودِ
وَوَقَّتْكَ نَفْسِي كُلَّ مَحْ	لُورٍ يَرُوحُ وَيَعْتَدِي
وَعَلَوْتَ حَتَّى لَا يُقَا	لُ لِقَدْرِكَ الْعَالَى أَزْدَدِ
إِنِّي كَتَبْتُ وَحَرُّ شَوْ	قِي يَسْتَمِيعُ تَجَلُّدِي
وَدُمُوعُ عَيْنِي تَنْهَمِي (٣)	فَتُحِيلُ مَا كَتَبْتُ يَدِي
لِتَغْرِبِي وَتَوْحُّشِي	وَتَفَرُّدِي وَتَوْحُّدِي
مَنْ ذَاقَ طَعْمَ الْبَيْنِ ذَا	قَ الْمَوْتِ غَيْرَ مُصْرَدٍ
وَرَأَى الْمَنِيَّةَ جَهْرَةً	فِي مَصْدَرٍ أَوْ مَوْرَدٍ
إِنْ أَذْكَرُ (٤) الْأُنْسَ الَّذِي	وَلَّى وَطِيبَ الْمَشْهَدِ

(١) الخثار : الفضلة والبقية .

(٣) المسموع : هما همي .

(٢) التعاطي : التناول .

(٤) الأصل : « انذكر » .

وَكَرِيمَ بَشْرِكَ لِي وَوَجَدَ هَكَذَا حِينَ يُشْرِقُ فِي النَّدَى
فَأَعْنِي مِنَ الْحَسَرَاتِ أَلْهَوَانًا تُطِيلُ تَبْلُدِي
فَاسْلَمْ وَعِشْ وَابْلُغْ مَدَاكَ وَدَعْ حَسُودَكَ يَكْمُدِ
وَارْحَمَهُ أَنْ نَلْتَ الْعُلَا وَجَرَى بِجَدِّ أَنْكَدِ
ثُمَّ السَّلَامَ عَلَيْكَ مِنْ نِي دَائِمًا يَا سَيِّدِي

ومن جيد قول عبد الملك بن جهور في النرجس :

قَدْ بَعَثْنَا إِلَيْكَ بِالنَّارِجِسِ الْغَضَّ حَكِي لَوْ أَنَّ عَاشِقِي مَعْمُودِ
فِيهِ رِيحُ الْحَبِيبِ عِنْدَ التَّلَاقِ وَاصْفَرَّارِ الْمُحِبِّ عِنْدَ الصُّدُودِ

وله في زوجته ، وكان كارهاً لأخلاقها ، وله معها أخبار عجيبة ،

ثم صار إلى مُفَارَقَتِهَا :

مَنْ ذَا يَفْكَ إِسَارِيَّةَ وَيَحُلُّ عَقْدَ عِقَالِيَّةَ
مَنْ ذَا يُخَلِّصُ مِنْ هَوَى مَنْ حِينُهُ فِي الْهََاوِيَّةِ
إِنِّي بُلِيتُ بِشَرٍّ مَنْ تَحْتَ السَّمَاءِ الْعَالِيَّةِ
إِنِّي دُهَيْتُ بِحَيَّةِ قَطَعْتَ حَرَكَ لِسَانِيَّةِ
لَوْ كُنْتُ تُبْصِرُهَا سَاءَ مَا أَبْصَرْتُهَا مُقَلَّتِي
تَمْضِي السَّنُونَ وَتَنْقُضِي وَحَيَاتُهَا مُتَمَادِيَّةِ
وَلَهَا أَهْيَلٌ مُنْتَنِ عُورِ الْوُجُوهِ سَوَاسِيَّةِ
لَوْلَا الْحَيَاءُ بَصَقْتُ فِي تِلْكَ الْوُجُوهِ الْبَالِيَّةِ
يَا أَيُّومَ مَعْرِفَتِي بِهِمْ يَا زَانِي ابْنَ الزَّانِيَّةِ

أَنْشَبْتَنِي وَغَرَّرْتَنِي وَقَعَدْتَ عَنِّي نَاحِيَهُ
مَا كَانَ هَذَا مِنْكَ فِي الْوَدِّ الْقَدِيمِ جَزَائِيَهُ
ومما خاطب به إسماعيلُ بنُ بدر الكاتب عبدَ الرحمن بن محمد
الناصر :

عَدِمْتُ الْبَيْنَ أَرْقَ طَرْفَ عَيْنِي وَفَرَّقَ بَيْنَ مَنْ أَهْوَى وَبَيْنِي
لَقَدْ نَامَ الْقَعِيدُ قَرِيرَ عَيْنٍ بَعْنِ يَهْوَى وَبِتُ سَخِينِ عَيْنٍ
إِذَا وَجَّهَ الصَّبَاحُ بَدَا تَهَادَتْ رَكَائِبُنَا لِأَيِّنٍ بَعْدَ أَيِّنٍ
فَقَلْبِي نَازِحٌ عَنِّي غَرِيبٌ وَجِسْمِي دُونَهُ فِي غُرْبَتَيْنِ
أَجُوبُ الْقَفْرَ بَعْدَ الْقَفْرِ أَبْغِي لِذَاكَ رِضًا إِمَامَ الْمَغْرِبَيْنِ
وَمَنْ لَا يَبْتَغِي دَعَةً إِلَى أَنْ يَكُونَ خَلِيفَةً بِالْمَشْرِقَيْنِ
لَقَدْ حَلَّتْ حُمَيَّا الرَّاحِ عِنْدِي وَطَابَتْ بَعْدَ فَتَحِكَ مَعْقِلَيْنِ
وَأَذِنَ كُلُّهُمْ بَانْفِرَاجٍ وَأَنْ يَقْضَى غَرِيمُكَ كُلَّ دَيْنٍ
وَهَذَا الْبَحْرُ يَذْكُرُ مِنْكَ عَهْدًا سَقَى مَغْنَاهُ نَوْءَ الْمَرْزَمَيْنِ (١)
تَحَنَّنْ إِلَيْكَ مِنْهُ طَامِيَاتٌ مِنْ الْأَمْوَاجِ مِلءُ الْخَافِقَيْنِ
لَئِنْ جَاشَتْ غَوَارِبُهَا بِمَاءٍ أَجَاكَ لَا يَسُوغُ لَوَارِدَيْنِ
فَأَنْتَ الْبَحْرُ عَذْبًا مُسْتَهْلًا عَلَيْنَا بِالنُّضَارِ وَبِاللُّجَيْنِ
فَعُشْ فِي غِبْطَةِ وَسْوَورِ مُلْكٍ تَدُومُ لَهُ دَوَامَ الْفَرْقَدَيْنِ

أما قوله :

لَقَدْ حَلَّتْ حُمَيَّا الرَّاحِ عِنْدِي وَأَذِنَ كُلُّهُمْ بَانْفِرَاجٍ
فإن أمير المؤمنين عبد الرحمن لما غزا غزاته الثانية آلى أليانُس

(١) المرزمان : نجمان ، وهما الشعريان : العبور والغميصاء .

بمنادمة حتى يَفْتَحَ مَعْقِلًا ، فافتتح مَعْقِلين من معاقل ابن خَفْصُون ،
فكُتِبَ إليه بهذا الشعر .

وكان عبد الرحمن أمير المؤمنين قد كُتِبَ سِحَاءة (١) مُقَرَّطَةً ، من
قطعة زجاج من الزجاج الذى يفزوا به (٢) لرأس إسماعيل ، فكتب
إليه :

قد كُنْتَ أَوْجِبْتَ فِي الزُّجَاجِ	لِلرَّأْسِ مَنَى بِلَا اخْتِلَاجِ
كَبِيرَةٍ أَتَرَعَتْ رَحِيقًا	صِرْفًا أَبَتْ ذِلَّةَ الْمِرْجَاجِ
فَلَمْ أَزَلْ بَعْدُ ذَا رَجَاءِ	لَهَا فَهَلْ تَأْذِنُ (٣) لِرَاجِي
يَا مَالِكًا رَأَيْتُهُ ضِيَاءَ	فِي كُلِّ خَطْبٍ أَلَمَّ دَاجِي
كَأَنَّمَا الْفَجْرُ مِنْ سَنَاهِ	فِي غَسَقِ اللَّيْلِ ذُو ابْتِلَاجِ
بَحْرٍ مِنَ الْجُودِ فَاضَ عَذْبًا	طَمَّ عَلَى الْأَبْحُرِ الْأَجَاجِ
مَنْ لِي بِيَوْمٍ بِهِ قِرَاعُ	لَيْسَ أَخُو كَرْبِهِ بِنَاجِي
بِكُلِّ بَيْضَاءٍ مَنْ رَأَاهَا	يَحْسِبُهَا شُعْلَةَ السَّرَاجِ
لَا تَنْسَ مَوْلَاهُ فِي وَغَاهُ	وَادْكُرْهُ فِي حَوْمَةِ الْهِجَاجِ

فكتب إليه أمير المؤمنين :

كَيْفَ وَإِنِّي لَمِنْ يُنَاجِي	مِنْ لَوْعَةِ الشَّوْقِ مَا أُنَاجِي
يَطْمَعُ أَنْ يَسْتَرِيحَ وَقْتًا	أَوْ يَقْتُلَ الرَّاحَ بِالْمِرْجَاجِ
كُنْتُ كَمَا قَدْ عَلِمْتَ أَلَّهُو	إِذَا أَنَا مِمَّا شَكَّوتُ نَاجِي

(١) السحاة : القشرة من كل شيء .

(٢) كذا . (٣) الأصل : « تأوين » .

فَصِرْتُ لِلْبَيْنِ فِي عِلَاجٍ طَمَّ وَأَرْبَى عَلَى الْعِلَاجِ
الْوَرْدُ مِمَّا يَزِيدُ حُزْنِي وَيَبْعَثُ السُّوسَنُ اهْتِاجِي
أَرَى لِيَالِيَّ بَعْدَ حُسْنٍ أَقْبَحَ مِنْ أَوْجُهٍ سِمَاجِ
لَا تَرْجُ مِمَّا أَرَدْتَ شَيْئًا أَوْ يُؤْذِنُ اللَّهُمَّ بَانْفِرَاجِ

وله في عبد الرحمن أمير المؤمنين ، رحمه الله تعالى :

لَطُفْتُ أَنْامِلُهُ بِعَقْرَبِ صُدْغِهِ عَمَدًا لِيَلْدَغَ فِي فُؤَادِ الْعَاشِقِ
وَكَانَ شَارِبَهُ هَلَالُ طَالِعٍ قَدْ خَطَّهَ بِالْمِسْكِ أَحْذَقُ حَازِقِ
وَكَانَمَا بِجَبِينِهِ شَمْسُ الضُّحَى قَدْ قُنَعَتْ بِظِلَامٍ لَيْلٍ غَاسِقِ
وَكَانَ وَجْنَتُهُ أَزَاهِرُ رَوْضَةٍ يَبْأَى (١) بِهَا السُّوسَانُ فَوْقَ شَقَائِقِ
فَإِذَا تَلَفْتُ قُلْتَ صَوْرَةَ دُمِيَّةٍ وَإِذَا تَبَسَّمْتُ قُلْتَ خَطْفَةَ بَارِقِ
يَا غَايَةَ الْحُسْنِ الَّذِي هُوَ غَايَتِي كَيْفَ احْتِمَالِي فِي فُؤَادِ خَافِقِ
حَكَمَ الْإِلَهُ بِمَا تَرَاهُ فَمَا أَرَى مِنْ حِيلَةٍ فِي دَفْعِ حُكْمِ الْخَالِقِ
قُلْ لِلْخَلِيفَةِ مِنْ أُمِيَّةٍ وَالَّذِي مَادُونُ فَيْضِ نَوَالِهِ مِنْ عَائِقِ
أَنْسَيْتَ مِنْ مَنْصُورِهَا وَرَشِيدِهَا وَفَضَحْتَ مِنْ مَهْدِيَّهَا وَالْوَائِقِ
وَحَكَيْتَ عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ وَهْدِيَهُ سِيَمَا الْخَلِيفَةِ وَالْإِمَامِ الْبَاسِقِ
أَصَوْغُ (٢) بَعْدَ مَوَاتِقٍ لَكَ جَمَّةٍ فِيمَا مَضَى أَكَّدَتْهَا بِمَوَاتِقِ

(١) يَبْأَى : يفخر . والسوسان ، أى : السوسن . والشقائق : شقائق النعمان ، وهى نبات أحمر الزهر فيه نقط سود .
(٢) الأصيل : « أأصبع » .

تم ما جمع في هذا التأليف من أخبار فتح الأندلس وأمرائها .
والحمد لله حق حمده ، والصلاة على سيدنا محمد نبيه وعبدہ .

فهارس الكتاب

وتنظم :

- ١ — فهرست الأعلام .
- ٢ — فهرست القبائل .
- ٣ — فهرست الأماكن .
- ٤ — فهرست الأيام .
- ٥ — فهرست الشعراء .
- ٦ — فهرست القوافي .
- ٧ — فهرست المراجع .

فهرست الأعلام

- آدم عليه السلام : ٢٦ .
أبان بن معاوية : ٤٩ .
ابراهيم بن شجرة الأودى : ٨١ .
ابراهيم بن شجرة البرنسى المروانى : ١٠١ .
إبليس : ٣٣ .
ابن أبى عيسى : ١٣٨ .
ابن أبى غريب : ٩٩ .
ابن أبى هند : ١٠٩ .
ابن الأشعث : ١٣ .
ابن الأعرابى : ١٠٨ .
ابن بخت = يوسف بن بخت .
ابن بلسكرط : ١٠٤ .
ابن حبيب (يهودى) : ٥٦ .
ابن حبيب الحمى : ٢٨ ، ٦٦ .
ابن حجاج : ١٣٨ .
ابن حريث = يحيى بن حريث الجذامى .
ابن الحسن : ٤٨ .
ابن حفصون : ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٤٢ .
ابن الدجن = الحصين بن الدجن العقيلى .
ابن ديوان الحيشانى : ٩٩ .
ابن الزبير = عبد الله بن الزبير .
ابن الشمر : ١٢٣ ، ١٢٤ .
ابن شهاب = سليمان بن شهاب .

- ابن الشيخ : ١٢٩ .
ابن عروة الفهرى = هشام بن عروة الفهرى .
ابن علقمة = عبد الرحمن بن علقمة النخعى .
ابن قرّة المغيلى : ٧١ .
ابن قطن = عبد الملك بن قطن .
ابن أبيد = جابر بن لبيد .
ابن مسلم = عاصم بن مسلم الثقفى .
ابن معاوية = عبد الرحمن بن معاوية .
ابن نعيم : ٨٢ .
ابن هدين : ٤٣ .
ابن يزيد بن يحيى التجيبى : ٩٩ .
أبة بن غيطشة : ١٥ ، ١٨ .
أبو الأسود = محمد بن يوسف أبو الأسود .
أبو أيوب = سليمان بن عبد الرحمن بن معاوية أبو أيوب .
أبو البصرى : ٩٠ .
أبو بكر الصديق : ١٤ ، ٣٣ .
أبو بكر بن طفيل العبدى : ٧٢ ، ٧٧ .
أبو بكر بن هلال العبدى : ٧٧ .
أبو جعفر المنصور عبد الله بن محمد : ٥٠ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٩٣ ، ١٠٢ ،
١٠٩ ، ١٣١ ، ١٤٣ .
أبو جوشن : ٦١ ، ٦٨ ، ٧٠ .
أبو الحجاج = يوسف بن بخت أبو الحجاج .
أبو الخطار = الحسام بن ضرار الكلبى أبو الخطار .
أبو زرعة = طريف أبو زرعة .
أبو زعل = سالم أبو زعل .
أبو زيد عبد الرحمن بن يوسف = عبد الرحمن بن يوسف أبو زيد .
أبو سعيد مسلمة : ٥٤ .

- أبو الشجاع : ٥٧ .
أبو الصباح يحيى اليحصبي : ٧٨ ، ٨٢ ، ٩٦ .
أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي عبدة : ١٣٤ .
أبو العباس السفاح = السفاح أبو العباس .
أبو عبدة حسان : ٦٤ .
أبو عثمان عبيد الله بن عثمان = عبيد الله بن عثمان أبو عثمان .
أبو عدى بن عمير : ٦٣ .
أبو عطاء بن حمد المرى = قاسم بن حمد أبو عطاء المرى .
أبو غالب = تمام بن علقمة .
أبو الفتح الصدفورى : ٧٨ ، ٧٩ .
أبو المطرف = عبد الرحمن بن محمد الناصر .
أبو معن داود بن هلال : ١٠١ ، ١٠٣ .
أبو المغيرة : ٥٤ .
أبو اليسر الرياضى : ١٢٩ ، ١٣٠ .
أحمد بن إسحاق القرشى : ١٣٨ .
أحمد بن محمد بن أبي عبدة = أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي عبدة .
الإسكندراني : ٧٩ .
إسماعيل بن بدر : ١٣٨ .
إسماعيل بن عبد الله : ٢٩ ، ٣٠ .
الإصبيغ بن محمد بن سعيد : ٥٠ .
أم الأصبيغ بنت عبد الرحمن بن معاوية : ٥١ ، ٥٤ ، ٥٦ ، ٥٧ .
أم عاصم : ٢٧ .
أم عثمان : ٧٤ .
أم موسى : ٧٠ .
أمة الرحمن بنت عبد الرحمن بن معاوية : ٥١ ، ٥٤ .
الأمين = محمد الأمين .
أمية بن عبد الملك : ٤٥ ، ٤٦ .

- أمية بن قطن الفهري : ٩٣ ، ٩٤ .
أيوب بن حبيب : ٢٨ .
بدر : ٥٥ ، ٥٧ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٧١ ، ٩٠ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٥ ،
٩٨ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠١ .
بزيع : ٩٩ .
بشر بن صفوان الكلبي : ٣١ ، ٣٢ ، ٣٥ ، ٤١ .
بلاى : ٣٤ ، ٦١ .
بلج بن بشر القشيرى : ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٢ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ ،
٤٧ ، ٤٨ ، ٦٤ .
بلوثة الحمى : ٨١ .
تدمير : ٢٢ .
تمام بن علقمة : ٧٢ ، ٧٧ ، ٩٥ ، ٩٧ ، ١٠١ .
ثعلبة بن سلامة العاملى : ٣٦ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩ .
ثعلبة بن عبد الجذامى : ٨٤ ، ١٠٢ ، ١٠٣ .
الثقفى — عاصم بن مسلم الثقفى .
ثوابة بن سلامة الجذمى : ٥٨ .
ثوابة بن عمرو : ٥٨ ، ٦١ .
جابر بن العلاء بن شهاب : ٧٧ ، ٨٤ ، ٨٥ .
جابر بن لبيد : ١١٧ ، ١١٨ .
جداد بن عمرو المذحجى : ٧٢ .
جزى بن عبد العزيز بن مروان : ٥٢ ، ٨٧ .
جوشن بن الصميل : ٨٢ .
الحارث : ٣٢ ، ٣٣ .
الحارث بن أسد : ٤٨ .
الحارث بن يزيع : ٩٩ .
حبيب بن أبى عبيدة القرشى : ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٩ ، ٤١ ، ٤٣ .
حبيب بن عبد الملك بن عمرو بن الوليد : ٥٢ .

- حبيب بن عبد الملك القرشي : ٨١ ، ٨٢ ، ١٠٢ .
حبيب النخعي : ٣٦ .
الحجاج : ٣٢ ، ٣٣ .
حذيفة بن الأحوص القيسي : ٣١ .
الحر بن عبد الرحمن الثقفي : ٢٩ ، ٨٦ ، ٨٧ .
الحسام بن ضرار الكلبي أبو الخطار : ٤٨ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٦١ .
حسان = أبو عبدة حسان .
الحسين بن علي : ٥٧ .
حسين بن يحيى الأنصاري : ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٥ .
الحصين بن الدجن العقيلي : ٤٦ ، ٤٧ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٧٣ ، ٧٧ ، ٨٤ .
حفص بن ميمون : ١٠٣ ، ١٠٤ .
الحكم بن هشام : ٤٥ ، ٧٩ ، ١١٣ ، ١١٥ ، ١١٦ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١١٩ .
حلاوة : ٩٥ .
حمدونة الساحرة : ١٣٩ .
حنظلة بن صفوان الكلبي : ٣١ ، ٤١ ، ٤٨ .
حوثرية بن عباس : ١٣٩ .
حيوة بن ملامس : ٩٨ .
حيوة بن الوليد التجيبي : ٩٢ ، ٩٥ ، ٩٦ .
خالد بن زيد : ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٨٣ ، ٨٦ .
خالد بن السودي : ٨٢ .
خالد بن الوليد : ١٤ .
داود بن هلال = أبو معن داود بن هلال .
الراسبي = عبد الله بن وهب سراسبي .
ردريق = لذريق .
رزق بن النعمان الغساني : ٩٢ ، ١٠٥ .

رسول الله صلى الله عليه وسلم = النبي صلى الله عليه وسلم .
الرشيد هارون : ١٤٣ .

الرماحس بن عبد العزيز الكنانى : ١٠٢ .

الرياضى = أبو اليسر الرياضى .

زياد بن النابغة التميمى : ٢٨ ، ٢٩ .

زيد بن حصن : ٣٩ .

سابق الفارسى : ٩١ .

سالم أبو زعبل : ٩٨ .

سعد بن عبادة : ١٠٢ .

سعيد بن بشير : ١١٥ ، ١١٦ .

سميد بن حسين بن يحيى الأنصارى : ١٠٤ .

سميد اليحصبي المطرى : ٩٦ .

السفاح أبو العباس : ٤٩ ، ٥٠ ، ٥٢ .

السفاح صالح بن على : ٤٩ ، ٥٠ ، ٥١ .

سفيان بن عبد الواحد المكناسى : ٩٧ .

السفيانى الثائر = يزيد السفيانى الثائر .

السقلابى = عبد الرحمن بن حبيب الفهرى السقلابى .

السلى : ١٠١ .

سليمان الأعرابى : ١٠٢ .

سليمان بن داود عليه السلام : ٢٣ .

سليمان بن شهاب : ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٧ .

سليمان بن عبد الرحمن بن معاوية أبو أيوب : ٥١ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ١١١ .

سليمان بن عبد الملك : ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣٥ .

سليمان بن هشام : ٥٠ .

سماة : ١٠٠ .

السمح بن مالك الخولانى : ٣٠ ، ٣١ .

شاكِر : ٧٢ .

شهيرت بن غيطشة : ١٨ ، ١٥ .

شمر بن ذى الجوشن : ٥٧ .

شهيد : ١٠٥ .

صالح بن على = السفاح صالح بن على .

صقر قریش = عبد الرحمن بن معاوية .

الصميل بن حاتم بن شمر بن ذى الجوشن : ٥٧ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٦٢ ،

٦٣ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٦٩ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٤ ،

٧٥ ، ٧٧ ، ٨٢ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ٩٢ .

طارق بن زياد : ١٤ ، ١٧ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٤ ، ٢٧ ، ٣٥ .

٣٦ .

طريف أبو زرعة : ١٦ ، ١٧ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٣ .

عاصم العريان : ٧٧ ، ٨١ .

عاصم بن مسلم الثقفى : ٧٢ ، ٩٥ .

العاصى بن الوليد بن يزيد : ٥٢ .

عامر (من ولد أبى عدى) : ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٧ ، ٧٣ .

عائشة : ٨٥ .

عباس بن عبد الله بن مروان القرشى : ١١٦ .

عباس بن ناصح : ١٢١ .

عبد الحميد بن بسيل : ١٣٧ .

عبد الحميد بن غانم : ٩٢ ، ١٠٠ .

عبد الرحمن بن حبيب بن أبى عبيدة الفهرى : ٤٣ ، ٤٦ ، ٥٢ ، ١٠٠ ،

١٠١ .

عبد الرحمن بن الحكم : ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٣ .

عبد الرحمن بن زياد : ٤٢ .

عبد الرحمن بن الصميل : ٨٤ .

عبد الرحمن بن عبد الحميد بن غانم : ٩٢ .

عبد الرحمن بن علقمة الحمى : ٤٦ ، ٤٧ .

عبد الرحمن بن غانم : ٧٩ .

عبد الرحمن بن محمد الناصر : ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤١ ،
١٤٣ .

عبد الرحمن بن معاوية : ١٣ ، ٤٩ ، ٥١ ، ٥٣ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٦٦ ،
٦٧ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٧٤ ،
٧٥ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٨١ ،
٨٢ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ٨٧ ، ٨٨ ،
٨٩ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٠٨ ،
١٠٩ .

عبد الرحمن بن نعيم الكلبي : ٥٩ ، ٨١ ، ٨٤ .

عبد الرحمن بن يوسف أبو زيد : ٧٣ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ٩٢ .

عبد العزيز بن موسى بن نصير : ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٣٩ .
عبد الله بن أبان : ١٠٠ .

عبد الله بن خالد : ٦٥ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٧١ ، ٧٢ .

عبد الله بن الزبير : ١٣ ، ١٤ ، ٥٨ .

عبد الله بن سعد بن أبي سرح العامري : ١٣ .

عبد الله بن عبد الملك بن عمر بن مروان : ٨٩ ، ٩٠ .

عبد الله بن علي : ٥٠ .

عبد الله بن عمر : ٩٢ .

عبد الله بن محمد = أبو جعفر المنصور عبد الله بن محمد .

عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن : ١٣٥ .

عبد الله بن معاوية : ٩١ .

عبد الله بن وهب الراسبي : ٣٧ .

عبد الله بن يزيد : ٢٩ .

عبد الله بن يوسف : ٨٢ .

عبد الملك بن جهور : ١٣٨ ، ١٣٩ .

عبد الملك بن عمر بن مروان : ٥٢ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٩٧ .

عبد الملك بن قطن المحاربي : ٣١ ، ٣٥ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٩ .

عبد الملك بن مروان : ١٣ ، ١٤ ، ١٠٨ .

عبد الواحد بن سلمان : ٥٠ ، ٥١ .

عبدة بنت هشام بن عبد الملك : ٤٩ .

عبدوس بن أبي عثمان : ١٠١ .

العبدى : ١٠٢ .

العبدى أبو بكر بن طفيل = أير بكر بن طفيل العبدى .

عبيد الله بن أبان بن معاوية : ٧٩ .

عبيد الله بن الحبحاب بن الحارث : ٣٢ .

عبيد الله بن عثمان أبو عثمان : ٦٥ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٧٤ ، ٧٦ ، ٨١ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ١٠١ .

عبيد الله بن علي الكلابي : ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٨٢ ، ١٢٥ .

عبيد الله بن قزمان : ١٢٥ .

عثمان بن أبي سعيد الحشني : ٣١ .

عثمان بن أبي نسعة : ٤٩ .

عثمان بن عفان : ١٣ ، ١٤ ، ١٠٨ .

عثمان بن المثنى : ١٢١ .

عقبة بن الحجاج : ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٥ .

عقبة بن نافع الفهري : ١٣ ، ١٤ .

عقدة بن بكر بن وائل : ٦٦ .

علاء بن عبد الحميد القشيري : ١٠٥ .

العلاء بن مغيث اليحصبي : ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٦ .

عمران : ٧٧ .

عمر بن الخطاب : ٩٢ ، ١٠٨ .

عمر بن عبد الله المرادي : ٣٤ .

عمر بن عبد العزيز : ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ .

- عمر بن عبد الواحد : ٨١ .
عمرو بن العاص : ١٣ .
العمرى : ٩٢ ، ٩٥ ، ٩٦ .
عنيسة بن سحيم الكلبي : ٣١ .
عيسى بن عبد الرحمن الأموي : ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٧ .
عيسى بن فطيس : ١٣٨ .
عيسون بن سليمان الأعرابي : ١٠٣ ، ١٠٤ .
غالب بن تمام : ١٠٣ ، ١٠٤ .
الغمر بن يزيد : ٥٠ ، ٥٢ .
غياث بن علقمة النخعي : ٩٣ ، ٩٤ .
غيظشة : ١٥ ، ١٨ .
فاطمة : ٩٧ .
فرقد : ٧٩ .
الفهري = عبد الرحمن بن حبيب الفهري السقلافي .
قاسم بن حمد أبو عطاء المري : ٦١ ، ٦٥ .
قارلة : ١٠٣ .
قصي : ٦٤ .
قطن بن عبد الملك : ٧٠ .
القعقاع بن زعيم : ١٠٩ .
قيس : ٨٨ .
كلثوم : ٩٢ .
كلثوم بن عمرو : ٣٧ .
كلثوم بن عياض القشيري : ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ .
كنانة بن سعيد الأسود : ١٠١ .
كنانة بن كنانة : ٧٨ ، ٨٢ .
لذريق : ١٥ ، ١٦ ، ١٨ ، ٢٧ .
ممالك بن أنس : ١٠٩ .

- محارب بن فهير : ٣١ .
محمد الأمين : ١٣٢ .
محمد بن عبد الرحمن بن الحكم : ١٢٦ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣١ ،
١٣٢ .
محمد بن هاشم التجيبي : ٩٢ .
محمد بن وليد : ١٣٠ .
محمد بن يوسف أبو الأسود : ٧٩ ، ٨٦ ، ٩٢ ، ١٠٥ .
الختار : ٥٧ .
مروان بن الحكم : ٥٨ ، ٩٠ .
مروان بن محمد : ٤٩ ، ٥٢ ، ٥٣ .
المرواني = عبد الملك بن عمرو بن مروان .
مسلمة أبو سعيد = أبو سعيد مسلمة .
مسلمة بن عبد العزيز : ٥٦ .
مسلمة بن عبد الملك : ٥٣ .
المسيح عليه السلام : ١٦ ، ٢٨ .
مصعب بن عمير : ٦٣ .
المطري = سعيد اليحصبي المطري .
معاوية بن أبي سفيان : ١٤ ، ١٠٨ .
معاوية بن هشام : ٣٧ ، ٥٣ .
مغيث الرومي : ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٣ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٣٥ ، ٣٧ ، ٣٨ ،
٣٩ ، ١٠٤ .
مغيرة بن الوليد بن معاوية : ١٠٥ .
منذر بن سعيد : ١٣٨ .
المنذر بن محمد : ١٣٢ ، ١٣٣ .
المنصور أبو جعفر : أبو جعفر المنصور .
موسى بن حدير : ١٣٧ .

موسى بن نصير : ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٧ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ،
٣٥ ، ٣٦ .

موسى بن الوليد بن يزيد : ٥٢ .

ميسرة المحفوز المدغرى : ٣٤ ، ٣٧ ، ٤١ ، ٤٤ .

الناصر = عبد الرحمن بن محمد الناصر .

الناهد (فرس) : ١٠٣ .

النبي صلى الله عليه وسلم : ٣٣ ، ٦٣ .

نصير : ١٤ .

هارون القرنى : ٣٧ ، ٣٨ ، ٣٩ .

هاشم بن عبد العزيز (١) : ٣٢ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٣٠ ، ١٣٢ .

هذيل بن الصميل : ١٠٥ .

هشام بن عبد الرحمن : ٧٩ ، ١١٠ ، ١١١ ، ١١٢ .

هشام بن عبد الملك : ٣٦ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ .

هشام بن عروة الفهرى : ٨٤ ، ٩١ ، ٩٢ ، ٩٥ .

هلال : ٧٧ ، ١٠٣ .

الهوارى : ١٠٩ .

الهيثم بن عفير الكنانى : ٣١ .

واصف بن مغيث الطائى : ٩٣ .

وبة = أبة .

وجيه الغسانى : ١٠١ .

الوليد بن عبد الرحمن بن غانم : ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣١ .

الوليد بن عبد الملك : ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٩ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٣٥ ،
٣٧ .

الوليد بن يزيد : ٤٨ ، ٥٢ ، ٥٦ .

وهب بن ميمون : ١٠٤ .

يحيى بن حريث الجندائى : ١٨ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٦١ .

(١) جاء فى (ص : ٣٢) باسم : هشام ، تحريف .

- يحيى بن مسلمة الكلبي : ٣١ .
يحيى بن معاوية بن هشام : ٥٠ .
يحيى اليحصبي = أبر الصباح يحيى اليحصبي .
يحيى بن يزيد بن هشام اليزيدي : ٩٩ ، ١٠٠ .
يزيد السفيناني الثائر : ٥٢ .
يزيد بن عبد الملك : ٣١ .
يزيد بن معاوية : ١٤ ، ٤٥ .
يزيد بن يحيى : ٨٧ .
اليزيدي = يحيى بن هشام اليزيدي .
يوليان : ١٥ ، ١٦ ، ١٧ ، ١٩ ، ٢٤ .
يوسف (صاحب الحمام) : ١٠٤ .
يوسف بن بخت أبو الحجاج : ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٧١ ، ٧٢ ،
٧٣ .
يوسف بن عبد الرحمن بن عقبة الفهري (١) : ٤٥ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٠ ،
٦٢ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٨٠ ، ٨١ ،
٨٢ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ٨٧ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٩١ ،
٩٢ .

(١) ورد في بعض المواضع باسم : يوسف بن عقبة .

فهرست القبائل

- الإباضية : ٣٤ .
الأزارقة : ١٣ ، ٣٧ .
الأكراد : ١٣ .
الأموية = بنو أمية .
الأمويون = بنو أمية .
الأنصار : ٧٨ .
أوربة : ١٤ .
البرانس : ١٠١ ، ١٠٥ .
البربر : ١٤ ، ١٥ ، ١٧ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤١ ،
٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٥٦ ، ٦٢ ، ٦٤ ،
٧١ ، ٧٢ ، ٧٧ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٨٤ ، ٩٠ ، ٩٥ ، ٩٩ .
البيشكنس : ٧٣ ، ١٠٤ .
بكر بن وائل : ١٤ .
بنو أمية : ١٤ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٦٥ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٦٩ ،
٧١ ، ٧٢ ، ٧٤ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٨٣ ،
٨٧ ، ١٣٠ ، ١٤٣ .
بنو تميم : ٩١ .
بنو زهرة : ٦٤ .
بنو سلول : ٣٢ .
بنو عامر : ٦٥ .
بنو العباس : ٤٩ .
بنو عبد الدار : ٦٣ .

- بنو علي : ٦٦ .
بنو كلاب : ٦٦ .
بنو كنانة : ٧٨ .
بنو مخزوم : ٢٩ ، ٣٠ .
بنو ميمون : ٩٩ .
بنو هاشم : ٨٧ .
ثقيف : ٧٧ .
جندام : ٥٨ ، ٨٤ .
حارث فهر : ١٣ .
الحريش : ٦٤ .
حمير : ٥٩ .
ربيعة : ٥٩ ، ٧١ .
الروم : ١٣ ، ٢٥ ، ٣٨ .
الرومانيون = الروم .
سعد : ٦٥ .
سليم : ٦٤ .
سليم بن منصور : ٦٥ .
صدف : ١٧ .
الصفرية : ٣٤ .
عامر لؤي : ١٣ .
العرب : ١٧ ، ٣٢ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٤٧ ، ٨٥ ، ١٠٣ ، ١٠٩ ،
١٣٧ .
عقيل : ٦٤ .
غطفان بن سعد : ٦٤ ، ٦٥ .
الفرس : ١٣ .
فهر : ٨٧ ، ٩٠ .

- قريش : ٢٩ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٤٥ ، ٦٢ ، ٨٧ ، ١٠٤ ، ١٠٦ ،
١٠٧ .
- قشير : ٦٤ .
- فضاعة : ٨٤ ، ٧٨ ، ٥٩ ، ٥٨ .
- القضائية = قضاة .
- القوطيون : ٢٥ .
- قيس : ٨٣ ، ٨٢ ، ٧٨ ، ٧٧ ، ٧٣ ، ٦٥ ، ٦٤ ، ٥٧ ، ٣٢ ،
٨٥ .
- كلاب بن عامر : ٦٤ ، ٦٥ .
- كندة : ٥٩ .
- لحم : ٥٨ ، ٤٢ ، ٣٦ .
- محارب : ٦٤ ، ٣٥ .
- منحج : ٥٩ .
- المسودة : ٥٤ ، ٥٣ .
- مصمودة : ١٠٣ .
- مضر : ٨٤ ، ٨٣ ، ٨١ ، ٧٧ ، ٧٥ ، ٧١ ، ٦٥ ، ٥٩ ، ٤٥ .
- نصر : ٦٤ .
- نفرة : ٦٦ .
- نمير : ٦٥ .
- هرازن : ٦٥ ، ٦٤ .
- اليمانية = اليمن .
- اليمن (١) : ٧٧ ، ٧٦ ، ٧٤ ، ٧١ ، ٦٤ ، ٦٢ ، ٦٠ ، ٥٩ ، ٥٨ ،
٧٨ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٥ ، ٨٧ ، ٩٣ ، ٩٦ ،
اليهود : ٢٥ ، ٢٢ .

(١) جاءت كلمة (اليمن) مراداً بها اليمنيون في الأكثر من هذا الكتاب، ولها وجه، إذ يقال إن العرب لما تفرقت نزلت بنو يمن تلك الأرض فسميت بهم .
(معجم البلدان : يمن) .

فهرست الأماكن

- أبو فطرس (نهر) : ٥٣ ، ٥٢ .
أحد : ٦٣ .
أرابونة : ١٠٣ ، ٤٦ ، ٣٤ .
الأردن : ١٠٩ ، ٧٨ ، ٥٨ ، ٣٦ .
أرش : ٧٥ .
أرملة : ٨٦ .
أريولة = تدمير .
استجة : ١٣٩ ، ٣٤ ، ١٩ .
استرقة : ٦٢ ، ٦١ ، ٤٣ ، ٤٢ .
استورقة = استرقة .
اسدادة : ٦٢ .
اشبيلية : ٨٣ ، ٨٩ ، ٨٨ ، ٧٩ ، ٧٨ ، ٣٤ ، ٢٧ ، ٢٦ ، ٢٥ ، ٩٨ .
أصيلا : ٦٢ .
أطرابلس : ١٣ .
إفرنجة : ٣١ .
إفريقية : ٣٥ ، ٣٤ ، ٣٣ ، ٣٢ ، ٣١ ، ٣٠ ، ٢٩ ، ١٤ ، ١٣ ، ٤٦ ، ٤٥ ، ٤٤ ، ٤٣ ، ٤١ ، ٣٩ ، ٣٨ ، ٣٧ ، ٣٦ ، ٤٨ ، ٥٣ ، ٥٦ ، ٦٦ ، ٩٥ .
أقوة برطورة : ٤٦ .
إلبيرة : ١٠١ ، ٨٥ ، ٧٨ ، ٧٧ ، ٧٤ ، ٢٢ ، ٢١ ، ٢٠ .
إلمية : ٣٤ .
الفتين : ٩٦ .

- أمايا : ٢٤ .
الأنبار : ١٤ .
الأندلس : ١٣ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٧ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢٣ ، ٢٥ ،
٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٦ ،
٤٠ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٦ ،
٥٧ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٦ ،
٧١ ، ٧٢ ، ٨٦ ، ١٢٩ ، ١٣٥ ، ١٣٦ .
أوريث : ٩٥ ، ١٠١ .
باب إشبيلية : ٢١ .
باب الجزيرة : ٢٩ .
باب الصورة : ٢٠ .
باب القنطرة = باب الصورة .
باجة : ٢٥ ، ٢٦ ، ٩٣ .
بابد : ٢٧ .
بابش : ٨٠ .
بارى : ٥٦ .
البحيرة : ١٨ .
بدر : ٦٣ .
برج أسامة : ٨٩ .
برج الشهداء : ٢٥ .
بقدورة : ٣٧ ، ٤٣ .
بلاد الشيطانيس : ١٠٤ .
بلاط الحر : ٨٦ .
بلاط مغيث : ٢٩ .
بليرة = إلبيرة .
بليارش : ١٠٤ .
بفلونة : ١٧ ، ٣٤ ، ٧٣ ، ١٠٤ .

- تدمير : ٢٢ ، ٢٣ ، ٨٥ ، ١٠٠ ، ١٠١ .
- تدمين (انظر : تدمير) .
- تونس : ١٣ .
- جبل قرطبة : ٢٣ .
- الجزيرة : ١٤ .
- جزيرة أم حكيم : ٤٣ ، ٤٤ .
- جزيرة الأندلس : ١٤ .
- جزيرة طريف = جزيرة الأندلس .
- جليقية : ٢٣ ، ٣٤ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٦١ ، ٦٢ .
- جيان : ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٩ ، ٨٥ ، ١١٠ ، ١١١ ، ١١٧ .
- الحائر : ١١٧ .
- حرة راقم : ٤٥ .
- حصن بلاى : ١٣٣ ، ١٣٤ .
- حضر موت : ٧٨ .
- حلوة : ٩٥ .
- حمص : ٥٩ ، ٧٨ ، ٨٨ ، ٩٨ .
- خراسان : ١٣ .
- دار أبي أيوب : ٤٤ .
- دمشق : ٤٨ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٨٤ .
- الربض : ١٢١ .
- الرصافة : ٥٣ ، ١٠٠ ، ١٠٤ ، ١٠٥ .
- الرملة : ٥٢ .
- رية : ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٥٨ ، ٧٢ ، ٧٥ ، ٣٢ .
- سبتة : ١٥ ، ٤٠ ، ٤٤ ، ١٣٦ .
- صبرة : ٢٣ ، ٥٦ ، ٦٦ .
- مرقسطة : ٢٧ ، ٤٢ ، ٤٤ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٧ ، ٧٣ ، ٧٤ .
- ٧٨ ، ٩١ ، ١٠٣ ، ١٠٢ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٠٨ .

الشام : ١٣ ، ١٤ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤٣ ، ٤٤ ،
٤٦ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٥٧ ، ٥٩ ، ٦١ ، ٨١ ، ٨٢ ،
٨٩ ، ١٢٩ .

شدونة : ٢٤ ، ٥٨ ، ٦٢ ، ٧٨ ، ٩٢ .

شقنلة : ٢٠ ، ٦٠ ، ٦٣ ، ٦٥ ، ٧٧ ، ٨٧ ، ١٣٣ .

شنت أجلع : ٢١ .

شنتمرية : ١٠١ ، ١٠٣ .

صفين : ٦٠ .

طرشيل : ٢٠ .

طرش : ٧٢ ، ٧٤ ، ٧٦ .

طشانة : ٧٨ ، ٨٠ .

طلبيرة : ٢٦ ، ٤٣ .

طليلة : ١٦ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٤٤ ،

٦٧ ، ٦٩ ، ٧٢ ، ٧٩ ، ٨٤ ، ٨٨ ، ٩١ ، ٩٢ ، ٩٣ ،

٩٥ .

طنجة : ١٤ ، ١٥ ، ٢٩ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٧ ، ٤٠ ، ٤٢ ، ٤٤ ،

٦٢ ، ١٣٦ .

العراق : ٤٠ .

عين التمر : ١٤ .

عين طارق : ١٩ .

غرناطة : ٢٠ ، ٢٢ .

فارس : ٣٥ .

فج أبي طويل : ١٠٣ .

فج المائدة : ١٣٣ .

فحص البلوط : ٩١ .

الفرات : ٥٥ .

فرنسا = إفريقيا .

- فريش : ٩١ .
- فلسطين : ٨٤ ، ٨١ ، ٧٨ ، ٥٨ ، ٥٥ .
- قرطبة : ١٩ ، ٢٠ ، ٢٤ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٦٣ ، ٦٨ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٧ ، ٨٠ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ٩٥ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ١٠٠ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٢١ ، ١٣٣ ، ١٣٢ ، ١٣٠ .
- قرمونة : ٩٤ ، ٢٤ .
- القرن : ٤١ .
- قرية العيون : ١٠١ .
- قسطلونة : ٩٢ ، ٧٩ .
- قطلبيرة : ٢٣ .
- قلعة زعواق : ٩٦ ، ٩٣ .
- قلنيرة : ١٠٤ ، ٧٩ ، ٧٨ .
- قناة عامر : ٦٣ .
- قنسرين : ٦٤ ، ٥٧ ، ٥٤ ، ٥٣ ، ٤٧ ، ٣٦ .
- قورية : ١٠٥ ، ٩٨ ، ٦٢ .
- القيروان : ٩٥ ، ١٣ .
- كركر : ١٢٨ .
- كسكر : ٥٠ .
- الكعبة : ٦٧ .
- كنيسة الأسرى = كنيسة قرطبة .
- كنيسة قرطبة : ٢٣ .
- الكوفة : ٥٧ ، ١٤ .
- اللاشة ماشة (الألاشة ماشة) : ٢٥ .
- لبدانية : ١١٧ ، ٩٧ .
- لبلة : ٩٦ ، ٢٦ .

- لبيرة = إلبيرة .
لجدانية = لبدانية .
لشبونة = أرابونة .
لقت : ٨٨ ، ٨٩ .
ماردة : ٢٥ ، ٢٦ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٧ ، ٦٢ ، ٧٩ ، ٨٨ ، ٨٩ ،
٩٨ ، ١٢٤ ، ١٢٥ .
مالقة : ٢٢ .
مخاضة عيسون : ١٠٣ .
مدائن الروم : ١٣ .
الملور : ٩٠ ، ٨٩ ، ٨٠ ، ٤٥ .
المدينة : ٤٨ ، ٤٥ .
مدينة المائدة : ٢٣ .
مرج راهط : ٥٨ .
المسارة = المصاراة .
مسجد أمية : ٤٥ .
المشرق : ٤٩ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣٧ .
المصاراة : ٩٨ ، ٨٨ ، ٤٨ .
مصر : ١٤ ، ٣٢ ، ٣٦ ، ٨٠ ، ١٣٠ ، ١٣١ .
مضيق الجزيرة : ١٩ .
المغرب : ١٥ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ١٣٧ .
مقبرة عامر : ٦٣ .
متنيشة : ٨٥ .
المنكب : ٧٢ .
موزور : ٨٩ .
نبلورة = بقلورة .
نقلورة = بقلورة .
النهر وان : ٣٧ .

- وادی أنه : ٦٦ .
- وادی أيرة : ٩٤ .
- وادی برباط : ٦٢ .
- وادی الحجارة : ٢٣ .
- وادی سليط : ٤٤ .
- وادی شرنبة : ٧٣ .
- وادی شوش : ١٠٠ .
- واستورس : ٦١ .
- اليسانة : ٢٩ .
- اليمن : ٦٣ ، ٧٨ .

فهرست الأيام

- غزاة النور : ٩٨ .
- وقعة الربض : ١٢٠ .
- يوم أحد : ٦٣ .
- يوم بدر : ٦٣ .
- يوم الحرة : ٤٥ .
- يوم صفين : ٦٠ ، ٦ .
- يوم مرج راهط : ٥٨ .

فهرست الشعراء

- ابن الشمر : ١٢٣ .
أبو نواس : ١٣٢ .
إسماعيل بن بدر : ١٤١ ، ١٤٢ .
حفص بن النعمان : ٥٢ .
الحكم بن هشام : ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٢٣ ، ١٢٥ ، ١٢٦ .
عبد الرحمن بن معاوية : ١٠٦ ، ١٠٧ .
عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن : ١٣٥ .
عبد الملك بن جهور : ١٣٥ ، ١٤٠ .
عبد الملك بن عمر : ٩٧ .
عبيد الله بن قرمان : ١٢٦ .

فهرست القوافي

الصفحة	اسم الشاعر	البحر	القافية
٥٢	حفص بن النعمان	مدريد	النجب
١٤١	إسماعيل بن بدر	وافر	بانفراج
١٤٢	إسماعيل بن بدر	مخلع البسيط	اختلاج
١٢	عبد الرحمن بن محمد	مخلع البسيط	أناجي
١٣٩	عبد الملك بن جهور	مجزوء الكامل	الحسد
١٤٠	عبد الملك بن جهور	خفيف	معمود
١٢٥	الحكم بن هشام	سريع	والرفد
١٢٣	ابن الشمر	طويل	والبدر
١٢٣	الحكم بن هشام	طويل	الفكر
١٣٥	عبد الله بن محمد	مخلع البسيط	العذار
٦٧	—	وافر	الحصار
١٣٩	—	مجتث	الخيـش
١٢٠	الحكم بن هشام	طويل	يافعا
١٢١	الحكم بن هشام	طويل	ومصارعا
١٤٣	إسماعيل بن بدر	كامل	العاشق
١٠٧	عبد الرحمن بن معاوية	رجز	الغرائق
١٢١	الحكم بن هشام	خفيف	مليكا

الصفحة	اسم الشاعر	البحر	القافية
١٠٦	عبد الرحمن بن معاوية	مخلع البسيط	نصلا
١٣٥	عبد الله بن محمد	مجزوء الكامل	الآمل
١٠٨	—	خفيف	النزولا
٩٧	عبد الملك بن عمر	بسيط	السقم
١٢٦	عبيد الله بن قرلمان	بسيط	نوما
١٢٦	الحكم بن هشام	بسيط	النوما
١٣٢	أبو نواس	وافر	الجسام
١٢١	الحكم بن هشام	بسيط	هجراني
١٤١	إسماعيل بن بدر	وافر	وييني
١٤٠	عبد الملك بن جهور	مجزوء الكامل	عقاليه

مراجع الكتاب

- البيان المغرب في أخبار ملوك الأندلس والمغرب لابن عذارى .
- تاريخ ابن خلدون .
- التكملة لابن الأبار .
- الحلة السراء لابن الأبار .
- ديوان أبي نواس .
- السيرة لابن هشام .
- صفة جزيرة الأندلس للحميري .
- معجم البلدان لياقوت .
- المعرب للجواليقي .
- نفح الطيب للمقرئ .
- وفيات الأعيان لابن خلكان .